د. مدى السيد إبراهيم

وصية ٥٠ من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء

مكتبة القرآن



مجدي السيد إبراهيم

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع رشدي - عابدين - القاهرة
تليفون : ٣٩١٨٦٩١ فاكس : ٣٩٢٧٣٢٢



تقديم

* بسم الله الرحمن الرحيم *

إن الحمد لله :

نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله **﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾**[1] **﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾**[2] .

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾[3] .

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٢

(٢) سورة النساء : ١

(٣) سورة الأحزاب : ٧٠ _ ٧١



بين يدى الكتاب

فى هذا العصر الذى انشغل فيه كل واحد من بنى الإنسان بنفسه وأصبح لا يرى إلا ما يريد من متطلبات تخصه هو وحده ، ولا تخص غيره فى شئ .

تقف المرأة المسلمة حزينة ، فإنها تجد أمامها تيارات عنيفة تريد منها أن تسعى إلى الانحلال ، واتباع سبيل الشيطان .

والمرأة كما هو معروف ، ويعلم الكل أنها صانعة الأجيال ، وهى التى تبنى فى بيتها الرجال ، وتخرج لنا الأبطال ، ولكن كيف لها أن تؤدى تلك المهمة ، وهذا هو حالها الآن ؟!! فلا يمكن أن تهيئ المرأة المسلمة أسرة قوية إلا إذا كانت مسلمة بحق ، معتزة بدينها ، متمسكة بكتاب ربها ، وسنة نبيها ﷺ .

وها نحن نضع لبنة فى صرح إنارة الطريق أمام المرأة المسلمة .

فنحن فى هذا الكتاب نبين للمرأة المسلمة ما أوصى به النبى ﷺ بنات حواء من المسلمات ، وأهمية تلك الوصايا النبوية ، أنك عندما تستمسكين بها ستشعرين أنه لديك من الهمة ، والقدرة ، على ما طلب منك من مهام ، مالم يكن من قبل والوصية وصيتان :

الأولى : وصية الأحياء إلى الأحياء ، وهى عبارة عن أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، أو حض على خير ، أو تحذير من شر .

والأخرى : وصية الأموات عند نزول الموت إلى الأحياء ، وهى عبارة عن ذكر دين ينبغى أن يقضى ، أو حق ينبغى أن يؤدى ، وهذا بعد موتهم ، ونحن فى هذا الكتاب مع النوع الأول من الوصايا ، مع الرسول ﷺ وقد وقف ناصحاً للنساء ، بما يجلب لهن الفوز والسعادة فى الدنيا والآخرة .

ولقد حاولنا ونحن نجمع تلك الوصايا أن تشتمل على شتى نواحى العلم والفوائد التى ينبغى أن تتحلى بها المسلمة ، وتسعى فى الوصول إليها .

وبفضل الله ـ عز وجل ـ لم نجمع فى كتابنا هذا إلا ما صح عن رسول الله ﷺ من وصايا . ثم حاولنا تيسير مضمون الوصية ، وتقريب معانيها ، وألحقنا من الفوائد التفسيرية ، ما يشوق المسلمة إلى قراءة الوصايا بشغف .

ولنا طريقة فى جمع هـذه الوصايا النبوية ، وهى أننا نجمع النداءات التى قام النبى ﷺ بتوجيهها إلى النساء المؤمنات ، أو التنبيهات التى ذكرها الرسول ﷺ إلى المسلمات ، أو الأوامر التى خصهن بها . فإن حقيقة كل ما سبق ذكره ، أنه يعتبر وصية من شفيق رءوف ، وهو النبى ﷺ ، على ضعيف لا علم له بهذه الأمور ، وهو من تساق إليه الوصية ، من بنات حواء .

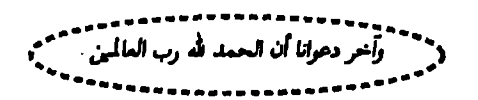
والحمد لله الذى أعاننا على جمع هذه الوصايا النبوية للنساء فقط .

أخيراً

أختى المسلمة . . .

أقبلى على ربك بقلب صادق ، واستمعى إلى وصايا نبيك بعقل واعٍ ، فإنك إن سمعت عن شرقٍ ، أو غربٍ ، فلن تجدى أصدق ، وأكمل ، من كلام النبوة .

واعلمى أن خير طريق يؤدى بك إلى السعادة والسرور فى الدنيا ، والنجاة والفوز فى الآخرة ، هو طاعة الله ورسوله ، كما قال عز وجل : ﴿ **ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً** ﴾ .



رمضان ١٤٠٨ هـ — مجدى فتحي السيد إبراهيم

أبريل ١٩٨٨ م — طنطا مصر

١ دعوة للنجاة من النار

عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ في أضحىً أو فطر إلى المصلى فمرَّ على النساء فقال : « يا مَعْشَرَ النِّسَاء تَصَدَّقْنَ فإنّي أُرِيتُكُنَّ أكثر أهْلِ النَّار » وفي رواية « تَصَدَّقْنَ وأكْثِرْنَ الاسْتِغْفَارَ » ، فقلن : وبِمَ يا رسول الله ؟ قال : « تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ، مَارَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إحْدَاكُنَّ » ، قلن : وما نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يا رسول الله ؟ قَال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ، قلن : بلى قال : « فَذَلِك مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا ، ألَيْس إذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ » قلن : بلى . قال : « فَذَلِك مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا »[١]

تبصرة وبيان

ينظر الإسلام الحنيف إلى كل من الرجل والمرأة على أنهما القطبان اللذان بهما معاً تتكون الإنسانية دون امتياز لأحدهما على الآخر فيما لهما من قيمة إنسانية ، ويتضح ذلك من قوله جل شأنه : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إنَّ أكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أتْقَاكُمْ ﴾[٢] . فالمقياس عند الله بالعمل الصالح . ولقد بيّن عز وجل أن الرجل والمرأة معاً قد طُلب منهما القيام بالتكاليف ، فقال جل شأنه : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنَ قَوْمٍ عَسَى أن يَكُونُوا خَيْراً مِنهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنَ نِسَاءٍ عَسَى أن يَكُنَّ خَيْراً مِنهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بالألْقَابِ ﴾[٣] وحمّل تبارك وتعالى كلا منهما مسؤولية عمله ، فقال عز وجل :

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣/١) ، (١٤٩/٢) ، ومسلم (٦٧/٢) من حديث أبي سعيد ، ومسلم (٦٥/٢) ، وأبو داود (٤٦٧٩) ، والنسائي (١٨٦/٣) وابن ماجه (٤٠٠٣) ، وأحمد (٦٦/٢) من حديث ابن عمر وأخرجه أبو نعيم (٦٩/١) في الحلية ، والبيهقي (٢٣٥/٤) ، (١٤٨/١٠) في السنن الكبرى .

(٢) سورة الحجرات ، ١٣

(٣) سورة الحجرات ، ١١

﴿ كلُّ امرئ بما كسب رهين ﴾ ، ﴿ ولِتجزى كلّ نفس بما كسبت وهم لا يُظلَمُونَ ﴾[1] .

وينال كل من الرجل والمرأة ما يستحق عند ربه من جزاء ، بحسب عمله . كما قال عز وجل : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أنِي لا أُضِيعَ عَمَلَ عَامِل مِنكُم مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِن بَعْضٍ ﴾[2] .

لقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة فى القيمة الإنسانية ، وسوى كذلك بينهما فى الحقوق المدنية والجنائية ، فكل منهما محفوظ النفس ، والعرض ، والمال ، والحرية إلا بما يوجبه عليه الشرع الحنيف عند وقوعه فى الخطأ ، والزلل .

ولكن مع ما سبق إيضاحه نجد أن العلم يثبت أن تركيب جسم المرأة يختلف عن تركيب جسم الرجل فى الأنسجة ، وحتى فى الخلايا عليها الطابع الأنثوى ، فعندما يبدأ الجنين فى نموه ، يبدأ كل من الصنفين فى السير فى صورة تخالف الصورة الأخرى ، وفى النهاية نجد أن تركيب المرأة الجسدى قد هيئ للحمل ، والولادة ، والرضاع .

أما تركيبها النفسى نجد فيه المشاعر النبيلة ، والرقة فى العاطفة ، واللين ، والعمل المتواصل ، والسرعة فى الانفعال ، والمحصلة هى غلبة الجانب العاطفى على النفس ، وهذا ما يوافق كون المرأة هى الأم ، لأن الأمومة لا تحتاج إلى الفكر ، بل تحتاج إلى العاطفة الجياشة ، والحنو الرقيق ، وبسبب ما رأيناه من سيطرة العاطفة على كيان المرأة اعتبر الإسلام شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد ، وليس فى معنى هذا كما يظن البعض أنها تساوى نصف الرجل ، إن الإسلام لم يفرض ذلك لنظرته إلى المرأة على أنها تساوى نصف الرجل ، ولكن فرض هذا لغرض ، ومبدأ آخر ، وهو أن يوفر كل الضمانات الممكنة فى قضية (الشهادة) .

فالمرأة تسيطر عليها الطبيعة العاطفية ، السريعة الانفعال ، ولأجل أن يتلافى هذا طلب منها أن يكون معها أخرى ، هذا ما أوضحه ربنا فى قوله : ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا

---

(١) سورة الطور : ٢١ ، الجاثية : ٢٢

(٢) سورة آل عمران : ١٩٥

رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ﴾[1] .

إذن فالمراد هو التذكرة ، وليس الحكم الجائر الذى يظنه بعض من لا علم له وهذا الذى استخلصناه هو ما يسميه الرسول ﷺ بنقصان العقل ، وليس هذا ما يعيب المرأة ، لأنهــا قد أعدت كما رأينا لأمر عظيم ، ألا وهــو الأمومة ، وما تتطلبه من حمل ، ووضع ، وإرضاع ، فلو لـم تخلق المرأة وقد أعدت لتكون نبع الحنان والعاطفة ، لما استطاعت تحمل كل ذلك ، وليس معنى كلامنا هذا أن المرأة وحدها هى التى تنفعل ، فالرجل ينفعل كذلك ، وليس معنى قولى هذا أن المرأة وحدها التى تخطئ ، أو هى وحدها معرضة للخطأ والنسيان ، لا ، وإنما الرجل هو الآخر يخطئ ، بل قد تكون المرأة أحيانا أكثر فكرة من الرجل.

لكن عندما قلنا ما سبق ذكره من عاطفية المرأة ، فذلك من قبيل الغالب العام ، وبالخصوص فى تلك المسائل التى يحدث فيها التعارض بين العقل ، والعاطفة ، ولقد ترك لنا تاريخنا أمثلة طيبة ، توضح بجلاء صدق ما ذهبنا إليه .

مثال الذكاء والتفكر

فهذه هى أسماء بنت أبى بكر ـ رضى الله عنهما ـ توضح لنا بعقلها النير ، وعزة نفسها ، وقوة إرادتها ، ما عجز عنه الكثير من الرجال .

تأملى أختى المسلمة . . . : حمل أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ماله كله لما خرج رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة ، وهنا دخل أبو قحافة جد أسماء ، وقد ذهب بصره ، فقال : والله إنى لأراه قد فجعكم بماله ، كما فجعكم بنفسه ، فتقول له أسماء فى بداهة سريعة : كلا يا أبتاه إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً ، فأخذت أحجاراً فوضعتها فى كوة فى البيت ـ يعنى ما يشبه الجحر ـ الذى كان أبوها يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده ، فقالت : يا أبتاه ، ضع يدك على هذا المال ، فوضع يده عليه ، وقال : لا بأس إذا كان ترك لكم هذا ، فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم ، وللحق لم يترك أبو بكر شيئاً ، ولكنها بعقلها جعلت أبا قحافة لا يسخط على ولده ، لقد سميت ـ

---

(1) سورة البقرة ، ٢٨٢

رضى الله عنها ـ بذات النطاقين ، لأنها شقت نطاقها ، فجعلت شقاً لها ، والآخر كانت تغطى به الطعام لرسول الله ﷺ وهو فى الغار ـ لقد شهدت ـ رحمها الله ـ واقعة اليرموك ، وأبلت مع زوجها بلاء حسناً ، أما الحديث عن شجاعتها وعزة نفسها فأمر يطول . . . .

لكن تأملى أختى المسلمة : دخل عليها ابنها عبد الله بن الزبير ، وهى عمياء ، وقد بلغت مائة سنة ، وقال لها : يا أماه ما ترين ! ! قد خذلنى الناس ، وخذلنى أهل بيتى . فقالت : لا يلعبن بك صبيان بنى أمية ، عش كريماً ، ومت كريماً ، والله إنى لأرجو أن يكون عزائى فيك حسناً بعد أن تقدمتنى ، أو تقدمتك ، فإن فى نفسى منك حرجاً ، حتى أنظر إلى ما يصير أمرك . ثم قالت : اللهم إنى قد سلمت فيه لأمرك ، ورضيت فيه بقضائك ، فأثبنى فى عبد الله ثواب الشاكرين .

مثال جودة الرأى والعقل

الشفاء بنت عبد الله

هى صحابية جليلة ، لها عقل رشيد ، ورأى سديد ، كان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يقدمها فى الرأى ، ويرضى برأيها لصوابه ، طلب منها الرسول ﷺ أن تعلم حفصة الكتاب وغيرها .

مثال نباهة العقل والصبر

الخنســاء

هى تماضر بنت عمرو بن الحارث ، صحابية جليلة ، وشاعرة شهيرة ، أسلمت مع قومها ، وحضرت مع أولادها الأربع فى حرب القادسية ، فقالت لهم : يا بنى أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، ووالله الذى لا إله إلا هو ، إنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين ، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، فإذا أصبحتم غداً ، إن شاء الله سالمين ، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن

ساقها ، واضطرمت لظى على سياقها ، وحللت ناراً على أرواقها فتيمموا وطيسها ، تظفروا بالغنم ، والكرامة فى الخلد والمقامة .

فقاتلوا حتى استشهدوا جميعاً ، فبلغها الخبر ، فقالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .

والأمثلة على رجاحة عقول بعض النسوة أمر لا مراء فيه ، ولكنه ليس هو الغالب الأعم .

هذا هو الجانب الأول ، وهو التبصرة ، أما البيان فهو (نقصان دين المرأة) ، قد تتسارع واحدة ، وتظن أن المراد بتلك العبارة هو انتقاص قدر المرأة ، أو التقليل من شأنها !!!

فى هذه الوصية التى بين أيدينا نجد أن المراد هو أن المرأة قد خلقها الله ـ جل جلاله ـ على صفة معينة ، وقد سبق ذكرها ، ومن لوازمها ما يحدث لها من (عادة شهرية) ، وبنى الشرع الحنيف بمجيء تلك العادة ، أو (الدورة الشهرية) توقف المرأة عن الصلاة ، والصيام ، وسائر العبادات التى تتطلب الطهارة ، وهذا أمر كما علمنا قد كتبه الله عليها ، ولا حيلة لها فيه ، فسمى النبى ﷺ هذا الأمر بنقصان الدين .

نخلص من كل هذا إلى القول ، بأن مسألة حقوق المرأة ، وما يثار حولها من الزوابع ، وادعاء أن المرأة ـ فى الإسلام ـ نصف الرجل ، ليس بالقول الصواب ، إنما الصواب أن كلا منهما قد خلق لغاية وحكمة ، فسبحان الذى أعطى كل شئ خلقه ، وهداه إلى ما يحتاج إليه .

والآن أختى المسلمة ، هلمى إلى الوصية النبوية ، واسمعى ما فيها ، تفوزى بخير الدنيا والآخرة .

أختى المسلمة : إن الإيمان قول وعمل ، وعقيدة ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصى ، ولقد وصف الله أهل الإيمان فقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾[1] فجعل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ الأعمال كلها

---

(١) سورة الأنفال : ٢ ـ ٣

من ذكر ، وتوكل ، وصلاة ، وزكاة ، إيمانا ، وعلى قدر هذه الاعمال يتفاضل أهل الإيمان في إيمانهم فبقدر استكمال المرأة المسلمة لهذه الفرائض والسنن والحدود تستكمل الإيمان ، وها نحن مع وصية للرسول ـ ﷺ ـ يحذر فيها المؤمنات ، ويرشدهن إلى طريق النجاة من النار ، فلتتأمل أختي المسلمة هذه الوصية :

قوله ﷺ : « أريتكن » المراد : أن الله تعالى أراهن له ليلة الإسراء ، وورد كذلك أنه رأى النار وأن النساء أكثر أهلها عندما صلى بالمسلمين صلاة الكسوف ، عندما انخسفت الشمس[1] على عهده ﷺ ، ولقد تساءلت النساء ـ كما تتساءلين أنت الآن ـ وبم كان هذا ؟ فقلن : وبم يا رسول الله ؟ فجاءت الإجابة من الرسول ﷺ محددة ، في أمرين لا ثالث لهما : « تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير » .

وقوله : « تكثرن اللعن » أي أن الواحدة منكن تكثر من إلقاء اللعنات ، وقوله : « تكفرن العشير » يعني تجحدن حق الزوج ، وسمى الزوج عشيراً ، لأنه يعاشرها ، وهي تعاشره .

أختي المؤمنة : طاعة زوجك من الأمور الواجبة ، وتكون بالاستجابة له في المعروف ، وتنفيذ ما يأمر به ، وعلم مغاضبته ، والاعتذار إليه عند تقصيرك في حقه ، وطلبك مودته بالبشاشة في الوجه ، ولكن لعلم الله ـ تبارك وتعالى ـ الأزلي ، بأن النساء سيقعن في هذين الأمرين ، جعل لهن مخلصا منهما ، ونجاة ، فقال رسول الله ﷺ : « تصدقن » ، و « أكثرن الاستغفار » .

« تصدقن » أي كن أهل سخاء ، فلا تبخل الواحدة منكن بفضل طعام ، أو شراب ، أو كساء ، ابذلن المعروف ، واتقين النار بالصدقة .

أختي المسلمة : إن الصدقة لا حد لقدرها ، صغيرة ، أو كبيرة ، فإن المراد هو الخروج من الشح والاتصاف بالإيثار ، استمعي إلى رسول الله ﷺ ، وهو يقول : « إن امرأة بغيا[2] رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر[3] ، قد أدلع لسانه[4] من العطش ، فنزعت له بموقها[5] فغفر لها »[6] .

---

(١) أخرجه البخارى (١٠٥٢) .
(٢) البغى : هي الزانية ، والبغاء هو الزنا .
(٣) يطيف ببئر : أي يدور حوله ، ويقال : طاف به ، وأطاف إذا دار حوله .
(٤) أدلع لسانه : أي أخرجه لشدة العطش .
(٥) الموق : هو الخف فارسي معرب ، والمعنى أنها نزعت الماء في خفها للكلب .
(٦) أخرجه مسلم (١٤ / ٢٤٢) .

تأملي كيف أن صدقة قليلة ، جعلت رحمة الله ومغفرته ، تكون من نصيب تلك المرأة ، بل إن رسول الله ﷺ يبسط لنا الأمر ، فيقول : « ليق أحدكم وجهه من النار ، ولو بشق تمرة »[1] . أي بنصف تمرة ، بل إن الكلمة الطيبة التي تخرج من فيك تقولينها لزوجك ، أو لولدك يكتب لك بها صدقة عند الله ، كما قال رسول الله ﷺ : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجد فبكلمة طيبة[2] » ، والبشاشة في وجوه المسلمات تكتب لك بها صدقة ، كما قال رسول الله ﷺ : « لا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق »[3] .

وعندما تقومين بمساعدة جارة لك بأمرها بمعروف أو تحذيرها ونهيها عن منكر قد وقعت تلك الجارة فيه ، يكتب لك بكل هذا حسنات عند الله .

أختي المسلمة . . . . استمعي إلى رسول الله ﷺ وهو يقول : « على كل مسلم صدقة » . قالوا يا رسول الله فمن لم يجد ؟! قال : « يعمل بيده ، فينفع نفسه ، ويتصدق ، قالوا : فإن لم يستطع ؟ ، قال « فيعين ذا الحاجة الملهوف » ، قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال : « فيأمر بالخير أو قال بالمَعْروف » ، قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال « فيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ ، فإنَّهُ له صَدَقَةٌ »[4] .

ولكن هناك أولوية للأقارب في إعطاء الصدقة ، وقيل الأقارب الأولاد .

فعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ قالت : كنت في المسجد ، فرأيت النبي ﷺ فقال : « تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ » وكانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام في حجرها ، فقالت لعبد الله : سل رسول الله ﷺ أيجزئ عني أن أنفق عليك ، وعلى أيتام في حجري من الصدقة ؟ فقال : سلي أنت رسول الله ﷺ ، فانطلقت إلى النبي ﷺ ، فوجدت امرأة من الأنصار على الباب ، حاجتها مثل حاجتي ،

---

(١) أحمد (٣٨٨/١) ، (٤٤٦/١) ، وأبو نعيم (٢١٤/٨) في الحلية ، وإسناده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٢٣) ، ومسلم (١٠١/٧) وأحمد (٢٥٦/٤) ، والنسائي (٧٥/٥) ، والدارمي (٣٩٠/١) ، والبيهقي (٣٩٠/١) ، والبغوي (١٤٠/٦) .

(٣) أخرجه مسلم (١٦ / ١٧٧) .

(٤) أخرجه البخاري (١٤٣/٢) ، (٨/ ١٣) ، ومسلم (٩٤/٧) بنحوه . قوله (الملهوف) هو الذي وقع في شدة ، وورطة يحتاج إلى من يخلصه منها ، ومعنى إعانته أي الأخذ بيده ، وتفريج كربته .

فمر علينا بلال ، فقلنا : سل النبي ﷺ أيجزئ عني أن أنفق على زوجي ، وأيتام في حجري ؟ فقلنا ، لا تخبر بنا ، فدخل ، فسأله ، فقال : من هما ؟ قال : زينب . قال : أي الزيانب ؟ قال : امرأة عبد الله ، قال : « نَعَمْ لَهَا أجرها مرتين ، أجر القرابة ، وأجرُ الصدقة »[1] .

فلابد للمرأة المسلمة أن تعلم أن أفضل ما تنفقه ، هو الذي يكون على زوجها ، أو على ولدها ، ثم يأتي الأقارب في المرتبة التالية ، فعندما تقومين بإعطاء الصدقة ، أو تؤدين فعل المعروف ، فإنه سوف ينجيك ـ هذا الفعل ـ من ميتة السوء .

فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « فعلُ المعروف يقي مصارعَ السوءِ »[2] .

وفعل المعروف . . . هو كل ما تسدينه إلى الغير من جميل وإحسان ، وبر ، وما تمنحيه من عطاء ونفع .

ولقد قال النبي ﷺ مبيناً أنواع الخيرات الكثيرة ، وكثرة طرقها « كُلُّ سُلامى من النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيه الشَّمْسُ ، قال : تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ، وتُعِينُ الرَّجُلَ في دَابَّته فَتَحملُهُ عَلَيْهَا ، أوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، قال : والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيها إلَى الصلاةِ صَدَقَةٌ ، وتُمِيطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ »[3] .

أما قوله ﷺ : « وأكثرن الاستغفار » . فيه دعوة من النبي ﷺ إلى كثرة الاستغفار ، يعني أن تطلبي من الله المغفرة ، وستر الذنوب والعيوب ، وهي في معنى التوبة تماما ، وعندما نتأمل في كتاب الله نجد أنه قد امتلأ بالآيات القرآنية التي تدعو إلى الاستغفار ، أو التي تبين فضل الاستغفار ، ولا يختلف الحال في السنة المطهرة .

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٠/٢) ، ومسلم (٨٧/٧) بمعناه ، وعنده : (أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما ، وعلى أيتام في حجورهما) .

(٢) إسناده صحيح ، أخرجه ابن أبي الدنيا (٣) في قضاء الحوائج .

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٥/٣) ، (٤٢/٤) ، ومسلم (٩٥/٧) واللفظ لمسلم قوله : « سلامى » : هو العضو من الإنسان ، وقيل الأنملة من أنامل الأصابع ، ثم استعمل في سائر عظام البدن ومفاصله ، والمعنى : على كل عظم ومفصل من ابن آدم صدقة ، وفي الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلاً .

فلقد أمر ربنا تبارك وتعالى نبيه ﷺ وهو المعصوم بالاستغفار، فقال له جل شأنه: ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللهَ إنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾[1].

وقول تقدست أسماؤه: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾[2].

وبين ربنا - تبارك وتعالى - أن من عمل سوءاً، أو ظلم نفسه بفعل ما يغضب ،ما عليه إلا أن يستغفر ربه، ويعود إليه بتوبة نصوح.

قال عز وجل: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾[3]. وقال جل شأنه: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[4].

أختي المسلمة . . . : اعلمي أنك عندما تلزمين الاستغفار، سيجعل الله لك من كل ضيق مخرجاً، ومن كل شدة سبيلاً للنجاة، ومن كل هم فرجاً، ومن كل حزن سروراً، وهذا كله جزاء الاستغفار في الدنيا، أما في الآخرة فمغفرة الذنوب، ودخول الجنة، وياله من جزاء تتلهف له النفس، ويتشوق إليه القلب، ومن أجل أن تحظى بهذا الثواب عليك أن تكثري من الاستغفار بالليل والنهار، في الجهر والإسرار.

قال لقمان الحكيم لابنه: يا بني عود لسانك اللهم اغفر لي، وتب علي، فإن لله ساعات لا يرد فيها أي سائل.

وقال الحسن البصري رحمه الله: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وفي مجالسكم، وفي أسواقكم، وفي طرقكم، فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة.

وخير ما تستغفرين الله به، هو ما علمنا نبينا ﷺ وهو سيد الاستغفار فعن شداد بن أوس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: « سَيِّدُ الاستغفارِ أنْ تقولَ: اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي، لا إلهَ إلا أنْتَ خَلَقْتَنِي، وأنا عَبْدُكَ، وأنا عَلَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ،

---

(١) سورة النساء: ١٠٦
(٢) سورة النصر: ٣
(٣) سورة النساء: ١١٠.
(٤) سورة آل عمران: ١٣٥

أعوذُ بكَ من شرِّ ما صنعتُ ، أبوءُ لكَ بنعمتكَ عليَّ ، وأبوءُ بذنبي ، فاغفِرْ لي ، فإنَّهُ لا يغفِرُ الذُّنوبَ إلا أنتَ » .

قال : « ومَنْ قالَها من النَّهارِ مُوقناً بها فماتَ منْ يومِهِ قبْلَ أن يُمْسيَ فهُوَ منْ أهْلِ الجنَّة ، ومَنْ قالَها منَ اللَّيْلِ ، وهُوَ مُوقِنٌ بِها ، فماتَ قبْل أنْ يُصْبِحَ فهُوَ منْ أهْلِ الجنَّة »[1] .

ولقد قال العلماء : لما كان هذا الدعاء جامعاً لمعانى التوبة كلها استعير له اسم السيد ، وهو فى الأصل الرئيس الذى يقصد فى الحوائج ، ويرجع إليه فى الأمور .

وكأنك أختي المسلمة كلما اشتد بك الغم ، أو حزبك الأمر ، فاهرعى إلى هذا الاستغفار ، لكى تنالى ما فيه من خير وثواب .

ولنتأمل فى سيد الاستغفار ، ونعيش مع ما فيه من أدب وبيان .

قولــه : « خلقتنى » اعتراف لله بالربوبية ، فهو الخالق سبحانه لا شريك له ، أما قوله : « وأنا على عهدك » يريد أنا على ما عهدتك عليه ، وواعدتك من الإيمان بك ، وإخلاص الطاعة لك ما استطعت من ذلك .

ويحتمل أن يريد : أنا مقيم على ما عهدت إلى من أمرك ، ومتمسك به ، ومتنجز وعدك فى المثوبة والأجر .

قوله : « ما استطعت » اشتراط الاستطاعة فى ذلك معناه : الاعتراف بالعجز ، والقصور عن كنه الواجب من حقه عز وجل .

وقال ابن بطال رحمه الله : « ما استطعت » إعلام لأمته أن أحداً لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه لله ، ولا الوفاء بكمال الطاعات ، والشكر على النعم ، فرفق الله بعباده فلم يكلفهم من ذلك إلا وسعهم .

أما قوله ﷺ : « أعوذ بك من شر ما صنعت » أى من شر ما صنعته من الإثم ، والعذاب والبلاء المترتب على ذلك .

---

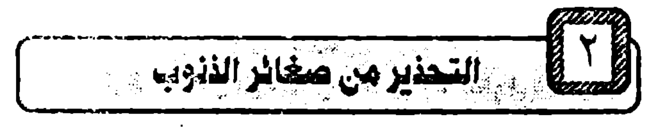
(١) أخرجه البخارى (٨ / ٨٣) ، والترمذى (٣٤٥٣) ، والنسائى (٨ / ٢٧٩) ، وأحمد (١٢٢/٤ ، ١٢٥) من طرق من حديث شداد بن أوس رضى الله عنه .

قوله : « أبوء لك بنعمتك على » معناه الاعتراف بالنعمة ، وكذلك قوله : « أبوء بذنبى » معناه : الإقرار به ، وفيه معنى ليس فى الأول : تقول العرب : باءَ فلان بذنبه : إذا احتمله كرهاً لا يستطيع دفعه ، وأصل البواء : اللزوم ، معناه : أقر به وألزم نفسى ، يقال : أباء الإمام فلانا بفلان : إذا ألزمه دمه ، وقتله به ، ومنه قوله عز وجل ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ ﴾[1] . أى لزمهم ، ورجعوا به .

قال العلامة الطيبى رحمه الله : اعترف أولاً بأنه تعالى أنعم عليه ، ولم يقيده ليشمل جميع أنواع النعم ، ثم اعترف بالتقصير ، وأنه لم يقم بأداء شكرها ، ثم بالغ فعده ذنبا مبالغة فى هضم نفسه تعليماً لأمته .

قال الحافظ : ويحتمل أن يكون قوله : « وأبوء لك بذنبى » اعتراف بوقوع الذنب مطلقاً ليصح الاستغفار منه ، لا أنه عَدّ ما قصر فيه من أداء شكر النعم ذنبا .

وهكذا تنتهى رحلتنا مع سيد الاستغفار ، وبها تنتهى الوصية الأولى من وصايا الرسول ﷺ ، والحمد لله رب العالمين .



٢ التحذير من صغائر الذنوب

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال لى رسول الله ﷺ : « يا عائشة إياكِ وَمُحقَّراتِ الأعمَالِ [وفى لفظ : الذنوبِ] فَإنَّ لَهَا مِنَ الله طَالِباً »[2] .

أختى المسلمة . . . : هذه هى وصية الرسول ﷺ إلى أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ وهى وصية غالية نفيسة ، إنها تحذير من أمر يغفل عنه أكثر الخلق ، ألا وهو صغائر الذنوب .

قال أنس ـ رضى الله عنه ـ بعد وفاة النبى ﷺ : « إنكُمْ لَتَعْمَلُونَ أعمَالاً هى أدَقُّ

---

(١) سورة البقرة : ٦١

(٢) إسناده صحيح ، أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٣) ، وأحمد (٦/ ٧٠ ، ١٥١) ، والدارمى (٢٧٢٩) وابن حبان (٥٥٤٢) ، والقضاعى فى مسند الشهاب (٩٥٥) ، قوله : « محقرات » : الصغائر، ومحقرات الأعمال هى الأمور التى يقع فيها المرء ، ولا يبالى بقدرها ، وقال ابن بطال : المحقرات إذا كثرت صارت كباراً مع الإصرار .

فى أعيُنِكُمْ مِنَ الشَّعرِ ، إنْ كُنَّا لنعُدُّها علَى عَهْدِ النَّبى ﷺ من الموبِقَاتَ »[1] ، قال البخارى يعْنى بِالمَهْلِكَاتِ المُهْلِكَاتِ .

تأملى أختى المؤمنة إذا كانت تلك المقـالة من أنـس فى عصر من بقى من الصحابة ، وعصر التابعين ، فكيف لو رأى أنس ـ رضي الله عنه ـ أحوال الناس اليوم ؟

إن المؤمن يحزن ويتحسر لتفريط أهل الإسلام فى حقوق الله تعالى ، ولا يستطيع إلا أن يقول : واحسرتاه يا عباد الله .

استمعى أختى المسلمة إلى أم الدرداء وهى تقول : دخل أبو الدرداء يوماً مغضباً ، قالت : فقلت مالك ؟ فقال : « والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد ﷺ إلا أنهم يصلون جميعاً »[2] .

تُرىَ ماذا يقول أبو الدرداء لو رأى الناس اليوم ؟

إن المؤمنة الصادقة فى إيمانها لا تنظر إلى المعصية التى وقعت فيها وتقول بلا اهتمام إنها صغيرة ، إنها بسيطة ، بل تخشى على نفسها من عقاب الرحمن ، وتبكى خوفاً من ألم النيران ، وتتحسر أن يحرمها ربها من دخول الجنان .

وقديما قال الزاهد بلال بن سعد رحمه الله : « لا تنظر إلى صغر الخطيئة ، ولكن انظر من عصيت »[3] .

إن المؤمنة الصادقة تخشى على نفسها ، وتخاف عذاب ربها ، ولذا فهى دائما فى طاعة الله أو فى قيام بخير من الخيرات .

وقديماً قال أبو جعفر السائح رحمه الله : بلغنا عن امرأة متعبدة كانت تصلى الضحى مائة ركعة كل يوم ، وكانت تصلى بالليل لا تستريح ، وكانت تقول لزوجها : قم ويحك إلى متى تنام ؟ إلى متى أنت فى غفلة ؟ أقسمت عليك أن لا تكسب معيشتك إلا من حلال ، أقسمت عليك أن لا تدخل النار من أجلى ، بر أمك ، صل رحمك ، لا تقطعهم فيقطع الله بك[4] وهكذا كانت المرأة المسلمة عابدة ، تقية ،

---

(١) أخرجه البخارى (٨ / ١٢٨) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (ص / ١٧٢) فى الزهد .

(٣) الزهد لأحمد (ص / ٤٦٠) ، وحلية الأولياء (٥ / ٢٢٣) لأبى نعيم .

(٤) أورده ابن الجوزى (٤ / ٤٣٧) فى صفة الصفوة .

مساعدة لزوجها على أمور الدنيا والآخرة .

أما اليوم ـ إلا من رحم ربى ـ نرى المرأة المسلمة لا تهتم بالصغائر ، بل وتفعل الكبائر جهاراً نهاراً ، ولا تخشى من غضب الجبار ، وكانت البداية أنها استصغرت الذنب ، ولم تعلم أن العبد كلما استصغر ذنباً ، عظمه وكبره المولى تبارك وتعالى ، ولم تكتف بهذا حتى وقعت فى الكبائر ، وكانت البداية صغائر الذنوب .

وصدق الشاعر حيث قال :

كل الحـــوادث مبداهـــا من النظر ومُعْظَمُ النـار من مُسْتَصغَرِ الشـرر
كم نظرةً فتكتْ فى قـلب صاحبهـا فتكَ الســـهـام بلا قوسٍ ولا وتر

فلابد للمرأة المسلمة من الإقلاع عن الصغائر ، هذا فضلاً من باب الأولى ، البعد عن الكبائر .

فعندما تتركين الكبائر ، وتعملين على التوبة من الصغائر ، بالاستغفار ، والندم عليها ، وتعترفين فى داخلك أن المعصية مهما كانت صغيرة فهى فى حق الله ـ جل جلاله ـ خالق السماوات والأرض ، صاحب الفضل فى كل شئ ، بهذا الندم والاعتراف ، فإن الله بواسع مغفرته ، وسعة رحمته ، يعفو ، ويتجاوز ، كما قال جل جلاله : ﴿ إن تَجْتَنِبُوا كَبَائـر مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِرْ عَنـكُمْ سيِئَاتِكُمْ وَنُدْخِلكُم مُدْخَلا كَرِيماً ﴾[1] .

وقال جل شأنه : ﴿ والَّذِينَ يَجْتَنِبُون كَبَائر الإثْمِ والْفَوَاحِـش وَإذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغفِرُون ﴾[2] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُون كَبَائر الإثْمِ والْفَوَاحِش إلا اللَّمَمَ إنَ رَبَّك وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾[3] .

وأخيراً :

قبل أن نترك تلك الوصية الغالية ، قد تتساءلين أختى المسلمة ، فتقولين : أليست الصغائر تغفر كثيرها من أنواع المعاصى ؟

لا نستطيع أن نقول إلا أن الله عظيم المغفرة ، واسع الرحمة ، يغفر لمن يشاء ،

---

(١) سورة النساء : ٣١ . (٢) سورة الشورى : ٣٧ . (٣) سورة النجم : ٣٢ .

ولكن ألا تعلمين أن تلك الصغائر إذا اجتمعت على المرء أهلكته ، وأدخلته النار ، أعاذنا الله منها .

لقد ظن أصحاب النبى ﷺ كما تظنين ، فأراد النبى ـ ﷺ ـ أن يبين لهم خطر هذا الأمر ، وعظم هذا الحال ، فقال فيما رواه سهل بن سعد ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد ، فجاء هذا بعود ، وجاء هذا بعود ، وجاء هذا بعود ، أنضجوا خبزتهم ، وإن محقرات الذنوب لموبقات »[1] .

٣ خير الزاد التقوى ... والرفق زينة الأمور

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال لى رسول الله ﷺ : « يا عائشة عليك بتقوى الله عز وجل ، وَالرِّفْقِ ، فَإِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يَكُ فِى شَىءٍ قَطُّ إلا زَانَه ، وَلَمْ يُنْزَعْ مِنْ شَىءٍ قَطُّ إلا شَانَهُ »[2] .

أختى المسلمة . . . : هذه الوصية الغالية أصل من الأصول التى يحيا بها المؤمن فى الدنيا فأصل التقوى أن تجعلى بينك وبين ما تخافين منه وتحذرينه وقاية تقيك منه فتقوى المسلمة لربها أن تجعل بينها وبين ما تخشاه من ربها من غضبه ، وسخطه ، وعقابه وقاية تقيها من ذلك ، وهو فعل طاعة ربها ، واجتناب معاصيه .

ولأن التقوى لها أهمية عظمى فى حياة المسلم والمسلمة فقد وصى ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بها من قبلنا وإيانا ، فقال جل شأنه : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾[3] . إذن فتقوى الله هى وصيته للأولين والآخرين .

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه أحمد (٣٣١/٥) ، والطبرانى (٥٨٧٢) فى الكبير ، وفى الصغير (٤٩/٢) . قال الحافظ الهيثمى : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، والطبرانى فى ثلاثة من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح ، غير عبد الوهاب بن عبد الحكم ، وهو ثقة ، مجمع (١٩٠/١٠) .

(٢) إسناده حسن ، والحديث صحيح . . أخرجه أحمد (٥٨/٦) من طريق شريك عن المقدام بن شريح عن أبيه عن عائشة . فى سنده شريك النخعى ، صدوق يخطئ كثيراً ، قاله الحافظ فى : (التقريب ٣٥١/١) وأخرجه أبو داود (٢٤٧٨) ، وابن حبان (٥٥١) من نفس الطريق ، لكن ليس عندهما ذكر التقوى ، وأخرجه مسلم (١٤٦/١٦) من طريق شعبة عن المقدام عن شريح ، وفيه متابعة لشريك النخعى ، ولم يذكر مسلم (التقوى) .

(٣) سورة النساء : ١٣١

ولقد بين ربنا ـ عز وجل ـ أن التقوى هي خير ما يأخذه المؤمن والمؤمنة من دنياه ، بل وحضنا على ذلك ، فقال عز وجل : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾[1] .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله :

ولست أرى السعادة جمع مال	ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخرا	وعند الله للأتقى مزيد[2]

ولذا كانت التقوى وصية الرسول ﷺ إلى أصحابه ، ولم يزل السلف الصالح يتواصون بها .

فعن أبي ذر وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ قال : « اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ »[3] .

وكان أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ يقول في خطبته : أما بعد . . فإني أوصيكم بتقوى الله ، وأن تثنوا عليه بما هو أهله ، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة ، ولما حضرته الوفاة ، وعهد إلى عمر ـ رضى الله عنهما ـ دعاه فوصاه بوصيته ، وأول ما قاله له : « اتق الله يا عمر » .

وكتب عمر إلى ابنه عبد الله أما بعد . . فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل ، فإن من اتقاه وقاه ، ومن أقرضه جزاه ومن شكره زاده ، واجعل التقوى نصب عينيك ، وجلاء قلبك .

واستعمل علي بن أبي طالب ـ رضى الله عنه ـ رجلاً على سرية فقال له : أوصيك بتقوى الله عز وجل الذي لابد لك من لقائه ، ولا منتهى لك دونه ، وهو يملك الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة البقرة : ١٩٧ (٢) وقيل إن الأبيات للحطيئة

(٣) إسناده حسن ، أخرجه الترمذي (٢٠٥٣) وقال : حسن صحيح ، من حديث أبي ذر ، (٢٠٥٤) من حديث معاذ ، ثم نقل عن محمود بن غيلان قوله : والصحيح حديث أبي ذر وأخرجه أحمد (١٥٨/٥) ، (٢٢٨/٥) عن أبي ذر ومعاذ ، وقال : قال وكيع ، وجدته في كتابي عن أبي ذر وهو السماع الأول ، وأخرجه الدارمي (٣٢٣/٢) ، والحاكم (٥٤/١) من حديث أبي ذر وصححه ، وأخرجه الطبراني (١ / ١٩٢) في الصغير ، وأبو نعيم في الحلية (٣٧٨/٤) ، في سند الحديث ميمون بن أبي شبيب قال الحافظ : صدوق ، التقريب (٢٩١/٢) .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل : أوصيك بتقوى الله عز وجل التى لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثيب إلا عليها ، فإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل ، جعلنا الله وإياك من المتقين ، ولما ولى خطب فحمد الله وأثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، فإن تقوى الله عز وجل خلف من كل شئ ، وليس من تقوى الله خلف .

وقال رجل ليونس بن عبيد ـ رحمه الله ـ أوصنى ، فقال : أوصيك بتقوى الله والإحسان ، وقال له رجل يريد الحج : أوصنى ، فقال له : اتق الله ، فمن اتقى الله فلا وحشة عليه .

وكتب رجل من سلفنا الصالح إلى أخ له ، أوصيك بتقوى الله ، فإنها من أكرم ما أسررت ، وأزين ما أظهرت ، وأفضل ما ادخرت ، أعاننا الله وإياك عليها ، وأوجب لنا ولك ثوابها .

أختى المسلمة . . . المتقون هم أولياء الله وهم الذين يبشرهم ربهم بفوزهم عند الموت ، وهم الذين ينجيهم من النار ، كما قال العلى الغفار : ﴿ ألا إنَّ أوْلياَءَ الله لا خوفٌ عليهم ولاَ هُمْ يحزنُون * الَّذِينَ آمنُوا وكانُوا يتَّقُونَ * لهمُ البُشْرَى فى الحياة الدُّنيا وفى الآخرة ﴾[1] .

والتقوى يأتى ذكرها فى القرآن الكريم بمعان ثلاثة : فتارة تأتى بمعنى الخشية والهيبة من الله ـ عز وجل ـ كما فى قوله تعالى : ﴿ وإيَّاى فاتقُونِ ﴾[2] .

وتارة تأتى بمعنى الطاعة والعبادة كما فى قوله عز وجل : ﴿ ياأيها الَّذِينَ آمنُوا اتَّقُوا الله حقَّ تُقَاته ولا تَمُوتُنَّ إلا وأنتم مُسْلمُون ﴾[3] ، يعنى أطيعوه حق طاعته .

وتارة تأتى بمعنى تنقية القلب من المعاصى والآثام ، وهى تأتى هكذا فى أغلب الآيات القرآنية .

وعندما نحاول معرفة المراد بتقوى الله نجد أن سلفنا الصالح تركوا لنا الكثير من التعريفات ، ولقد حاولوا فيها تحديد المراد بالتقوى ، وإليك بعض التعريفات .

---

(١) سورة يونس : ٦٢ ـ ٦٤ . (٢) سورة البقرة : ٤١ . (٣) سورة آل عمران : ١٠٢ .

سئل علي ـ رضي الله عنه ـ ما التقوى ؟! قال : التقوى هي الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والقناعة بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

وقال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ : تمام التقوى أن يتقي الله العبد ، حتى يتقيه من مثقال ذرة ، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً ، يكون حجاباً بينه وبين الحرام ، فإن الله قد بين للعباد الجزاء الذى يصيرهم إليه فقال : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾[1] فلا تحقرن شيئاً من الخير أن تفعله ، ولا شيئاً من الشر أن تتقيه .

وقال معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ يحبس الناس يوم القيامة في بقيع واحد ، فينادي مناد . . أين المتقون ؟ فيقومون في كنف الرحمن ، لا يحتجب الله منهم ولا يستتر ، قلت : من المتقون ؟ قال : قوم اتقوا الشرك ، وعبادة الأوثان ، وأخلصوا لله العبادة ، فيمرون إلى الجنة .

وقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في قوله تعالى : ﴿ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾[2] قال : أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر .

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ حق تقاته : أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ويقوموا بالقسط ، ولو على أنفسهم ، وآبائهم ، وأبنائهم .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : لا يتقي الله حق تقاته حتى يخزن[3] لسانه .

وقال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ : ليس تقوى الله بصيام النهار ، وبقيام الليل ، والتخليط فيما بين ذلك ، ولكن تقوى الله : ترك ما حرم الله ، وأداء ما افترض الله . فمن رزق بعد ذلك خير فهو خير إلى خير .

وقال طلق بن حبيب ـ رحمه الله ـ : التقوى أن تعمل بطاعة الله ، على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله ، على نور من الله ، تخاف عقاب الله .

وقال محمد بن حنيف ـ رحمه الله ـ : التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله تعالى .

---

(١) سورة الزلزلة : ٧ ـ ٨ . (٢) سورة آل عمران: ١٠٢ .

(٣) خزن الشيء ، يخزنه خزنا واختزنه ، أحرزه ، وجعله في خزانة ، واختزنه لنفسه ، والمراد الإمساك عن الكلام إلا ما علم فيه الفلاح والنجاح .

وقال الشريف الجرجاني : التقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص ، وفي المعصية يراد بها الترك والحذر ، وقيل : التقوى : أن لا يراك الله حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك . وقيل : التقوى : أن تزين سرك للحق ، كما تزين علانيتك للخلق .

أختي المسلمة : هذه الكلمات التي يشع منها النور ، ويشعر المرء بالإيمان يخرج من بين ثناياها قيلت في حق التقوى ، أما عن المتقين فقد قال سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ : سموا بالمتقين لأنهم اتقوا ما لا يتقى .

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ : المتقون : اتقوا ما حرم الله عليهم ، وأدوا ما افترض عليهم .

وقال ميمون بن مهران ـ رحمه الله ـ لا يكون الرجل تقياً حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح ، والسلطان الجائر .

وقال شهر بن حوشب ـ رحمه الله ـ : المتقي من يترك مالا بأس به ، حذراً من الوقوع فيما به بأس .

وقيل : المتقي الذي اتقى الشرك ، وبرئ من النفاق[1]

والآن لقد حان لنا أن نتعرف ما هي صفات أهل التقوى ، حتى يستطيع المرء أن يقوم بفعلها .

لقد حدد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ تلك الصفات في آية عظيمة من كتاب الله ، فقال عز وجل : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[2] .

إذن تلك هي صفات المتقين لمن أراد أن يعرف صفاتهم ، ونستطيع تحديد تلك الصفات في المبادئ والسلوكيات التالية :

١ ـ الإيمان بالله تبارك وتعالى .

---

(١) هذه الأقوال مستفادة من كتاب التقوى (١٧ ـ ١٨) للأستاذ صلاح الدين الماردينى .

(٢) سورة البقرة : ١٧٧

٢ ـ الإيمان بالملائكة عليهم السلام .

٣ ـ الإيمان بالكتب السماوية المنزلة من عند الله .

٤ ـ الإيمان برسل الله عليهم صلوات الله وسلامه .

٥ ـ الإيمان باليوم الآخر .

٦ ـ إقامة الصلاة .

٧ ـ إيتاء الزكاة .

٨ ـ إيتاء المال على حبه لذوى القربى ، واليتامى ، والمساكين . . . إلخ .

٩ ـ الوفاء بالعهد .

١٠ ـ الصبر فى البأساء والضراء وحين البأس .

١١ ـ الصدق مع الله .

١٢ ـ تعظيم شعائر الله ، كما فى قوله : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[1] .

١٣ ـ الإنفاق فى السراء والضراء .

قال تبارك وتعالى : ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[2]

١٤ ـ كظم الغيظ .

١٥ ـ العفو عن الناس .

١٦ ـ الإيمان بما ورد عن الله ورسوله ﷺ من أمور الغيب .

قال جل شأنه : ﴿ الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾[3] .

أختى المسلمة . . . : هذه هى صفات أهل التقوى فما ينبغى لك إلا التمسك

---

(١) سورة الحج : ٣٢ . (٢) سورة آل عمران : ١٣٣ ـ ١٣٤ . (٣) سورة البقرة : ١ ـ ٣

بها ، والحرص عليها ، لأن بركة التقوى لاغنى لمسلم ولا مسلمة عنها ، وبركة التقوى لا تخطئ صاحبها .

وإنا سألت عن بركات التقوى ، فقلت : وما هى ، بركة التقوى ؟

قلت لك : إن بركة التقوى فوق أن تتخيليها ، أو تتفكرى فيها ، ولكن عندما تقرأين فى كتاب الله ستجدين أن ثمار التقوى عظيمة ، فمن بركات التقوى ما يلى :

١ ـ الانتفاع بالقرآن الكريم ، وبما فيه من هداية .

قال عز وجل : ﴿ ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمتَّقِينَ ﴾[1] .

٢ ـ المكانة العليا ، والمنزلة السامية عند الله يوم القيامة .

قال تبارك وتعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[2] .

٣ ـ الفوز بالجنات بما فيها من أنهار جارية ، وأزواج مطهرة ، ورضوان من الله .

قال جل ثناؤه : ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِن ذَلِكُم لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[3] .

٤ ـ الوصول إلى محبة الله عز وجل :

قال تبارك وتعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[4] .

وقال جل ذكره :﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[5].

٥ ـ الفوز بمعية الله سبحانه وتعالى :

قال تقدست أسماؤه : ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[6] .

وقال جل وعلا : ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾[7] .

٦ ـ الفلاح والنجاح ، قال تبارك وتعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ يَاأُولِى الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[8] .

---

(١) سورة البقرة : ٢. (٢) سورة البقرة : ٢١٢ . (٣) سورة آل عمران : ١٥.

(٤) سورة آل عمران : ٧٦. (٥) سورة التوبة : ٧. (٦) سورة البقرة : ١٩٤.

(٧) سورة النحل : ١٢٨. (٨) سورة المائدة : ١٠٠

٧ ـ ذهاب الخوف والحزن من القلب ، والفوز والبشارة بالخير في الدنيا .

قال العزيز الغفار : ﴿ فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ
نُونَ ﴾(١) .

وقال عز وجل : ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ
وا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٢) .

٨ ـ فتح البركات والنعم من السماء والأرض .

قال عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ
ماء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(٣) .

٩ ـ حصول العبد على ما يفرق به بين الحق والباطل . قال تبارك وتعالى :
يُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(٤) .

١٠ ـ الوصول إلى ولاية الله ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ
اء بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾(٥) .

١١ ـ النجاة من النار في يوم القيامة قال عز وجل : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ
رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً ﴾(٦) .

وقال : ﴿ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾(٧) .

١٢ ـ الحشر مع وفد الرحمن . قال تبارك وتعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى
حْمَنِ وَفْداً ﴾(٨) .

١٣ ـ حسن العاقبة ، قال عز وجل : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ
لُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾(٩) .

وقال جل شأنه : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ

(١) سورة الأعراف : ٣٥ . (٢) سورة يونس : ٦٢ ـ ٦٤ . (٣) سورة الأعراف : ٩٦.
(٤) سورة الأنفال : ٢٩ . (٥) سورة الجاثية : ١٩ . (٦) سورة مريم : ٧١ ـ ٧٢.
(٧) سورة فصلت : ١٨ . (٨) سورة مريم : ٨٥ . (٩) سورة طه : ١٣٢ .

﴿ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] .

١٤ ـ الفوز وغفران الذنوب ، قال عز وجل : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[2] .

وقال جل وعلا : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[3] .

١٥ ـ الصداقة الرابحة في يوم القيامة : قال جل شأنه : ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ ﴾[4] .

١٦ ـ المقام الأمين عند الله ، قال جل ذكره : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾[5] .

١٧ ـ الكرامة عند الله ، قال جل وعلا : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[6] .

١٨ ـ الفوز بمقعد صدق في الجنة ، قال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[7] .

١٩ ـ الحصول على الرحمة والهداية والمغفرة من الله ، قال تبارك وتعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[8] .

٢٠ ـ الخروج من الهم والضيق في الدنيا والآخرة ، قال عز وجل : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾[9] .

٢١ ـ تيسير الأمور وتكفير السيئات وتعظيم الأجر ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً * ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً ﴾[10] .

٢٢ ـ النجاة من كيد الحاقدين والحاسدين ، قال عز وجل : ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا

---

(١) سورة القصص : ٨٣ .
(٢) سورة النور : ٥٢ .
(٣) سورة الأحزاب : ٧٠ ـ ٧١
(٤) سورة الزخرف : ٦٧.
(٥) سورة الدخان : ٥١
(٦) سورة الحجرات : ١٣.
(٧) سورة القمر : ٥٤ ـ ٥٥.
(٨) سورة الحديد : ٢٨
(٩) سورة الطلاق : ٢ ـ ٣.
(١٠) سورة الطلاق : ٤ ـ ٥

... أ لا يَضُرُّكُمْ كيدهم شيئًا إنَّ الله بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[1] .

٢٣ ـ قبول العمل عند الله ، قال جل شأنه : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[2] .

٢٤ ـ الاستقبال الطيب من الملائكة يوم القيامة ، قال جل ذكره : ﴿ وَسِيقَ ... اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ... مْ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾[3] .

أختى المؤمنة : بعد أن عشنا فى هذا الجو القرآنى ، مع بركة التقوى وفضلها ، فإن ... بعد هذا لا يجد إلا أنه مطالب بالتنافس على هذا الزاد ، والعمل على ... عليه ، خوف بغتة الموت .

قال الشاعر :

... ود من التقوى فإنك لا تدرى ... إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر ؟

... من صحيح مات من غير علة ... وكم من عليل عاش حيناً من الدهر

... كم من صغار يرتجى طول عمرهم ... وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر

... كم من عروس زينوها لزوجها ... وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

... كم من فتى أمسى وأصبح ضاحكاً ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى

وقال آخر :

... عليك بتقوى الله فالزمها تفز ... إن التقى هو البهى الأهيب

... اعمل بطاعته تنل منه الرضا ... إن المطيع لربه لمقرب

وقال أبو الدرداء ـ رضى الله عنه ـ :

... يريد المرء أن يؤتى مناه ... ويأبى الله إلا ما أرادا

يقول المرء فائدتى ومالى ... وتقوى الله أفضل ما استفادا

أختى المسلمة : إلى هنا ينتهى الشق الأول من وصية الرسول ﷺ لعائشة ، أما الشق الثانى هو الحديث عن الرفق .

الرفق معناه لين الجانب ، وبشاشة الوجه ، وسعة الصدر ، وعندما تتصف المسلمة

---

(١) سورة آل عمران : ١٢٠ (٢) سورة المائدة : ٢٧ (٣) سورة الزمر : ٧٣

بهذه الصفات ، فإن فى ذلك التآلف بين المسلمات بعضهن البعض .

والرفق قد فضل على كثير من الأخلاق ، ولذلك كان ما يعطيه الله لصاحب ا... من الثناء الحسن فى الدنيا ، والأجر الجزيل فى الآخرة أكثر مما يعطيه على غيره .

وإذا تحلى المرء بالرفق ، ومن المهم أن يتحلى به ، فإنه يزين المرء ، ويجمله ... أعين الناس ، وعند الله تعالى ، وإذا تخلى المرء المسلم ، أو المرأة المسلمة عن ... لحقه ، أو لحقها العيب عند الله ، وعند الناس ، لأن الله رفيق يحب الرفق .

وعندما تتأملين السيرة النبوية العطرة ستجدين خير القدوة فى الرفق هو محمد ... عبد الله النبى الأمى ، ﷺ .

انظرى أختى المسلمة ، وتفكرى : لقد دخل أعرابى إلى مسجد النبى ﷺ ، ... يجلس مع أصحابه ، فجاء إلى ركن من أركان المسجد ، وبال فيه ، فقام المسلمون ليضربوه ، ويقعوا فيه ، فقال لهم النبى ﷺ فى رفق شديد : « دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى ... سَجْلاً[1] ، مِنْ مَاءٍ ، أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ ، وَلَمْ تُ... مُعَسِّرِينَ »[2] .

انظرى إلى سعة رفقه ﷺ ، وتأملى فى سماحه ، ولين جانبه .

يدخل النبى ﷺ إلى صلاته ، فيصلى بالناس إماما ، فيسمع ، وهو فى صـ... بطفل لامرأة من المصليات يبكى ، فيخفف من صلاته ، ويقول بعد الصلاة ، مع... لمبدأ الرفق : « إِنِّى لأَقُومُ فِى الصَّلاَةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا ، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِىِّ فَأَتَجَوَّزُ فِى صَلاَتِى ، كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ »[3] .

إنها صور من رفقه ﷺ الذى تعدى الإنسان إلى الرفق بالحيوان : فيقول ﷺ : « إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ »[4] .

هكذا يتجلى رفقه ﷺ حتى مع الحيوانات .

---

(١) السجل : هو الدلو الذى امتلأ بالماء ، وهو كذلك الذنوب .

(٢) صحيح ، أخرجه البخارى (١ / ٦٥) .

(٣) صحيح ، أخرجه البخارى (١٨١/١) ، ومسلم (١٨٧/٤) ، وغيرهما من أصحاب السنن .

(٤) صحيح ، أخرجه مسلم (١٣ / ١٠٥) ، والبيهقى (٨ / ٦٠) ، (٦٨/٩ ، ٢٨٠) السنن الكبرى .

ويقول أحد أحفـاد أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ : دخلت دار الحكم بن أيوب ، فإذا قوم قد نصبوا دجاجة يرمونها ، قال ، فقال أنس : « نَهَى رَسُولُ الله ﷺ أنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ »[1] يعنى تحبس ، وتقيد لم ترمى حتى تموت :

ولقد تعلم الصحابة من نبيهم ﷺ تلك الصور من الرفق .

يمر ابن عمر ـ رضى الله عنهمـا ـ بفتيان من قريش ، قد نصبوا طيرا ، وهم يرمونه ، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئه من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا ، فقال ابن عمر : « مَنْ فَعَلَ هَذَا ، لَعَنَ الله مَنْ فَعَلَ هَذَا ، إن رَسُولَ الله ﷺ لَعَنَ مَن اتَّخَذَ شيئاً فيه الرُّوحُ غَرَضاً »[2] .

وعن ابن سيرين أن عمر ـ رضى الله عنه ـ رأى رجلاً يسحب شاة برجلها ، ليذبحها ، فقال له : ويلك ، قدها إلى الموت قوداً جميلاً .

إنها صور من الرفق تتعلمها من النبى ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم ، تأملى أختى المسلمة فى هذا المثال الرائع فى الرفق بالحيوان :

كان عدى بن حاتم ـ رضى الله عنه ـ يجمع ما تبقى منه من فتات الخبز ، ثم يضعه للنمل الذى يسير على جدار منزله من الخارج ، فيسأل عن ذلك ، فيقول : إنهم جيرانى ، ولهم على حق .

فهلمى أختى المسلمة ، اجعلى الرفق زينة لك ، لتتحلين بها فى معاملة أولادك ، وزوجك ، وجيرانك .

اجعلى الرفق هو طريقك فى الحياة تصلى إلى ما تريدين .

قال الأصمعى :

لَمْ أرَ مِـثْـلَ الرِّفْـقِ فِي لِـيـنـه	أخْرَجَ لِلْـعَـذْرَاءِ مِنْ خِـدْرِهَـا
مَنْ يَسْتَـعِنْ بِـالرِّفْقِ فِـى أمْرِهِ	قَـدْ يُـخْرِجُ الحَـيَّةَ مِن جُحْرِهَـا

* * *

(١) صحيح ، أخرجه البخارى (٧ / ١٢١) ، ومسلم (١٣ / ١٠٧) .
(٢) صحيح . أخرجه البخارى (٧ / ١٢٢) ، ومسلم (١٣ / ١٠٨) .

٤ فضل الصبر على البلاء

عن أم العلاء قالت : عادني رسول الله ﷺ وأنا مريضة ، فقال : « أبشري يا أمَّ العلاء ، فإنَّ مرضَ المسلمِ يذهبُ الله به خطاياه كما تذهبُ النارُ خبثَ الذهبِ والفضةِ »(١) .

أختي المؤمنة :

حتماً سوف تتعرضين في هذه الدنيا إلى البلاء ، الذي قد يكون في نفسك ، أو في زوجك ، أو في ولدك إلى غير هؤلاء من عشيرة المرء وقومه .

وهنا يظهر مقدار الإيمان الذي لديك ، فإن الله أنزل بك البلاء لكي يختبر إيمانك ، هل ستصبرين أم تسخطين ؟ ، ولا ترضين بقضاء الله .

وهذه الوصية التي بين يديك الآن ، يقف النبي ﷺ ناصحاً لأم العلاء - رضي الله عنها - مبيناً لها أن المؤمن إنما يبتليه ربه لكي يمحصه من الخطايا والذنوب .

وعندما تتأملين في كتاب الله سوف تجدين أن الذي ينتفع بالآيات والعظات والعبر إنما هم أهل الصبر ، كما قال عز وجل : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾(٢) .

وسوف تجدين أن الله أثنى على أهل الصبر ومدحهم به ، فقال : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾(٣) .

وسوف تعرفين أن أهل الصبر هم أهل محبة الله ، كما قال عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾(٤) .

وستجدين أن الله يجزي أهل الصبر بأحسن أعمالهم ، بل ويزيدهم ، فيجزيهم أجرهم بغير حساب ، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٥) وقال: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٦) .

---

(١) إسناده صحيح ، أخرجه أبو داود (٣٠٩٢) قال : حدثنا سهل بن بكار عن أبي عوانة عن عبد الملك ابن عمير عن أم العلاء به .

(٢) سورة الشورى : ٣٢ - ٣٣ (٣) سورة البقرة : ١٧٧ (٤) سورة آل عمران : ١٤٦

(٥) سورة النحل : ٩٦ (٦) سورة الزمر : ١٠

بل سوف تدركين أن الفوز في يوم القيامة ، والنجاة من النار ، سيكون لأهل الصبر ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[1] .

نعم أختي المسلمة كل هذا الجزاء ، وذلك الثواب لأهل الصبر على البلاء ، ولم لا ؟!! والمؤمن دائما حاله في خير .

فعن صهيب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « عَجَبًا لأمْرِ المُؤْمِنِ ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خيرٌ ، إنْ أصابَتْهُ سرَّاءُ شكر ، فكَانَ خيراً لَهُ ، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ صبرَ فكَانَ خيراً لَهُ »[2] .

ولابد لك أيتها الأخت المؤمنة أن تعلمي أن الله يختبرك بقدر ما لديك من إيمان ، فإن كان إيمانك عظيم القدر ، شدد الله عليك في البلاء وإن كان في دينك الضعف خفف عليك في البلاء ، استمعي : عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال : قلت يا رسول الله أي النَّاسِ أشَدُّ بلاءً ؟ قال : « الأنبياءُ ، ثُمَّ الأمْثَلُ فالأمْثَلُ ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دينه ، فإنْ كَانَ في دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه فما يبرحُ البَلاءُ بالعَبْدِ حتَّى يَمْشِيَ عَلَى الأرْضِ ، وما عليه خطيئة »[3]

وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : دخلت على النبي ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ[4] فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ ، فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بين يَدَيَّ ، فَوْقَ اللحاف ، فَقُلْتُ : يا رسول الله ما أشدها عليك! قال « إنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا البَلاءُ ، وَيُضَعَّفُ لَنَا الأجْرُ » ، قُلْتُ : يا رسول الله ! أيُّ النَّاسِ أشَدُّ بَلاءً ؟ قال : « الأنبياءُ » . قُلْتُ : يا رسول الله ! ثُمَّ مَنْ ؟ قالَ : « ثُمَّ الصَّالِحُونَ ، إنْ كَانَ أحَدُهُمْ لَيُبْتَلَى بالفَقْرِ ، حتَّى ما يجدُ أحدُهُم إلا العَبَاءَةَ يَحوِيها ، وَإنْ كَانَ أحَدُهُمْ لَيَفْرحُ بِالبَلاءِ كَمَا يَفْرحُ أحَدُكُم بِالرَّخاءِ »[5].

---

(١) سورة الرعد ، ٢٣ ـ ٢٤ (٢) أخرجه مسلم (١٢٥/٨) في الزهد .

(٣) إسناده صحيح ، أخرجه الترمذي (٢٥٠٩) ، وابن ماجه (٤٠٢٣) ، والدارمي (٣٢٠/٢) ، وأحمد (١٧٢/١ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٥) من طريق عاصم بن بهدلة حدثني مصعب بن سعد عن أبيه ، وهذا إسناده حسن ، فإن عاصماً ، قال الحافظ فيه صدوق له أوهام ، التقريب (١٨٣/١) ولكن أخرجه الحاكم (٤٠/١ ـ ٤١) من طريق العلاء بن المسيب عن مصعب عن أبيه قال ؛ والعلاء بن المسيب ، ثقة ، كما في التقريب (٩٤/٢) وهو متابع لعاصم .

(٤) يوعك ، الوعك الحمى ، وقيل ألمها ، إسناده صحيح .

(٥) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٤) ، والحاكم (٣٠٧/٤) وصححه وأقره الذهبي .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال قال رسول الله ﷺ : « ما يَزَالُ الْبَلاءُ بالمُؤمنِ والمؤمنة فِي نَفْسِه ، وَوَلَدِهِ ، وَمَالِه ، حَتَّى يَلْقَى الله وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ »[1] .

وعندما تتساءلين ولِمَ لا يعافى المؤمن لفضله عند ربي ؟

نقول : إن ربنا ـ تبارك وتعالى ـ أراد أن ينقي المؤمن من معاصيه ، ومن آثامه ، وذنوبه ، فلم تقض حسناته بهذا ، فابتلاه ربه حتى يطهره ، وهذا ما بينه النبي ﷺ لأم العلاء ، ولعبد الله بن مسعود ، فلقد قال عبد الله بن مسعود : دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك ، فقلت : يا رسول الله ! إنك لتوعك وعكاً شديداً !!!

فقال رسول الله ﷺ : « أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم » .

قال : فقلت : ذلك أن لك أجرين ؟

فقال رسول الله ﷺ : « أجل » ثم قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ مُسْلِم يُصِيبُهُ أذى مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ إلا حَطَّ الله بِهِ سيِّئَاتِه ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا »[2] .

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول : « ما يُصِيبُ المُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ ، وَلَا نَصَبٍ[3] ، وَلَا سَقَمٍ ، وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهِمُّهُ إلا كَفَّرَ الله بِهِ مِنْ سيِّئَاتِه »[4] .

فالصبر على المرض ، وحبس النفس عن الجزع والتسخط ، وحبس اللسان عن الشكوى ، هم زاد المؤمن في رحلته الدنيوية .

ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له ، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له .

ولذا قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : خير عيش أدركناه بالصبر ، ولذا لو تعلمين ما أعده الله لك من ثواب وأنواع الابتلاء لصبرت على المرض ، تأملي :

---

(١) إسناده حسن ، أخرجه الترمذي (٢٥١٠) وقال : حسن صحيح ؛ وأحمد (٢٨٧/٢ ، ٤٥٠) ، والحاكم (٣٤٦/١) وصححه وأقره الذهبي ، وأبو نعيم (٩١/٧) في حلية الأولياء ، ولعل الحديث له متابعات أو شواهد ، فقد صححه الشيخ الألباني (٥٦٩١) صحيح الجامع .

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩/٧) ، ومسلم (١٢٧/١٦) ، واللفظ له .

(٣) الوصب : الوجع اللازم ، والنصب : التعب .

(٤) أخرجه البخاري (١٤٨/٧ ـ ١٤٩) ، ومسلم (١٦ / ١٣٠) واللفظ له .

عن عطاء بن أبي رباح قال : قال لي ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى ، قال : هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ قالت : إني أُصرَعُ وإني أتكشَّفُ[1] ، فادْعُ الله لي .

قال : « إنْ شئت صبَرْت ولك الجنَّةُ ، وإنْ شئت دَعَوْتُ الله أنْ يُعَافِيَك »[2] . فقالت : أصبِرُ ، وقالَتْ إني أتكشَّفُ فَادْعُ الله أنْ لا أتكشَّفَ ، فدَعَا لَهَا .

فانظري كيف أنها اختارت أن تصبر على المرض ، وتدخل الجنة ، وهكذا لابد لك أن تعلمي أن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة .

ومن أنواع الصبر على البلاء أن تصبر المسلمة إذا ابتلاها ربها في بصرها ، لما في ذلك من عظم الجزاء .

فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ الله قَالَ : إذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ ، عَوَّضتُهُ مِنْهُمَا الجنَّةَ[3] يُرِيدُ عَيْنَيْه » .

ولذا كان ينبغي لك أيتها الأخت المؤمنة أن تحتسبي عند المرض ، وتكتمي ما نزل بك من بلاء .

فلقد سمع الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ رجلاً يشكو بلاء نزل به ، فقال له : يا هذا تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك .

وقال بعض السلف الصالح : من شكا مصيبة نزلت به فكأنما شكا ربه وليس المقصود بالشكوى هنا أن تقول للطبيبة التي تعالجها إنها تشكو من مرض كذا ، أو كذا ، إنما المراد الشكوى التي تكون في صورة تحسر ، وتفجع على بلاء الله ، لمن لا

---

(١) أرادت أن عورتها تظهر ، وتبدو عندما يأتيها الصرع .

(٢) أخرجه البخاري (٧/١٥٠) ، ومسلم (١٦/١٣١) .

(٣) أخرجه البخاري (٧/١٥١) في الطب : باب فضل من ذهب بصره .

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ في الفتح (١٠/١١٦) ، قوله : « إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه » قد فسرها آخر الحديث بقوله « ولم يصرح بالذي فسرهما ، والمراد بالحبيبتين المحبوبتان لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه . لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسر به ، أو شر فيجتنبه ، قوله : « فصبر » زاد الترمذي في روايته عن أنس « واحتسب » ، والمراد أنه يصبر مستحضرا ما وعد الله به الصابر من الثواب ، لا أن يصبر مجرداً عن ذلك ، لأن الأعمال بالنيات ، وابتلاء الله عبده في الدنيا ليس من سخطه عليه ، بل إما لدفع مكروه أو كفارة ذنوب أو لرفع منزلة ، فإذا تلقى ذلك بالرضا تم له المراد . انتهى .

حول له ولا قوة فى صرفه كالصديقة ، والجارة وغيرهما .

وكان سلفنا الصالح يقولون : أربع من كنوز الجنة : كتمان المصيبة ، وكتمان الصدقة ، وكتمان الفاقة ، وكتمان الوجع .

أختي المسلمة . . . : اسمعي الإمام ابن عبد ربه الأندلسي وهو يقول :

قال الشيباني : أخبرني صديق لي قال : سمعني شريح وأنا أشكي بعض ما غمني إلى صديق ، فأخذ بيدي وقال : يا ابن أخي إياك والشكوى لغير الله ، فإنه لا يخلو من تشكو إليه أن يكون صديقاً أو عدواً ، فأما الصديق : فتحزنه ولا ينفعك ، أما العدو فيشمت بك ، انظر إلى عيني هذه ، وأشار إلى إحدى عينيه ، فوالله ما أبصرت بها شخصاً ، ولا صديقاً منذ خمس عشرة سنة ، وما أخبرت بها أحداً إلى هذه الغاية ، أما سمعت قول العبد الصالح ﴿ إِنَّمَا أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ ﴾[1] .

فاجعله مشكاك ، ومحزنك عند كل نائبة تنوبك ، فإنه أكرم مسؤول ، وأقرب مدعواً إليه[2] .

اسمعي إلى دريد بن الصمة يرثي أخاه عبد الله بن الصمة فيقول :

قليل التشكي للمصائب ذاكراً من اليوم أعقاب الأحاديث في غد

ولقد قال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ : إذا قضى الله قضاء أحب أن يُرضى بقضائه[3] .

فهيا جددى إيمانك بقول لا إله إلا الله ، واحتسبي بلاءك عند الله ، وإياك أن تقولي لأمر قضاه الله ليته لم يكن .

وما التوفيق إلا من عند الله .

---

(١) سورة يوسف : ٨٦

(٢) العقد الفريد (٢ / ٢٨٢)

(٣) الزهد (١٢٥) لابن المبارك فى زوائد نعيم بن حماد .

٥ التحذير من هجر فراش الزوج

عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال النبي ﷺ : « إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ »[(١)] .

وفي رواية « حتى ترجع » .

أختي المؤمنة . . : هذه وصية غالية من الرسول ﷺ إلى النساء المسلمات ، يحذرهن فيها من الامتناع عن فراش الزوج من غير عذر شرعي كمرض شديد ، وليس الحيض بعذر في الامتناع ، لأن له حقاً في الاستمتاع فوق الإزار .

أختي المسلمة : الإسلام الحنيف ، دين الله الخالد يريد للعلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة أن تكون قوية ، ثابتة ، راسخة .

ولذا يوضح لنا النبي ﷺ الأمور التي تُدخل الضعف والوهن إلى تلك العلاقة ، كما حدد لنا حقوق الرجل على زوجته ، وحقوق الزوجة على زوجها حتى تنتظم تلك العلاقة .

فمن حقوق الزوج على زوجته : حق الفراش ، وهو حقه في الوطء ، وفي الحقيقة أن هذا الحق مشترك بين الرجل والمرأة .

ولكن قد يقع الخلاف بين الرجل وزوجته ، فيصل الأمر إلى النزاع والشقاق .

وقد ينصرف الزوج عن المكان الذى تجلس فيه الزوجة ، طلباً للراحة ، ولتهدئة الوضع ، حتى يجتمعا معاً في فراش الزوجية .

وهنا قد يحاول الزوج أن يصلح ما حدث من شقاق ، أو يحاول تطييب زوجته ، فيستولى الشيطان على قلب الزوجة بألا تقبل هذا الوضع ، ويصل الحال إلى امتناع الزوجة من تلبية دعوة زوجها .

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه البخاري (٣٩/٧) ، ومسلم (١٠/٨) . وأحمد (٣٨٦/٢ ، ٥١٩) والدارمي (١٥٠/٢) ، والبيهقي (٢٩٢/٧) في السنن ، والخطيب (٧٥/٦ ، ٢٨٧) في تاريخه ، واللفظ المذكور لمسلم .

وبهذه الطريقة تدخل المرأة تحت لعنة الملائكة ، وهى لا تشعر ، اسمعى أختى المسلمة إلى هذا الحديث النبوى :

عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ ، فَلَمْ تَأْتِهِ ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا ، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ »[1] .

إنه أمر عظيم عند الله أن يطلب الرجل زوجه لفراشه ، فتأبى الزوجة ، أو تتمارض فإن المؤمنة الصادقة تنسى ما كان من نزاع ، وتعود إلى طاعة زوجها ، طلباً لثواب ربها .

ولقد قال بعض أهل العلم فى قوله عز وجل : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ ﴾[2] أى : قيمات بحقوق أزواجهن ، والقنوت : القيام ، ويقال كذلك للدعاء .

ولتتأمل أختى المسلمة فى هذه الوصية النبوية .

قوله ﷺ : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه » .

قال ابن أبى جمزة ـ رحمه الله ـ : الظاهر أن الفراش كناية عن الجماع ، ويقويه قوله « الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ »[3] أى لمن يطأ فى الفراش ، والكناية عن الأشياء التى يستحيا ؟ منها كثيرة فى القرآن والسنة[4] .

وقوله ﷺ : « فأبت أن تجئ » .

وفى رواية : « فبات غضبان عليها » .

قال الحافظ : وبهذه الزيادة ـ يعنى الرواية السابقة ـ يتجه وقوع اللعن ، لأنها حينئذ يتحقق ثبوت معصيتها ، بخلاف ما إذا لم يغضب من ذلك ، فإنه يكون إما لأنه عذرها ، وإما لأنه ترك حقه من ذلك .

وقال ابن أبى جمرة ـ رحمه الله ـ ذاكراً ما فى الحديث من فوائد : وفيه دليل على قبول دعاء الملائكة من خير أو شر ، لكونه ﷺ خوّفَ من ذلك .

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه البخارى (١٤١/٤) ، (٣٩/٧) ، ومسلم (٨/١٠) ، وأحمد (٤٨٠/٢) ، وأبو داود (٢١٤١) ، والبيهقى (٢٩٢/٧) فى السنن الكبرى ، والبغوى (١٥٧/٩) فى شرح السنة ، والخطيب (١٠٥/٢) فى تاريخه .

(٢) سورة النساء : ٣٤

(٣) أخرجه البخارى (١٩١/٨) ، ومسلم (١٠ / ٣٧) .

(٤) فتح البارى (٢٩٤/٩) .

وفيه أن صبر الرجل على ترك الجماع أضعف من صبر المرأة .

وفيه : أن أقوى التشويشات على الرجل داعية النكاح ، ولذلك حض الشارع النساء على مساعدة الرجال فى ذلك .

وفيه : إشارة إلى ملازمة طاعة الله ، والصبر على عبادته ، جزاء على مراعاته لعبده ، حيث لم يترك شيئاً من حقوقه إلا جعل له من يقوم به ، حتى جعل ملائكته تلعن من أغضب عبده بمنع شهوة من شهواته ، فعلى العبد أن يوفى حقوق ربه التى طلبها منه ، وإلا فما أقبح الجفاء من الفقير المحتاج إلى الغنى الكثير الإحسان .

أختى المسلمة ، إن دوام الحياة الزوجية رهن بدوام المحبة بين الزوجين ، والمحبة هى الحب السليم يتحول بعد الزواج إلى إحساس بتبادل المودة ، والرحمة بين الزوجين ، وشعور بالواجب الملقى على كل منهما ، بحيث يسود الحياة الزوجية تفاهم وتسامح ورضا .

وقد عبر زوج عن الوسيلة التى تستديم بها زوجه مودته فخاطبها قائلاً :

خذى العفو منّى تستديمى مودّتى ... ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى ... فيأباك قلبى والقلوب تقلب

فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

وأخيراً : من أمعن النظر فى حقوق الزوجين وواجباتهما فى الحياة الإسلامية ، فسوف يجد أنها متوازنة ومتوازية ، والالتزام بها يقوم على ما أخبر به الدين ، وحتمته الأخلاق الطيبة .

وعندما يتحمل كل طرف مسئوليته سوف تشيع الألفة والمودة بين الزوجين ولعل فيما نقله ابن عبد ربه[1] عن عمران بن حطان فيه عظة .

قال عمران لزوجته ، وكان قد تزوج امرأة شابة ، جميلة ، وهو على صورة ليست بقدر الجمال الذى تطمح إليه النساء .

فقال لها يوماً : إنى وإياك فى الجنة إن شاء الله .

قالت له : كيف ذاك ؟!!!

(١) العقد الفريد (٨٣/٦) .

قال : إنى أعطيت مثلك فشكرت ، وأعطيت مثلى فصبرت .

خير النساء وشرهن

أختى المؤمنة : سئل أعرابى عن النساء وكان ذا تجربة ، وعلم بهن ، فقال: أفضل النساء أطولهن إذا قامت ، وأعظمهن إذا قعدت ، وأصدقهن إذا قالت ، التى إذا غضبت حلمت ، وإذا ضحكت تبسمت ، وإذا صنعت شيئاً جودت ، التى تطيع زوجها ، وتلزم بيتها ، العزيزة فى قومها ، الذليلة فى نفسها ، الودود الولود ، وكل أمرها محمود .

وقيل لأعرابى عالم بالنساء : صف لنا شر النساء ؟

قال : شرهن تضحك من غير عجب ، وتقول الكذب ، وتدعو على زوجها بالحرب ، أنف فى السماء ، وإست فى الماء[1] .

هكذا خير النساء من أطاعت زوجها ، وقامت بحقوقه ، وشرهن من تتكبر ، وتتعالى على زوجها .

وما أجمل كلام أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ لزوجه أم الدرداء :

« إذا رأيتنى غضبت فرضّنى ، وإذا رأيتك غضبى رَضَّيْتُك ، وإلا لم نصطحب » .

وهكذا كونى أختى المسلمة دائماً ملبية لزوجك ، ما دام يطلب منك مالا يغضب ، فما بالك بما يرضيه !!!

فالمرأة الصالحة هى التى إذا نظر إليها زوجها سرته ، وإن أمرها بأى أمر من الأمور الطيبة المباحة أطاعته ، وإذا غاب عنها فى سفر ، وغيره ، حفظته فى نفسها ، وماله .

والمرأة الصالحة هى التى تعين زوجها على دنياه وآخرته .

وفى هذا يقول الشاعر :

من خير ما يتخذ الإنسان فى ... دنياه كيما يستقيم دينه

قلب شكور ولسان ذاكر ... وزوجة صالحة تعينه

وهكذا أختى المسلمة عشنا مع وصية الرسول ﷺ التى نستفيد منها وقوف الزوجة عند رغبة زوجها ، وأثر ذلك فى حياتهما ، وما يجلبه هذا من الخير والسعادة عليهما .

---

(١) الإست : العجز : والمعنى الأنف فى علوٍ حتى السماء أما مؤخرة البدن فهى أقصى الدنو فى الماء .

٦ الإيمان بالقضاء والقدر والتحذير من الخوض في الأمور الغيبية

عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قالت : دُعِيَ رسولُ الله ﷺ إلى جنازة صبيٍّ من الأنصار ، فقلت يارسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ، ولم يدركه .

قال : « أو غيرَ ذلك ؟ » .

« ياعائشةُ إنّ الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها ، وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها ، وهم في أصلاب آبائهم »[١] .

أختي المسلمة : اعلمي أن جمهور علماء المسلمين ذكروا أنه من مات من أطفال المسلمين فهو من الأبرار ، من أهل الجنة ، خلافاً لمن أخذ بظاهر هذا الحديث ، وقد بينوا أن علة ذلك أنهم ليسوا بمكلفين .

ويؤيدهم قوله ﷺ : « ما من مسلم يموتُ له ثلاثةٌ من الولد لم يبلغوا الحنثَ إلا أدخلَه الله الجنةَ بفضلِ رحمته إياهم »[٢] .

ويؤيدهم قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمانٍ ألحقنا بهم ذريتهم ﴾[٣] . وقد قرئ ﴿ واتبعناهم ذريتهم ﴾ .

فأخبر عز وجل أن الذين آمنوا في الحياة الدنيا ، جعل أولادهم أتباعهم في الإيمان ، ويلحق بهم ذرياتهم في الآخرة ، فثبت بهذا أن أولاد المسلمين ، الذين ماتوا قبل الحلم في الجنة .

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه مسلم (٢١٢/١٦) من طريق وكيع عن طلحة بن يحيى عن عمته عائشة بنت طلحة عن أم المؤمنين ، وبنفس الطريق أحمد (٢٠٨/٦) ، وأخرجه أحمد (٤١/٦) من طريق سفيان ثنا طلحة ابن يحيى عن عائشة بنت طلحة وأخرجه النسائي (٥٧/٤) من الطريق ، السابق وأخرجه ابن ماجه (٨٢) من طريق مسلم .

(٢) صحيح ، أخرجه البخاري (٩٢/٢) ، (١٢٥/٢) .

(٣) سورة الطور : ٢١

وبعد فترجع إلى وصية الرسول ﷺ لعائشة ـ رضى الله عنها ـ وتتأمل فيها قولها : رضى الله عنها « طوبى » : هى شجرة فى الجنة .

فعن أبى سعيد ـ رضى الله عنه ـ قال : عن رسول الله ﷺ أنه قال له رجل : يا رسول الله ما طوبى ؟

قال : « شجرة فى الجنة مسيرة مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها »[1] .

وقولها : « لم يدركه » أى لم يأت أوانه بالبلوغ ، وبالتالى لم يقع فيه .

قوله ﷺ : « أو غير ذلك » أى بل غير ذلك أحسن ، وأولى قوله : « يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً لها وهم فى أصلاب آبائهم » .

أختى المسلمة : ينبغى لك أن تعلمى أن عقيدة المرأة المسلمة هى : « أن الجنة والنار مخلوقتان ، لا تفنيان أبداً ، ولا تبيدان » .

قال الله تعالى فى محكم التنزيل : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[2] .

أى غير مقطوع ولا ينافى ذلك قوله : ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾ .

ولقد ذكر العلماء كيف أنه لا تنافى بين كلمات الآية كما فى كتب العقيدة ،[3] والتفسير .

فمعنى الاستثناء ههنا أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم ليس أمراً واجباً بذاته ، بل هو موكول إلى مشيئة الله تعالى ، فله المنة عليهم دائماً ولهذا يلهمون التسبيح والتحميد ، كما يلهمون النفس[4] . انتهى .

---

(١) إسناده حسن . أخرجه أحمد (٣/٧١) ، وابن جرير فى تفسيره (١٣/١٠١) ، وابن حبان (٩/٢٥٠) من طريق دراج أبى السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبى سعيد الخدرى به ، قال الشيخ الألبانى ـ حفظه الله ـ : هذا سند لا بأس به فى الشواهد ، لسوء حفظ دراج ، ويشهد له ما رواه فرات بن أبى الفرات عن معاوية بن قرة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ . « طوبى لهم وحسن مآب » شجرا غرسها الله بيده أخرجه ابن جرير ، وفرات هذا قال أبو حاتم (٣/٢/٨٠) ، صدوق لا بأس به ، وضعفه غيره ، ثم ذكر شاهدا فى البخارى ، انظر السلسلة الصحيحة (١٩٨٥) .

(٢) سورة هود : ١٠٨

(٣) انظرى على سبيل المثال : العقيدة الطحاوية (ص/٤٨١ ـ ٤٨٢) .

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢/٤٦٠) لابن كثير .

ولقد ذكر ربنا فى كثير من الآيات دوام أهل الجنة فى نعيمهم ، وأهل النار فى عذابهم ، فقال جل شأنه : ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾[1] .

وقال عزوجل : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَالَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾[2] .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[3] .

وقد أكد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ فى أكثر من موضع من القرآن الكريم ، أن أهل الجنة مخلدون فى نعيمهم على التأبيد .

فقال عز وجل : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴾[4] .

فـائدة : قال العلامة ابن أبى العز الحنفى ـ رحمه الله ـ على إثر ذكر الآية السابقة هذا الاستثناء المنقطع ، إذا ضممته إلى الاستثناء فى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾[5] . تبين أن المراد من الآيتين استثناء الوقت الذى لم يكونوا فيه فى الجنة من مدة الخلود ، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت ، فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية ، وذلك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها[6] . انتهى .

أختى المسلمة : عندما تتأملين فى السنة النبوية ستجدين نفس الأمر ، ستجدين أبدية الجنة وخلود أهلها فيها ، وأبدية النار وخلود أهلها فيها ، استمعى إلى رسول الله ﷺ وهو يقول :

« إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الجنة ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ ، جِئَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يُذْبَحُ ثُمَّ يُنَادِى مُنَادٍ : يَاأَهْلَ الْجَنَّةِ لا مَوْتَ ، يَاأَهْلَ النَّارِ لا مَوْتَ ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحاً إِلَى فَرَحِهِمْ وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْناً إِلَى حُزْنِهِمْ »[7] .

أختى المسلمة : إن عقيدتك فى الجزاء يوم القيامة هى أن الله إذا شاء أدخل من

---

(١) سورة الرعد : ٣٥ (٢) سورة ص : ٥٤

(٣) سورة الحجر : ٤٨ (٤) سورة الدخان : ٥٦

(٥) سورة هود : ١٠٧ (٦) شرح العقيدة الطحاوية (ص/٤٨٢) .

(٧) صحيح أخرجه البخارى (١٤٢/٨) ، ومسلم (١٨٦/١٧) من طريق ابن وهب حدثنى عمر ابن محمد بن زيد أن أباه حدثه عن ابن عمر به ، وأخرجه أحمد (١١٨/٢) من طريق ابن المبارك عن عمر ابن محمد بن زيد حدثنى أبى ، وأخرجه ابن المبارك (٧٢/٢) فى الزهد ، وأبو نعيم (١٨٣/٨) فى حلية الأولياء .

عباده من شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه ، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه ، وكل يعمل لما قد فرغ له وصائر إلى ما خلق له .

وهنا لابد أن تعرفي أن الله تعالي لا يمنع إذا منع سببه ، وهو العمل الصالح ، فإنه كما قال عز وجل : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً ﴾[1] .

وكذلك لا يعاقب تبارك وتعالى أحداً إلا بعد حصول سبب العقاب .

تأملي قوله عز وجل : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ، وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴾[2] .

فهو سبحانه وتعالى المعطى ، وهو المانع ، لا مانع لما أعطى الله ، ولا معطى لما منعه الله .

ولكن إذا مَنَّ ربك عليك بالإيمان ، والإحسان ، والعمل الصالح ، فلا يمنعك موجب ذلك أصلا ، بل يعطيك من الثواب والقرب مالا يعلمه إلا الله ، يعطيك من الثواب مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وحيث منعك ذلك فلانتفاء سببه ، وهو العمل الصالح ، ولا ريب أن الله يهدى من يشاء ، ويضل من يشاء ، لكن ذلك كله حكمة منه ، وعدل ، فمنعه للأسباب التى هى الأعمال الصالحة من حكمته وعدله .

وأما المسببات بعد وجود أسبابها ، فلا يمنعها بحال ، إذا لم تكن أسباباً غير صالحة ، إما لفساد فى العمل ، وإما لسبب يعارض موجبه ومقتضاه ، فيكون ذلك لعدم المقتضى ، أو لوجود المانع .

وإذا كان منعه وعقوبته من عدم الإيمان والعمل الصالح ، وهو لم يعط ذلك ابتلاءً وابتداءً إلا حكمة منه وعدلا [3] .

فله الحمد فى الحالين ، وهو المحمود على كل حال ، كل عطاء منه فضل ،

---

(١) سورة طه : ١١٢

(٢) سورة الشورى : ٣٠

(٣) شرح الطحاوية (ص/٤٨٦ ـ ٤٨٨) .

وكل عقوبة منه عدل ؛ فإن الله تعالى حكيم ، يضع الأشياء في مواضعها التي تصلح لها ، كما قال عز وجل : ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[1] .

وقال جل ذكره : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾[2] .

فوائد الإيمان بالقضاء والقدر

أختي المسلمة : هذه هي عقيدة المرأة المسلمة في القضاء والقدر ، ومن فوائد هذه العقيدة ما يلي :

١ ـ تعيش المرأة المؤمنة آمنة في هذه الدنيا ، غير خائفة ، لعلمها أن ما قدر الله عليها كائن لا محالة في ذلك ، ولا حيلة .

٢ ـ أن لا تحزن المسلمة على شئ يفوتها ، لعلمها أنه غير مقدور لها إذ لو كان مقدوراً لها لما فاتها بأى حال من الأحوال .

قال أبو حازم الزاهد عندما سئل : ما بالك لا تقلق على رزقك ؟ . . « علمت أن ما كان لي سوف يأتيني ، ولو حاول أهل الأرض جميعاً أن يأخذوا ما استطاعوا ، وأن ما كان لغيرى لو تحيلت عليه بكل حيل الدنيا ما وصلت إليه ، لأن الله جعله لغيرى » .

٣ ـ ومن فوائد إيمانك بالقضاء والقدر أن لا تفرحي بما يكون لديك من مال ، أو ولد ، أو جاه ، لعلمك أن كل ذلك من فضل الله ، وبقدر الله .

٤ ـ أن تعملي ما أمرت به من خير ، وتنصرفي عن كل ما نهيت عنه ، وأنت مطمئنة البال ، لعلمك أن ما قدر الله هو الذى يكون ، وغيره لا يكون .

٥ ـ علمك أن المصائب التي تنزل بك إنما هي بأسبابها المقارنة معها ، يجعلك تتجنبين أسباب الخسران ، وتتمسكين بأسباب الفلاح والنجاح .

عظة من المعلم لتلميذه في القضاء والقدر[3]

وقف طالب أمام مدرسه مرة ، فقال : يا معلمي ، تأتيني خواطر أحياناً ، فأحب أن

---

(١) سورة الأنعام : ١٢٤

(٢) سورة الأنعام : ٥٣

(٣) من كتاب الإيمان باليوم الآخر ، وبالقضاء والقدر للأستاذ اليانوني .

أعرضها عليك : لم قدر الله تعالى الهدى والضلال ، ولم يقدر هداية فقط ؟! ولم قدر السعادة لقوم ، والشقاوة على آخرين ، ولم تكن سعادة فقط ؟! ولم كانت جنة ونار ، ولم تكن جنة فقط ؟! وما ذنب العبد إذا قدرت عليه ضلالة وشقاوة ؟!

قال المعلم : إن لهذا البحث علاقة بالخالق والمخلوق .

فلنبدأ بما يتعلق بالمخلوق ، فذلك ألصق بنفوسنا ، وأقرب إلى حواسنا ، فنقول : للإنسان عقل يدرك به الخير والشر ، وهذا العقل هو مناط التكليف ، والعاقل مكلف ، فلا تكليف على صغير ، ولا مجنون .

وللإنسان اختيار ، لا ينكره ذو عقل : فهو يقوم باختياره ، ويقعد باختياره ، ويذهب ويجيء كذلك ، ويتوجه إلى الطاعة إذا شاء باختيار ، ويأتي المعصية إذا شاء باختيار ، فليس له إذن أن يحتج بالأقدار .

وإذا أبى إلا الاحتجاج بها ، وعذر نفسه بها ، ضربناه فآلمناه ، أو سلبناه عزيزاً مما يملك مثلاً . . فيستاء .

فنقول له : إنما فعلنا ذلك بقضاء وقدر ، فاعذرنا فإننا مغلوبون على أمرنا ، كما تقول أنت ، فلم تعذر نفسك في معصية الله محتجاً بالأقدار ، ولا تعذر غيرك ؟! فلا يعذرنا فتنهار حجته .

وقد نأمره بطاعة فيقول مسوّفاً : حتى يهديني الله !

فنقول له : إن أمر الهداية كأمر الرزق . . والله تعالى رازق كما هو هادٍ ، فكما تنتظر من الله الهداية من غير أن تسعى إليها .

فانتظر الرزق من غير أن تسعى إليه كذلك ، واقعد في بيتك ، وأغلق عليك بابك ، حتى يأتيك الرزق !

فيأبى ، ويقول : لابد من السعي في طلب الرزق ، فتنهار حجته مرة أخرى .

ونقول له أيضاً : أنت تحتج بالأقدار ، وتقول : كل شيء بقضاء وقدر ، وهذا صحيح ، فأمسك هذه الجمرة بيدك ، فإن قدّر عليك أن تحرق يدك أحرقتها : وإلا فلا . فيأبى ، فتنهار حجته مرة أخرى .

ونقول له : إن الإنسان مفطور على دفع المكاره عن نفسه ، فمن داهمته سيارة مثلاً ، مدّ يديه من غير شعور ليدفعها عن نفسه ، مع ضعف اليدين ، وعجزهما عن دفع هذا المكروه !

والغريق يتخبط ، ويحاول في تخبطه أن ينجو من الغرق ، مع أن التخبط لا ينجيه !

فلم لا يدفع العاقل عن نفسه المكاره التي يلقاها في آخرته ، بما أوتي من قدرة واختيار ؟!

والخلاصة : نخلص من هذا إلى أن السعيدة تتعاطى أسباب السعادة باختيارها ، وهذا من القدر والشقية التعيسة تأخذ أسباب الشقاء باختيارها ، وهذا من القدر .

وكل ميسر لما خلق له ، ولا عذر لمخلوق في شيء من الأقدار ، ولا حجة .

أختي المسلمة : وقبل أن نترك تلك الوصية الغالية تأملي معي في هذه الأحوال :

الوالد يرضى عن ولده إذا بره ، وأطاعه ، ويسخطه إذا عقّه وعصاه ، صاحب العمل لا يتساوى لديه العامل الأمين ، والخائن في عمله ، فالعامل الأمين مرضي عنه ، ومرغوب فيه ، والخائن مسخوط عليه ، ومرغوب عنه ، ومنفور منه .

والمعلم المجتهد محبوب مقرب ، والكسول العنيف ، مبغوض منه ، فكيف بالخالق البارئ جل جلاله ؟!! وهو الخالق الرازق المحسن المنعم المتفضل !

كيف يجعل المحسن والمسيء ، والمؤمن والكافر ، والطائع والعاصي سواء !!

قال عز وجل : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾(١)

وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾(٢) .

أختي المسلمة : هذا الجزء من الحديث بين الأستاذ وتلميذه كان في الجانب المتعلق بالمخلوق في موضوع القضاء والقدر ، ويبقى الكلام على ما يتعلق بالخالق سبحانه وتعالى .

قال الأستاذ : إن الله سبحانه وتعالى حكيم ، موصوف بالحكمة ، والحكمة هي وضع الشيء في محله ، وقد قضت حكمته تبارك وتعالى أن يكون إيماناً وكفراً ، وهدى وضلالاً ، وسعادة وشقاوة ، وجنة ونار .

وعقل الإنسان قاصر عن إدراك هذه الحكمة في الدنيا ، وسيشهد لا محالة بالعدل الإلهي والحكمة الإلهية في الآخرة ، أما الدنيا فمن أين لإنسان ضعيف خلق من تراب ،

---

(١) سورة القلم : ٣٤ ـ ٣٦ (٢) سورة غافر : ٥٨

أن يدرك حكمة الملك القدير ؟!!

قال الطالب يا أستاذ ، أليس قد يظن ظان ، أن هذا الجواب ناشئ عن العجز عن الجواب ؟

قال الأستاذ : ليس الأمر كذلك ، وسأضرب لك مثلاً ، فيه للمسترشد مقتنع إن شاء الله تعالى ، أنت طالب فى المرحلة الثانوية ، وتتلقى من العلوم الطبيعية ، والرياضية ، ما تتلقى ، فإذا قرر لك أستاذك نظرية رياضية ، أو معادلة كيميائية مثلاً ، وفهمتها أحسن فهم ، فهل يستطيع أستاذك ، أو تستطيع أنت ، أن تقررها لطفل صغير فيفهمها منك ، أو يفهمها من أستاذك ، كما فهمتها أنت ؟

قال التلميذ : لا ، قلت : ولم ؟!

قال : لأن عقله لا يتسع لمثل هذا .

قلت وهذا الطفل الذى لا يتسع عقله اليوم لإدراك هذه النظرية ، أو فهم هذه المعادلة ، أليس من المحتمل أن يكون فى المستقبل القريب ، حين يكون فى مثل سنك ، أحسن فهماً لها منك ؟

قال : بلى ، من المحتمل ذلك .

قلت : أو ليس من المحتمل أيضا ، إذ هو تخصص فى هذه العلوم ، وبلغ سن أستاذك ، أن يفوق الأستاذ نفسه فى علومه هذه ؟

قال : بلى ، ويمكن ذلك أيضاً .

قلت : قد وصلت بك إلى المطلوب ، فاسمع ما أقول :

إذا كانت درجة إدراك الإنسان للعلوم ، ومعرفة الحقائق ، وهو فى سن طفولة ، ثم فى سن شباب ، ثم فى سن كهولة . . تتفاوت هذا التفاوت العظيم ، فما بالك بالتفاوت بين عقل إنسان ضعيف ، وحكمة إله قوى مدبر ، عليم خبير ؟!!

قال الطالب : شكراً لك يا أستاذ ، فقد أزلت من قلبى شبهات كانت تزلزل إيمانى ، ووساوس أقضت على مضجعى .

أختى المسلمة : هكذا ترين أن القضاء والقدر أمر عظيم ، فالمؤمنة بقضاء الله وقدره ، من أبعد الناس عن الرذائل ، ومن أقرب الناس إلى الفضائل ، فنسأل ربنا أن يجعلنا من أهل الإيمان بالقضاء والقدر ، اللهم ألهمنا الشكر على نعمائك ، والصبر على بلائك والرضا بقضائك .

٧ لا تكوني فاحشة

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : أتى النبى ﷺ أناس من اليهود ، وا : السام عليك يا أبا القاسم .

قال : وعليكم .

قالت عائشة : قلت : بل عليكم السام والذام .

فقال رسول الله ﷺ : « يَاعَائشَةُ لا تكُونِى فَاحِشَةً » .

فَقُلت : مَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا ؟!!

فَقَالَ : « أولَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمُ الَّذى قَالُوا ، قُلْتُ : وَعَلَيْكُمْ »[1] .

وفى رواية : « مَهْ يَاعَائشَةُ فَإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحشَ »[2] .

أختى المسلمة : هذه الوصية النبوية فيها حض على حسن الخلق ، ونهى عن سوء .

ويظن أكثر المسلمات أن التقوى هى القيام بحق الله دون حقوق عباده ، وهذا من لاء التى يقعن فيها ، ولكن لنتوقف أختى المسلمة لنسأل أنفسنا ماذا تعنى كلمة الخلق ؟ عندما تحاولين الإجابة سوف تجدين أن حسن الخلق هو الأخذ بكل خير عن كل شر ، ولكن حاول سلفنا الصالح أن يقربوا لنا المراد بحسن الخلق فذكروا مات وعبارات كثيرة :

لمنهم : الحسن البصرى ، قال : حسن الخلق : الكرم ، والبذل ، والاحتمال .

ومنهم : ابن المبارك ، قال : هو بسط الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذى .

ومنهم : أحمد بن حنبل ، قال : حسن الخلق : أن لا تغضب ولا تحقد .

---

(1) صحيح ، أخرجه مسلم (١٤٧/١٤) ، وأحمد (٢٢٩/٦) من طريق الأعمش عن مسلم عن عن عائشة به .

(2) مسلم (١٤٧/١٤) عن الأعمش بنفس السند .

ومنهم إسحاق بن راهويه ، قال : هو بسط الوجه ، وأن لا تغضب .

ومنهم الواسطى ، قال : هو إرضاء الخالق فى السراء والضراء .

ومنهم الإمام على رضى الله عنه ، الذى قال : حسن الخلق فى ثلاث خصال اجتناب المحارم ، وطلب الحلال ، والتوسعة على العيال .

وقال بعض أهل العلم : حسن الخلق : كظم الغيظ لله ، وإظهار الطلاقة والبِشر ، إلا للمبتدع والفاجر ، والعفو عن الزالين إلا تأديباً ، وإقامة الحد ، وكف الأذى عن كل مسلم ومعاهد ، إلا تغيير منكر ، وأخذاً بمظلمة لمظلوم من غير تعد .

وسئل سلام بن أبى مطيع عن حسن الخلق ، فأنشد شعراً :

تراه إذا مـــا جئتــه متهـــللا كأنك تعطيــه الذى أنت ســـائله

ولو لم يكن فى كفــه غير روحه لجـــاد بهـــا فليتق الله ســـائله

هــو البحر من أى النواحى جئتــه فلجتــه المعروف والجـــود ساحله

هكذا صاحب الخلق الحسن ، سخى لا يبخل ، شجاع لا يجبن .

ولقد أعلى النبى ﷺ من مكانة حسن الخلق ، فبين أن خير ما يأتى به العبد ربه فى يوم القيامة هو حسن الخلق ، وأن أثقل ما يوضع فى ميزان المؤمن هو حسن الخلق .

وعن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « أَثْقَلُ شَئٍ فِي المِيزَانِ الخُلُقُ الحَسَنُ »[1] .

ولهذا الثواب العميم اتصف أصحاب النبى ﷺ بحسن الخلق طمعاً منهم فى الوصول إلى هذا الأجر والثواب .

فمن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : ثلاثة من قريش أصبح الناس وجوهاً ، وأحسنها أخلاقاً ، وأثبتها حياء ، إن حدثوك لم يكذبوك ، وإن حدثتهم لم يكذبوك : أبو بكر الصديق ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح[2]

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه أبو داود (٤٧٩٩) ، وأحمد (٤٤٦/٦ ، ٤٤٨) ، وابن حبان (٤٨٦) والخرائطى (ص/٩) فى مكارم الأخلاق ، كلهم من طريق واحد عن أبى الدرداء ، ولفظ أبى داود (ما من شئ أثقل فى الميزان من حسن الخلق .

(٢) أخرجه أبو نعيم (٥٦/١) فى حلية الأولياء ، وفى سنده ابن لهيعة .

أختي المسلمة : عندما تتخلقين بالخلق الحسن ، فإن الأمور الصعاب سوف تسهل عليك ، والقلوب الغضاب سوف ترضى وتلين لك ، وسوف يكثر أهل محبتك ، ويقل أهل عداوتك . واعلمي أن سوء الخلق شؤم على صاحبتها ، ويسبب لها المتاعب في الدنيا قبل الآخرة .

قال الحسن البصري رحمه الله : من ساء خلقه عذب نفسه ، ولذا ينبغي لك أن ترفي ما هي الصفات التي يجدر بك أن تتحلي بها لكي تصلي إلى مرتبة حسن الخلق .

صفات أصحاب الخلق الحسن

من تلك الصفات التواضع :

ولقد قالوا عن التواضع أنه خفض الجناح ، ولين الجانب ، وقبول الحق ممن كان.

ولقد أمر الله ـ جل ثناؤه ـ نبيه ـ ﷺ ـ بالتواضع لمن آمن به من المؤمنين فقال عز وجل : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] ومدح ربنا ـ تبارك وتعالى ـ عباده المؤمنين بصفات كثيرة ، منها : أنهم كانوا في الدنيا يتواضعون ، ولا يتكبرون ، فقال جلت قدرته : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾[2] .

فهم بالتواضع حلماء لا يجهلون ، وإن جهل عليهم حلموا ولم يسفهوا ، هذا نهارهم فكيف يكون ليلهم ؟

أختي المسلمة : تأملي حال النبي ﷺ عندما يقول الأسود : سألت عائشة ـ رضي الله عنها ـ ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله ؟ قالت : « كان في مهنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة ، قام إلى الصلاة »[3] . إنه ﷺ لا يفعل هذا إلا لما اتصف به من التواضع . بل وتأملي حال أصحاب النبي ﷺ الذين تعلموا منه :

عن ثابت قال : كان سلمان ـ رضي الله عنه ـ أميراً على المدائن ، فجاء رجل من أهل الشام من بني تيم ، معه حمل تين ، وعلى سلمان عباءة ، فقال لسلمان : تعال احمل ، وهو لا يعرف سلمان ، فحمل سلمان ، فرآه الناس فعرفوه ، فقالوا : هذا الأمير . قال : لم أعرفك . فقال له سلمان : لا حتى أبلغ منزلك ، قد نويت فيه نية ، لا أضعه حتى أبلغ بيتك[4] .

---

(١) سورة الشعراء : ٢١٥ (٢) سورة الفرقان : ٦٣

(٣) أخرجه البخاري (١٧/٨) . (٤) أخرجه ابن سعد (٦٣/٤) في طبقاته بسنده .

وعن بكير بن الأشج أن عبد الله بن سلام ـ رضى الله عنه ـ خرج من حائط له بحزمة حطب يحملها ، فلما أبصره الناس ، قالوا : يا أبا يوسف ، قد كان فى ولدك وعبيدك من يكفك هذا !!! قال : أردت أن أجرب قلبى ، هل ينكر هذا[1] .

وعندما تتواضعين أختى المسلمة فسوف تفوزين فى الدنيا والآخرة .

قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إن الرجل إذا تواضع لله ، رفع الله حكمته[2] ، وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه : لا يبلغ عبد ذرى الإيمان حتى يكون التواضع أحب إليه من الشرف ، وما قل من الدنيا أحب إليه مما كثر ، ويكون من أحب ، وأبغض فى الحق سواء ، يحكم للناس كما يحكم لنفسه[3] .

ومن المأثور من كلام عيسى ـ عليه السلام ـ طوبى للمتواضعين فى الدنيا ، هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس فى الدنيا ، هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة ، طوبى للمطهرة قلوبهم فى الدنيا ، هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة .

وعندما تتصفين بالتواضع سوف تحصدين ثمرات كثيرة .

ثمرات التواضع

أولاً : أن المسلمة إذا تواضعت لله ـ عز وجل ـ فقد عملت بما أوحى الله إلى نبيه ـ ﷺ ـ فى أمره بلزوم التواضع ، والبعد عن التكبر ، ومن فعلت هذا ، فقد فازت بسعادة الدنيا والآخرة .

ثانياً : أن المسلمة إذا كانت لله من المتواضعات ، فإنه يبارك لها فى مالها ونسلها ويدفع المضرات التى تأتى إليها ، ويجعلك تسودين بين سائر المسلمات ويعظم ذكرك فى قلوبهن .

ثالثاً : أن التواضع هو شعار الإيمان ، فإذا لزمته المسلمة ، فقد تمسكت بشعار الإيمان ، وحازت الرضا بين سائر المسلمات .

رابعاً : الابتعاد عن الشهرة الكاذبة ، والصيت الزائف ، وذلك أن المسلمة بتواضعها لله ، ومذلتها فى نفسها لله ، تبعدها عن مواطن الرياء ، والزهو والغرور ، التى تستدعى

---

(١) أخرجه ابن المبارك (٨٣٣) فى الزهد .

(٢) أخرجه ابن حبان (ص/٦٠) فى روضة العقلاء .

(٣) أخرجه ابن المبارك (٥٢) فى الزهد .

ورها ادعاء الشهرة الكاذبة ، أو إظهار الصيت الزائف ، طلباً لإرضاء الناس ، والتقرب إليهم ، ولكن التواضع والتخلق به ينجي المسلمة من هذا المرض الخطير ، والوباء العظيم ، أعاذنا الله منه أجمعين .

خامساً : أن المسلمة إذا تواضعت لربها ، وعرفت نفسها بأنها فقيرة جاهلة ، قاصرة ، في حاجة إلى خالقها ، وفاطرها ، تتنعم المسلمة المتواضعة بظل الله تعالى ورحمته ، في الدنيا والآخرة ، أما إذا تكبرت ، فإنها سوف تشعر بأن ربها عليها غضبان ، ومنها ساخط .

سادساً : أن المسلمة بتواضعها ، تكون من أهل السعادة في الدنيا قبل الآخرة لأن من تواضعت لله رفعها ، ومن تكبرت على الله وضعها .

وبعد أختي المسلمة : هذا قليل من كثير من ثمرات التواضع ، ولكن عليك أن تربي هذه الصفة الحميدة ، وسوف تشعرين بالراحة ، والاطمئنان بعد التحلي بها ، ويعينك على الوصول إلى الخلق الحسن .

قال الشاعر :

إذا شئت أن تزداد قدراً ورفعة — فلن[1] ، وتواضع ، واترك الكبر والعجبا

الإيثار والمواساة

ومن صفات أصحاب الخلق الحسن إيثار الآخرين على النفس ، ولقد مدح الله رجال سلفنا الصالح ، أنصار رسول الله ﷺ بهذه الصفة ، فقال عز وجل : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[2] ، وعندما تتأملين أختي المسلمة حال أصحاب الرسول ﷺ وعملهم بهذه الصفة ، بعد أن تخلقوا بها ، سوف تشعرين أن الكثير من المسلمات تعشن في أنانية ، وحب نفس .

عن أم ذرة - وكانت تغشى عائشة - قالت : بعث إليها بمال ، أراه ثمانين أو مائة ألف ، فدعت بطبق ، وهي يومئذ صائمة ، فجلست تقسم بين الناس ، فأمست ، وما عندها من ذلك درهم ، فلما أمست ، قالت : يا جارية هلمي فطري ، فجاءتها بخبز وزيت ، فقالت لها أم ذرة : أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا لحماً بدرهم نفطر عليه ؟!!

---

(١) من اللين والسهولة — (٢) سورة الحشر : ٩

قالت : لو كنت ذكرتينى لفعلت[1] .

فتأملى أختى المسلمة كيف أنها ، وهى الصائمة تنسى نفسها ، وما ذاك إلا لأجل تذكرها للفقراء ، المساكين ، واليتامى من المسلمين .

وقال عروة ـ رحمه الله ـ : لقد رأيت عائشة ـ رضى الله عنها ـ تقسم سبعين ألفاً ، وإنها لترقع جيب درعها[2] .

هكذا أختى المسلمة تكون المؤمنة ، فهل تذكرين هذا ؟

هل تتأسين بأمك عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى زهدها ، وورعها ؟ انظرى أيتها المؤمنة إلى هذا الإيثار ، وذلك الزهد ، وتأملى دنيا المسلمات اليوم ، وقارنى بين هؤلاء الصالحات ، وبين اللاتى يتزاحمن على الشهوات ، ولا هم لإحداهن إلا فى الفانيات . عندما تتحلين بالإيثار فإنك تعيشين سعيدة ، وتموتين إن شاء الله تعالى حميدة ، وسوف تصلين بالتمسك بهذه الصفة الطيبة إلى مرتبة أصحاب الخلق الحسن .

من صفات أصحاب الخلق الحسن

الحـــــلم

أختى المسلمة : لم نزل مع الصفات التى لو تمسكت بها وصلت إلى الخلق الحسن ، الذى إن تحليت به وصلت إلى الفوز والسعادة فى الدنيا والآخرة ، من تلك الصفات صفة الحلم .

أختى المؤمنة : من الأشياء الطيبة ، والصفات الحميدة التى ميز الله بها الإنسان عن الحيوان فضيلة الحلم عند الغضب ، وليس هذا بغريب ، ولا عجيب ، فالحلم سيد الفضائل ، ومنبع الخيرات . ومصدر السكينة والاطمئنان ، وفى هذا العصر الذى نعيش فيه ، لهث الناس خلف الحياة المادية ، وتركوا التعاليم الربانية ، إلا من رحم ربى ، ولذا ظهر فى هذا الدهر من الأمراض الخطيرة ، والعلل الوبيلة التى لم تظهر فى أسلافنا .

ومن الأمراض الخُلقية التى انتشرت : الغضب ، وعدم امتلاك زمام الأمور بقوة . فكم من بيت خرب بسبب الغضب . وكم من امرأة طلقت بسبب غضب زوجها . وكم من رجل شل بسبب الغضب . وكم من أولاد شردوا بسبب الغضب .

---

(١) حلية الأولياء (٢/٤٧) بسنده عن عائشة رضى الله عنها .

(٢) الحلية (٢/٤٧) .

وما اهتم الإسلام الحنيف بأمر من الأمور ، قدر اهتمامه ببناء الإنسان ، وتربية المشاعر الطيبة فيه ، وعندما تتحلين بتلك الصفة الطيبة ستجدين لك الأعوان من أهل الخير ، أما الفاحش البذئ ، والفاجر المتفحش ، سواء كان من الرجال ، أو النساء ، فإنه لا يجد إلا الدعاء عليه ، والبعد عن طريقه ، وما يقرب منه .

قال علي - رضي الله عنه - : أول عوض الحليم من حلمه[1] : أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل[2] .

ولذا لو لم يكن في حلمك أمام أهل البذاء خصلة تحمد إلا ترك اكتساب المعاصي ، والدخول في المواضع الدنسة ، لكان الواجب على العاقل أن لا يفارق الحلم ما وجد إلى استعماله سبيلاً .

أختي المسلمة : الحلم من الصفات التي إن تمسكت بها أحبك الله ، ووضع لك المحبة في قلوب الناس .

استمعي إلى رسول الله ﷺ وهو يقول لأشج عبد القيس : « إن فيك خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا الله ورسوله : الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ »[3] .

فهلمي شمري عن ساعد الجد ، تمسكي بتلك الصفة ، عساك أن تصلي إلى الخلق الحسن .

من صفات أصحاب الخلق الحسن

التوكل على الله

أختي المسلمة : التوكل الصحيح هو تفويض الأمر إلى الله عز وجل ، والثقة بحسن النظر فيما أمر به ، والواجب على العاقلة الرشيدة أن تلزم التوكل على من تكفل بالأرزاق ، إذ التوكل هو نظام الإيمان ، وهو السبب المؤدي إلى نفي الفقر عن الإنسان .

وبتوكلك على الله - جلت قدرته - تدخرين لنفسك حسنات ليوم القيامة ، وفي كل يوم تزدادين توكلا على الله ، يزداد رصيدك من الحسنات وفي كل يوم تزدادين

---

(١) يعني بداية نتيجة الحلم وثمرته

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا (١٢) في الحلم .

(٣) صحيح . أخرجه مسلم (١٨٩/١) ، وأحمد (٢٠٦/٤) ، والترمذي (٢٠٨٠) ، وابن ماجه (٤١٨٧) ، وابن حبان (١٣٩٣) ، (٢٢٦٧) .

توكلا على الله تستطيعين الصمود أمام الشيطان ، فكم من امرأة بدأت عملها بالاعتماد على عقلها ، فخذلها الله . وكم من امرأة بدأت عملها بالاعتماد على قوتها ، فأمرضها الله ، وكم من امرأة لم ترض بقضاء الله ، ولم تتوكل عليه فخسرت الدنيا والآخرة ، وكم من امرأة توكلت على الله فأتتها الدنيا ، وهى راغمة .

لقد قضى الله عز وجل على نفسه أن من توكل عليه كفاه ، ومن آمن به هداه ، ومن أقرضه جزاه ، ومن وثق به نجاه ، ومن دعاه أجابه .

فقال عز وجل : ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[1] .

وقال جل شأنه : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[2]

وقال تبارك وتعالى : ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾[3] .

وقال جلت قدرته : ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[5] .

وهكذا أختى المسلمة لن تصلى إلى مرتبة الخلق الحسن إلا إذا تخلقت بهذه الصفة ، فالعز كل العز فى التوكل على الله ، والذل كل الذل ، فى التوكل على المخلوقين .

من صفات أصحاب الخلق الحسن

الصـــدق

أختى المسلمة : لم نزل نتكلم عن الصفات التى ينبغى أن تتحلى بها حتى تفوزى برضا ربك ، لأنك اتصفت بالخلق الحسن .

والصدق من تلك الصفات الحميدة التى توصلك إلى حسن الخلق ، ولقد رغبك ربك فى التحلى به ، والتجمل بفضيلته ، ووعدك الثواب الجزيل على صدقك فى يوم القيامة ، فقال تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[6]

---

(١) سورة التغابن : ١١
(٢) سورة الطلاق : ٣
(٣) سورة التغابن : ١٧
(٤) سورة آل عمران : ١٠١
(٥) سورة البقرة : ١٨٦
(٦) سورة التوبة : ١١٩

كمـا ذكر الله الصادقات فى زمرة الذين أثنى عـليهم ، وفى عداد الذين رفع من أقدارهم ، وأوسع رحمته ومغفرته ، فقال عز وجل :

﴿ إنَّ المُسْلمينَ والمُسْلمَات وَالمؤمنينَ والمُؤمنَات وَالقَانتينَ وَالقَانتَات وَالصَّادقينَ وَالصَّادقَات وَالصَّابرينَ وَالصَّابرَات وَالخَاشعينَ وَالخَاشعَات وَالمُتصدّقينَ وَالمُتصدّقَات وَالصَّائمينَ والـصـائـمـات وَالحَافظينَ فُرُوجَهُمْ والحَافظَات وَالـذَّاكرينَ الله كَثيراً وَالذَّاكرَات أعَدَّ الله لَهُم مَّغفرَةً وَأجْراً عَظيماً ﴾[1] .

أختى المسلمة : الصدق كما يكون أصلاً فى القول والحديث ، فكذلك يكون فى أعمال الجوارح ، إذا كانت على وجهها من الحق ، والاستقامة ، والإخلاص ، فهناك صدق فى الطاعة التى تقومين بفعلها ، وهو أن تحلى اليقين والإحسان فى طاعتك .

وهناك الصدق فى أدائك الواجب ، فإذا لم تقصرى فى تبعة من التبعات المطلوب منك القيام بها ، وهناك الصدق فى الوفاء بالعهد ، كما قال عز وجل :

﴿ منَ المُؤمنينَ رجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْه فَمنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمنْهُم مَّن يَنتَظرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْديلاً ﴾[2] .

فهذا صدق فى الوفاء بالعهد ، مثل ما فعل الشهيد أنس بن النضر ـ رضى الله عنه ـ الذى عاهد ربه على الثبات فى الجهاد حتى نال الشهادة ، وفى جسمه بضع وثمانون ضربة ، ما بين طعنة ، ورمية .

وأنت أختى المسلمة قد طلب منك أن تتمسكى بدينك ، وبتقواك أمام تحديات أهل المعاصى ، ودعاة الفجور والانحلال .

والصدق دائما ينجيك من المهالك ، والكذب يهوى بك فى المهالك .

قال الأبرش :

الكذبُ مُرديـك ، وإن لم تخف والصِّدقُ مُنجيك على كل حـال
فـانطق بمـا شـئت تجد غبَّه[3] لم تُبْتَخَسْ[4] وزنـة مثقـال

والصدق دائما يرتفع بك فوق غيرك ، ويجعلك محط تصديق الكل لما تقولين ، أو

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٥
(٢) سورة الأحزاب : ٢٣
(٣) غب الشئ : عاقبته .
(٤) لم تبتخس : لم تنقص .

تريدين فعله ، وبالعكس عدم الصدق يجعلك أمام غيرك أهلاً لتكذيب الجميع لما تقولين .

قال أبو حاتم البستي – رحمه الله : كل شيء يستعار ليتجمل به سهل وجوده ، خلا باللسان ، فإنه لا ينبيء إلا عما عُوِّدَ ، والصدق ينجي ، والكذب يردي ، ومن غلب لسانه أمَّره قومه ، ومن أكثر الكذب لم يترك لنفسه شيئاً يصدق به ، ولا يكذب إلا من هانت عليه نفسه[1] . انتهى .

قال الكريزى :

كذبت ، ومن يكذب فـإن جزاءه	إذا ما أتى بالصدق أن لا يُصدَّقـا
إذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل	لدى الناس كذابا ، وإن كان صادقاً
ومن آفة الكذاب نسيان كذبه	وتلقاهُ ذا فقه إذا كان حاذقـاً

ولابد لك أختي المسلمة ألا تصاحبي أهل الكذب والبهتان .

قال محمد بن عبد الله البغدادى :

إذا ما المرء أخطأه ثلاث	فبعه ، ولو بكف من رمادِ
سلامة صدره ، والصدق منه	وكتمان السرائر في الفؤاد

أختي المسلمة : الواقع الذى لا شك فيه أن التزامك الصدق أمر يحتاج إلى إرادة صلبة ، وعزيمة قوية ، وإيمان وطيد ، واحتمال كريم لتبعات الصدق .

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله – : حمل الصدق كحمل الجبال الرواسي و لا يطيقه إلا أصحاب العزائم ، وعندما ييسر لك ربك الالتزام بهذه الصفة ، فأنت على طريق أصحاب الخلق الحسن تسيرين ، وإلى الفوز والفلاح سوف تصلين .

من صفات أصحاب الخلق الحسن

الوفاء

الوفاء هو ملازمة طريق المواساة ، والمحافظة على العهود ، هذا هو المراد عند ذكر هذه الكلمة ، وهي تدل على إتمام العهد ، وإكمال الشرط .

---

(١) روضة العقلاء (ص / ٥٢) .

ولقد تحدث القرآن الكريم عن فضيلة الوفاء فى مواطن كثيرة ، ولعل أشرف مكانة للوفاء ، هى أن يصف الله تبارك وتعالى ذاته القدسية بالوفاء ، فيقول عز من قائل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1] .

ولقد حدثنا القرآن الكريم ، وبين لنا أن الوفاء صفة المؤمنين الأخيار ، والمصطفين الأبرار ، فقال ربنا عز وجل عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾[2] .

والقرآن الكريم يخبرنا أن الوفاء أنواع كثيرة ، فهناك الوفاء بالعهد للآخرين ، كما قال عز وجل : ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾[3] . وهناك الوفاء بالوعد الذى ينذره المرء على نفسه ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾[4] .

وهناك الوفاء بالكيل الذى أشار إليه ربنا فى قوله عز وجل : ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾[5] .

وهناك الوفاء بالعقود والذى يشير إليه بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾[6] .

ولكن أعلى الوفاء إنما يكون للعهد الذى أخذ الله على عبده بأن يعبده ، ويسعى إلى مرضاته ، قال عز وجل : ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ﴾[7] .

وقال عز وجل : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[8] .

وهكذا أختى المسلمة عندما تتحلين بتلك الصفة مع غيرها من الصفات التى سبق ذكرها سوف تصلين إلى الخلق الحسن ، وحينئذ تفرحين فرحاً عظيماً .

وقبل أن ننتقل من هذه الوصية النبوية إلى أخرى يلفت نظرنا فى هذه الوصية سوء

(١) سورة التوبة : ١١١
(٢) سورة النجم : ٣٧
(٣) سورة البقرة : ١٧٧
(٤) سورة الإنسان : ٧
(٥) سورة الشعراء : ١٨١
(٦) سورة المائدة : ١
(٧) سورة الأنعام : ١٥٢
(٨) سورة يس : ٦٠ ـ ٦١

معاملة اليهود للرسول ﷺ ، وسماحته ، وسعة خلقه معهم ، إنهم يقولون « السام عليكم » أى الهلاك ، والموت .

أختى المسلمة : الإسلام مشتق من السلام ، والله الذى تعبده المسلمة من أسمائه السلام ، والقرآن الذى نؤمن به المسلمة يهدى إلى سبل السلام ، قال عز وجل : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾[1] .

ولقد وصف ربنا ـ عز وجل ـ عباده المؤمنين بأنهم دعاة السلام ، فقال : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾[2] .

وتحية المسلمين في الدنيا ، ويوم يقابلون ربهم ، ويلقونه هى السلام ، قال عز وجل : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾[3] .

فالسلام كما ترين هو الشعار الدائم ، والعلامة المميزة لأهل الإسلام ، أما اليهود فهم شعب غلبت عليه شقوته ، واستولى عليه غروره ، فاستكبروا على خالقهم ، وخلقه ، فلا يعرفون الحق ، ولا يحبون أهله .

قال عز وجل حاكياً عن غيهم : ﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ ﴾[4] . ففى الوصية التى بين أيدينا يأتى نفر من اليهود ، وبخبثهم يقولون للرسول ﷺ : السام عليك . أى الموت . فيرد عليهم الرسول ﷺ وعليكم ، وهنا تنبرى عائشة ـ رضى الله عنها ـ بعد ضيقها بمقالة اليهود ، فتقول لهم : بل عليكم السام ، والذام هو العيب ، فيقول لها النبى ﷺ : « يا عائشة لا تكونى فاحشة » .

وهذا من عظيم حلمه ، وصبره ، وملاطفته للناس ، مالم تدع حاجة إلى المخاشنة.

وفى هذه الوصية استحباب تغافل أهل الفضل عن سفه المبطلين إذا لم تترتب عليه مفسدة .

وفى هذا يقول الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ : الكيّس العاقل هو الفطن المتغافل .

وهكذا تنتهى وصية الرسول ﷺ لعائشة ـ رضى الله عنها ـ التى تعلمنا منها البعد عن الفحش والتفحش والتحلى بالخلق الحسن .

فنسأل ربنا أن ينفعنا بما علمنا ، وأن يعلمنا ما جهلنا ، والحمد لله رب العالمين .

(١) سورة المائدة : ١٥ ـ ١٦ (٢) سورة الفرقان : ٦٣

(٣) سورة الأحزاب : ٤٤ (٤) سورة المائدة : ٧٠

٨ ختان النساء في السنة المطهرة

عن أم عطيــة أن امـرأة كانت تختن بالمـدينــة ، فقـال لهـــا النبى ﷺ : « لا تُنهِكِي ، فإنَّ ذلك أحْظى لِلَمرْأةِ ، وَأحبُّ إلى البَعْلِ »[١] .

وفي رواية من حديث أنس بن مالك قـال : قــال رســول الله ﷺ : « إذا خفضت فأشمي ، ولا تنهكى ، فإنه أسرى للوجه وأحظى للزوج »[٢] .

أختي المسلمة : هذه وصية من وصايا رسول الله ﷺ للنســاء ، وأمر الختان من المسائل التي اختلف فيها العلماء حديثاً ، وقديماً ، وقد حاولنا إعداد تلك الوصية بحيث تخرج المرأة المسلمة ، وقد استفادت كثيراً من العلم النافع إن شاء الله تعالى .

الختان في اللغة والشرع

أولاً في اللغة : قال ابن منظور : الختان ـ بكسـر الخاء ـ من الختن وهو موضع القطع من الذكر والأنثى ، وفي الحديث « إذَا الْتَقَى الْخِتَانَانِ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ »[٣] .

ويطلق الختان على الذكر والأنثى ، وقيل : الختن للرجال والخفاض للإناث ،

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٧١) وقال : روى عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك بمعناه ، وإسناده ، قال أبو داود : ليس بالقوى ، وقد روى مرسلاً ، ومحمد بن حسان مجهول ، وهذا الحديث ضعيف . قال الحافظ ابن حجر : له شاهدان من حديث أنس ، ومن حديث أم أيمن عند أبى الشيخ فى كتاب العقيقة ، وآخر عن الضحاك بن قيس عند البيهقى ، نقلاً عن فتح البارى (١٠/٣٤٠) ، وقد ذكر الشيخ الألبانى ـ حفظه الله ـ شواهد هذا الحديث ، وطرقه ، ثم قال : وبالجملة فالحديث بهذه صحيح ، والله أعلم . انظر : السلسلة الصحيحة (٧٢٢) .

(٢) أخرجه الدولابى (١٢٢/٢) ، والخطيب فى التاريخ (٣٢٧/٥) قال الشيخ الألبانى ـ حفظه الله ـ هذا إسناد ضعيف ، رجاله ثقات غير زائدة بن أبى الرقاد ، فإنه منكر الحديث ، كما قال الحافظ فى التقريب . وأما قول الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (١٧٢/٥) رواه الطبرانى فى الأوسط ، وإسناده حسن ، فإن كان من غير هذا الوجه فمحتمل ، وإن كان منه فلا ، وما أراه إلا منه ، فقد رأيت ابن عدى أخرجه فى الكامل (١٥٠/٢) وقال : هذا يرويه عن ثابت عن زائدة بن أبى الرقاد ، ولا أعلم يرويه غيره ، وزائدة له أحاديث حسان ، وفى بعض أحاديثه ما ينكر ، ثم ذكر الشيخ الألبانى طرق الحديث ، وشواهده ، ثم قال : مجئ الحديث من طرق متعددة ، ومخارج متباينة ، لا يبعد أن يعطى ذلك للحديث قوة ، يرتقى بها إلى درجة الحسن ، لاسيما ، وقد حسن الطريق الأول الهيثمى كما سبق ، والله أعلم ، نقلا عن السلسلة الصحيحة (٧٢٢) .

(٣) إسناده صحيح . أخرجه الترمذى (١٠٩) وقال : حسن صحيح والشيخ (٣٦/١) فى مسنده ، وابن ماجه (٦١١) ، وأحمد (١٦١/٦) وقد ذكر طرق الحديث الشيخ الألبانى فى إرواء الغليل (٨٠) فليرجع إليها .

ويقال لقطعهما : الإعذار والخفض ، والختانة : صناعة الخاتن ، والختن فعل الخاتن للغلام[1] .

ثانياً : في الشرع : عرف علماء الشرع الختان بأنه : قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص[2] . وقد شرح هذا التعريف كثير من العلماء وها أنا أنقل بعضها من مظانها في كتب الفقه :

قال الماوردي : ختان الذكر قطع الجلدة التي تغطي الحشفة ، والمستحب أن تستوعب من أصلها عند أول الحشفة ، وأقل ما يجزئ أن لا يبقى منها ما يتغشى به ، وختانها ـ أي المرأة ـ قطع جلدةتكون في أعلى فرجها فوق مدخل الذكر[3] .

وقال إمام الحرمين : المستحق في الرجال قطع القلفة وهي الجلدة التي تغطي الحشفة حتى لا يبقى من الجلدة شئ يتدلى[4] .

وقال الإمام النووي : إن الواجب في الرجل أن يقطع جميع الجلدة التي تغطي الحشفة حتى ينكشف جميع الحشفة ، وفي المرأة يجب قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج[5]

حكم الختان

نظراً لعدم وجود الأدلة الصريحة ، القاطعة من الشارع ، لهذا اختلف العلماء ، بحسب اختلاف وجهات نظرهم إلى الأدلة ، أو بحسب الدليل نفسه ، ولكن مع كل هذا ، يمكن لنا أن نحصر أقوال العلماء إلى ثلاثة آراء :

الأول : بوجوب الختان في حق الرجال والنساء على السواء . بدون أي تفريق ومن القائلين بهذا الرأي الإمام الشافعي ، وروى هذا القول عن عطاء[6] ، حتى قال عطاء : لو أسلم الكبير لم يتم إسلامه ، حتى يختتن .

---

(١) لسان العرب (١٢ / ١٣٧) مادة (ختن) .

(٢) نيل الأوطار (١٥٤/١) ، وتحفة الأحوذي (٣٤/٧) .

(٣) انظر نيل الأوطار (١٥٤/١) .

(٤) المجموع (٣٥٦/١) طبعة العاصمة .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤٨/٣) .

(٦) المجموع (٣٥٦/١) ، شرح النووي لصحيح مسلم (١٤٨/٣) ، فتح الباري (٣٤٠/١٠) ونيل الأوطار (١٥٥/١) .

وأدلة هذا الرأى هى : قول الله عز وجل : ﴿ أن اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾[١] .
وقد بين النبى ﷺ أن إبراهيم عليه السلام قد اختتن فقال : « اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالْقَدُّومِ »[٢] .

وقد استدلوا بأدلة أخرى منها أحاديث ضعيفة وغير ذلك ، فمن شاء التوسع ، عاد إلى كتب الفقه الكبرى ، ولقد تمت مناقشة ما سبق من دليل بأن فعل إبراهيم ـ عليه السلام ـ لا يدل على الوجوب ، إذ من الممكن أن يكون قد فعله على الندب .

وقد رد أصحاب هذا الرأى بأن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لا يفعل ذلك فى مثل سنه إلا عن أمر من الله .

الثانى : بأن الختان واجب فى حق الرجال ، وسنة فى حق النساء ، أى أنهم يتفقون مع الرأى الأول فى وجوب الختان ، ولكن بالنسبة للرجال فقط ، ويختلفون معهم فى أمر النساء ومن أهل هذا الإمام أحمد بن حنبل .

ومن أدلتهم فى سنيته بالنسبة للنساء ،حديث شداد بن أوس : عن النبى ﷺ أنه قال : « الخِتَانُ سُنَّةٌ لِلرِّجَالِ وَمَكْرُمَةٌ لِلنِّسَاءِ »[٣] .

الثالث : أنه سنة فى حق الرجال والنساء ، وقد قال به الإمام مالك وأكثر العلماء ، ونقل ذلك عن بعض الشافعية وعن أبى حنيفة .

وقد استدلوا بحديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « الفِطْرَةُ خَمْسٌ : الخِتَانُ ، وَالاسْتِحْدَادُ ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ ، وَنَتْفُ الإِبْطِ ، وَقَصُّ الشَّارِبِ »[٤] .

القول الراجح فى المسألة : قال الشوكانى ـ رحمه الله ـ : « والحق أنه لم يقم

---

(١) سورة النحل ، ١٢٣ .

(٢) أخرجه البخارى (١٧٠/٤) ، (٨١/٨) ، ومسلم (١٢٢/١٥) ، الخطيب التبريزى (٥٧٠٣) فى مشكاة المصابيح ، والبيهقى (٢٢٥/٨) فى السنن الكبرى . وقيل فى تفسير القدوم هو آلة النجارة ، أو اسم البلدة التى اختتن بها .

(٣) إسناده ضعيف لمخرجه أحمد (٧٥/٥) ، وابن أبى شيبة (٥٨/٩) ، وابن أبى حاتم فى العلل (٢٤٧/٢) ، والطبرانى فى الكبير (٧١١٢) ، (٧١١٣) وأخرجه البيهقى (٣٢٥/٨) ، وضعفه فى السنن الكبرى ، قال ابن عبد البر فى التمهيد . هذا الحديث يدور على حجاج بن أرطاة وليس ممن يحتج به ، انظر فتح البارى (٤٦١/٨) ، شرح السنة (١٠/١٢) .

(٤) إسناده صحيح . أخرجه البخارى (٢٠٦/٧) ، ومسلم (١٤٦/٣) ، وأبو عوانة (١٩٠/١) ، وأبو داود (٤١٩٨) ، والترمذى (٢٩٠٥) وقال : حسن صحيح ، والنسائى (١٤/١) ، وابن ماجه (٢٩٢) وأحمد (٢٢٩/٢ ، ٢٣٩ ، ٢٨٣ ، ٤١٠ ، ٤٨٩) .

دليل صحيح يدل على الوجوب ، والمتيقن السنية كما في حديث «خمس من الفطرة» ونحوه ، والواجب الوقوف على المتيقن إلى أن يقوم ما يوجب الانتقال عنه »[1] .

وقت الختان

قال الإمام الشوكاني : « مدة الختان لا تختص بوقت معين ، وهو مذهب الجمهور ، وليس بواجب في حال الصغر ، وللشافعية وجه أنه يجب على الولي أن يختن الصغير قبل بلوغه ، ويرده حديث ابن عباس الآتي :

قال سعيد بن جبير : سئل ابن عباس مثل من أنت حين قبض النبي - ﷺ - ؟ قال : أنا يومئذ مختون . وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك[2] ، ولهم أيضا وجه أنه يحرم قبل عشر سنين ، ويرده حديث : « أن النبي ﷺ ختن الحسن والحسين يوم السابع من ولادتهما »[3] .

قال النووي : وإذا قلنا بالصحيح استحب أن يختن في اليوم السابع من ولادته[4] .

وقال ابن المنذر : ليس في الختان خبر يرجع ، ولا سنة تتبع ، والأشياء على الإباحة ، ولا يجوز حظر شئ منها إلا بحجة ، ولا نعلم مع من منع أن يختتن الصبي لسبعة أيام حجة[5] .

وقال ابن الحاج صاحب المدخل : قد مضت عادة السلف أنهم كانوا يختنون أولادهم حين يراهقون البلاغ ، وأما ختانه حين المراهقة فهو متعين ، لأن كشف عورته بعد البلاغ محرم ، لكن يدخل عليه في ذلك الألم الشديد والبطء في البرء بخلاف الصغير فإن ألمه خفيف وبرأه قريب[6] . أي أنه لا يوجد من النصوص الشرعية ما يحدد وقت الختان بالنص في ذلك ، ولكن الأفضلية والاستحباب في الصغر لما علل به ابن الحاج - رحمه الله - من كشف العورة ، وشدة الألم ، وهذا بخلاف حال الصغير .

---

(١) نيل الأوطار (١ / ١٥٦) .

(٢) أخرجه البخاري (١١/٧٥) في الاستئذان : باب الختان بعد الكبر .

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العقيقة من طريق الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن ابن المنكدر أو غيره عن جابر به ، قلت : في سنده الوليد وهو مدلس ، وقد عنعنه ، وفي سنده زهير بن محمد ، قال الحافظ : رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة فضعف بسببها ، التقريب (١/٢٦٤) .

(٤) انظر نيل الأوطار (١/١٥٥) ، صحيح مسلم بشرح النووي (٣/١٤٨) .

(٥) نقلا عن تحفة المودود (ص/١٤٢) .

(٦) المدخل (٣/٢٩٦) .

فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية
فى ختان المرأة

سئل رحمه الله ـ عن المرأة : هل تختتن أم لا ؟

فأجاب : الحمد لله . نعم تختتن ، وختانها أن تقطع أعلى الجلدة التى كعرف الديك ، قال رسول الله ﷺ للخافضة ـ وهى الخاتنة ـ : « أشمى ولا تنهكى ، فإنه أبهى للوجه ، وأحظى لها عند الزوج » ، يعنى : لا تبالغى فى القطع ، وذلك أن المقصود بختان الرجل تطهيره من النجاسة المحتقنة فى القلفة ، والمقصود من ختان المرأة تعديل شهوتها ، فإنها إذا كانت قلفاء كانت مغتلمة شديدة الشهوة .

ولهذا يقال فى المشاتمة : يا ابن القلفاء ، فإن القلفاء تتطلع إلى الرجال أكثر ، ولهذا يوجد من الفواحش فى نساء التتر ونساء الإفرنج ما لا يوجد فى نساء المسلمين ، وإذا حصلت المبالغة فى الختان ضعفت الشهوة ، فلا يكمل مقصود الرجل ، فإذا قطع من غير مبالغة حصل المقصود باعتدال[1] والله أعلم .

الفوائد الصحية
للختــــان

الختان كما ظهر لنا من سنن النبى العدنان ـ ﷺ ـ ومن هدى أبينا إبراهيم ـ عليه السلام ـ ، وكفانا بهذا فضلاً وشرفاً ، ولكن دائماً ما تتوافق النصوص الشرعية الصحيحة مع الأخبار العلمية الصريحة . ومن هذه الموافقات أمر الختان بين الشرع والطب فنجد أن العلماء الذين يعملون فى هذا الجزء من أعضاء الإنسان ، يقررون أن للختان الكثير من الفوائد ، هذا مع أن الجزء الكبير من هؤلاء العلماء من غير أهل الإسلام ، وكأن القول القرآنى ينادى علينا ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾[2] فمما قال العلماء فى هذا فوائد .

الفائدة الأولى : أن فى الختان فائدة صحية هامة جداً ، وهى أنه قد ثبت أن القلفة ـ وهى الجلدة التى تغطى الحشفة ـ إذا لم تقطع فى الوقت المناسب فإنه يتكون تحتها خلايا « ميكروبية » تتكاثر باستمرار ، ونجد أنها تسبب أضراراً بالغة الشدة والخطورة على الشخص ، ولذلك يكون العلاج الطبى فى الحال ـ من قبل أهل التخصص ـ هو الأمر بإزالة القلفة فوراً .

---

(١) نقلاً عن الفتاوى (١١٤/٢١) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

(٢) سورة يوسف : ٢٦

الفائدة الثانية : عند التبول تتسلل بعض قطرات البول إلى التجويف الموجود بين القلفة وبين رأس الذكر ، وهذه القطرات إلى جانب كونها مكاناً خصباً للميكروبات والجراثيم في هذه المنطقة ، فإنها كثيراً ما يخرج بعضها بعد التطهر فتصيب النجاسة الثوب والبدن ، كماأنها تسبب كثيرا من الوسوسة ـ أعاذنا الله منها ـ لدى الشخص ، إذ يظن أنها خارجة من الذكر فيعيد وضوءه المرة بعد الأخرى .

الفائدة الثالثة : إزالة القلفة لها تأثير طيب جداً على المعاشرة الزوجية ، إذ أن غير المختونة ، تجد من شدة اللذة ، ما لا تجده المختونة ، فكأن المختونة فى حالة اعتدال ، أما الأخرى فى حالة شدة اللذة وهو موضع خطر عظيم .

الفائدة الرابعة : أن الختان إلى جانب كونه من شعارات الإسلام ، إذ به يفرق بين المسلم المحافظ على سنن دينه ، والمخالف لها ، أو المخالف لعقيدة الإسلام ، إذ فى الغالب أن الذين يحافظون على الختان هم أهل الإسلام[1] .

الاعتدال فى ختان المرأة

المراد من ختان المرأة ، كما يقول بعض أهل الطب هو اعتدال شهوتها ، لأنها إن كانت قلفاء ـ أى غير مختونة ـ كانت شديدة الشهوة تنظر وتتطلع إلى الرجال كثيراً . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإنها إن ختنت بطريقة فيها مبالغة ، فإن ذلك يضعف من شهوتها ، فلا يمكن للرجل أن يحقق ما يريد من استمتاع بزوجته ، وأما إذا حدث الختان ولكن بطريقة غير مبالغ فيها ، فإنه يحقق المراد عند الرجل والمرأة على السواء .

ومن حين إلى آخر تتعالى الصيحات طالبة بمنع ختان المرأة ، وما ذاك إلا لأن بعض البلاد العربية التى قد التزمت بسنن الإسلام ، تفعل الختان ، ولكن بطريقة غير شرعية ففى السودان يتم استئصال الجلدة كلها ، وهذا حرام وعمل جاهلى وعواقبه وخيمة ، ويحرم الرجل والمرأة من اللذة ، ويؤدى أحياناً لشرب المسكرات والمخدرات من الرجال ، وقد يؤدى إلى مشاكل أسرية كثيرة قد تؤدى إلى عواقب وخيمة ، بسبب البرودة الجنسية الناتجة عن هذا العمل عند النساء .

---

(١) انتهى بتصرف من كتاب الفطرة (ص / ١٥٢) .

أختى المسلمة : هذا النوع أو الطريقة من الختان ، يطلق عليها الختان الفرعونى ، ولكن هل لأن البعض أساء ، نوقف العمل بسنن النبى ﷺ ؟

إن ترك الختان أبد الدهر عند المرأة ؛ سوف يؤدى بدوره إلى مفاسد كثيرة ، منها كثرة الفجور ، والأمراض السرية ، وإنما دائما خير الأمور الوسط ، لا نترك سنة الختان ، ولا نبالغ فى فعلها ، فياليت العقلاء من المسلمين يضعون الأمور فى مواضعها ، فلا يطلبون بوقف أو منع ختان المرأة ، ويحذرون هؤلاء الذين يبالغون فى فعله ، مع بيان سنة النبى ﷺ .

العلم الحديث
والختان النبوى

يقول الدكتور **صبرى القبانى** : إن الختان تدبير صحى عظيم ، يقى صاحبه كثيراً من الأمراض ، والاختلاطات ، وفى الختان بعض الفوائد نذكر منها :

أولاً : بقطع القلفة يتخلص من المفرزات الدهنية ، والسيلان النحمى المقزز للنفس ، ويحول دون إمكان حدوث التفسخ والإنتان .

ثانياً : بقطع القلفة يتخلص المرء من خطر انحباس الحشفة أثناء التمدد .

ثالثاً : يقلل بالختان إمكان الإصابة بالسرطان ، وقد ثبت أن هذا السرطان كثير الحدوث فى الأشخاص المتضيقة قلفتهم ، بيد أنه نادر جداً فى الشعوب التى توجب عليهم شرائعهم الدينية الختان .

رابعاً : إذا أسرعنا فى ختان الطفل أمكنا تجنبه الإصابة بسلس البول الليلى الذى يصيب كثيراً من الأطفال فى فراشهم ليلاً ، بسبب انعكاس عصبى مصدره القلفة المتخرشة .

خامساً : يخفف بالختان خطر الإكثار من استعمال العادة السرية ، لأن وجودها ، ووجود مفرزاتها ، يثير الأعصاب التناسلية المنبثة حول قاعدة الحشفة ، وتدعو المراهق إلى حكها والاستزادة من مداعبتها ، ومداعبة عضوه .

سادساً : ويبدو أن للختان تأثيراً غير مباشر على القوة الجنسية ، فقد تبين من إحصاءات بعض المعاهد العلمية ، بأن المختونين تطول مدة الجماع عندهم ، قبل القذف ، أكثر من غير المختونين لذلك فهم أكثر استمتاعاً ، وأكثر إمتاعاً ، وإرضاء .

ويعلل « الدكتور فهلنجرى أسباب الختان » حسب مطالعته فيقول : إن هدف الختان الأصلى هو على الأرجح إطالة مدة الجماع ، إذ أن طرف العضو المختون يحتاج إلى وقت أطول من العضو غير المختون ليبلغ ذروة التهيج ، انتهى .

التعصب العلمي : ومما يؤسف له أن أحد الأطباء مدفوعاً بالتعصب المزرى يقول لتلاميذه إن الختان مضر بالصحة ، على الرغم من البراهين الكثيرة العلمية على فوائده التى سبق أن ذكرناها فيما مضى .

الختان والبعد عن السرطان

جاء فى مجلة « طبيبك » : لقد دلت نسبة الإحصاءات على أن سرطان الرحم عند زوجات المختونين أقل بكثير من نسبتها عند زوجات غير المختونين[1] .

أختى المسلمة : وهكذا يتبين لنا أن الختان النبوى ، سنة طيبة ، سنها لنا نبينا ﷺ ، ومهما تمسك المغرضون بالمزاعم الفاسدة ، فإنا خلف طريقه ـ ﷺ ـ نسير .

وعندما يتجه البعض إلى نظم الغرب ، أو تقاليع الشرق فى حياتهم أو عاداتهم ، ينبغى لنا ، نحن أهل الإسلام ، أن نلوذ بمنهاج الإسلام وتعاليمه ، وآدابه ، ليتحقق لنا معنى كوننا « مسلمين » ولأنه هو النظام الوحيد الصالح والشامل والمنزه عن القصور ، والأخطاء الناجمة من المناهج البشرية ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾[2] .

فصل

أهمية سنن الفطرة

فى هذا العصر ، وكل عصر

يترتب على تمسك العبد المسلم بهذه السنن النبوية ، الكثير من المصالح الدنيوية والدينية فى وقت واحد ، ومن هذه المصالح[3] .

أولاً : فى التمسك بهذه السنن شرف الاتباع لسنة النبى ﷺ ، وسنن الأنبياء والمرسلين قبله ، وقد علمنا من كتاب ربنا أن الفوز فى الدنيا والآخرة إنما هو منوط

(١) طبيبك الخاص ـ عدد ١٧٧ ـ (ص / ١٠٤) .

(٢) سورة البقرة : ١٣٨ .

(٣) استفدنا كثيرا من كتاب (الفطرة) .

بتلك المتابعة كما قال عز وجل : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[1] . وقد أمر العلى الخبير نبيه الأمين بالاستنان بسنن الأنبياء من قبله فقال له : ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[2] . ونحن قد أمرنا بالاقتداء بالنبى ﷺ ، فكأننا قد اقتدينا بهم .

ثانياً : أن فى التمسك بهذه الخصال ، تبدو المحافظة على الصورة الحسنة ، التى خلق الله - عز وجل - الإنسان عليها والتى أشار إليها جلت قدرته بقوله : ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾[3]، وقوله جل شأنه : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[4]. وكأن هذا الإنسان قد خلق كاملا فى صورة لا يعلو عليها صورة ، وبالتخلى أو التبديد فى هذه السنن الفطرية التشويه لتلك الخلقة الربانية .

ثالثاً : أن العبد المؤمن كلما واظب واعتاد أن يتمسك بتلك السنن الفطرية نجد أنه بهذا يحافظ على نظافة تلك المواضع ، وهذه الأعضاء ، التى هى تعتبر مصدراً للأذى والروائح المستكرهة فى جسم الإنسان فيظل المؤمن فى طهارة قلبية ، وطهارة بدنية ، وهذا هو ما يريده الإسلام من المسلم أن يكون طاهر القلب والبدن ، لا تعارض بين الظاهر والباطن .

رابعاً : أن فى التمسك بهذه السنن تبدو صورة المسلمين واحدة ، مجتمعة الظاهر ومتحدة الباطن ، ويظهر التآلف بينهم لهذا التوحد .

خامساً : فى التمسك بهذه السنن محافظة المرء على المروءة ، وعلى انشراح الصدر ، وعلى التآلف المطلوب ، لأن الإنسان إذا ظهر فى صورة جميلة ، منظمة ، كان ذلك أدعى لانبساط النفس إليه ، فيقبل قوله ، ويحمد رأيه والضد بالضد تماماً .

سادساً : فى تمسك العبد بهذه السنن فعل الخير للآخرين ، إذ أن العبد لو تخلى عنها ، لكانت رائحته كريهة لاتطاق ، ولكن بتمسكه بها تستطاب رائحته ، وذلك بكفه للأذى الذى يتأذى به الصديق أوالجليس .

سابعاً : فى التمسك بهذه السنن إظهار المخالفة لشعارات الكفر وأهله ، من مجوس ، ويهود ، ونصارى ، وغيرهم من ملل الكفر بأنواعها .

ولذا نجد أن النبى - ﷺ - كثيراً ما نبه إلى هذا الأمر بتلك التحذيرات ، خالفوا المجوس ، خالفوا اليهود ، خالفوا أهل الكتاب ، خالفوا المشركين .

---

(١) سورة الأحزاب : ٧١ (٢) سورة الأنعام : ٩٠
(٣) سورة التغابن : ٣ (٤) سورة التين : ٤

ثامناً : يترتب على العمل بهذه السنن الكثير من الفوائد الصحية بعيدة الأثر ، ولننظر في إزالة الأتربة والشوائب تعلق بشعيرات الأنف عند الوضوء في حالة الاستنشاق والاستنثار ، وكذلك الميكروبات التي تتكون في قلفة العبد من الداخل إذ أنها تسبب للإنسان أضراراً بالغة ، ومن عجيب ما قرأت : أن الاستنثار في حالة الوضوء يخرج من أنف الإنسان أربعة عشر مرضاً .

تاسعاً : إن في التمسك بها غلبة الشيطان ، والتصدي لوساوسه ، وقطعها من بدايتها ، ولعل هذا هو ما يشير إليه حديث المعصوم ﷺ : « إذا استيقظ أحدكم من منامه ، فليستنثر ثلاث مرات فإن الشيطان يبيت على خياشيمه »[1] .

واعلمي أختي المسلمة أن الفوائد[2] أكثر من هذا ، ولكن ما بينا هو جهد المقل ، وحال الفقير ، فاللهم اغفر لنا التقصير .

٩ الوصية بالاستعاذة من القمر

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ نظر إلى القمر ، فقال : « يَاعَائِشَةُ اسْتَعِيذِي بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا ، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ »[3] .

أختي المسلمة : الاستعاذة بالله : نداء من فقير إلى غني ، ولجوء من ضعيف إلى قوي ، واحتماء من ضئيل بعظيم .

(١) إسناده صحيح . أخرجه البخاري (١٥٣/٤) ، ومسلم (١٨٠/٣) بمعناه وليس عنده ذكر مبيت الشيطان ، والنسائي (٦٧/١) ، والخطيب التبريزي (٣٩٣) في المشكاة .

(٢) وقد أشار كل من الحافظ العراقي ، والحافظ ابن حجر إلى بعض هذه المعاني ، انظر : طرح التثريب (٧٣/٢) ، الفتح (٤٥٨/١٢) .

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٢٥) وقال : حسن صحيح ، وأحمد (٦١/٦ ، ٢٠٦ ، ٢٣٧) ، والطحاوي (٣١٠/٢) في مشكل الآثار ، والطيالسي (١٤٨٦) ، والحاكم (٥٤٠/٢ـ٥٤١) وصححه وأقره الذهبي كلهم من طرق عن ابن أبي ذئب عن خاله الحارث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها ، وقد حسن هذا الحديث الإمام ابن حجر ، كما في الفتح (٧٤١/٨) ، وصححه الشيخ الألباني ، في السلسلة الصحيحة (٣٧٢) وقال : رجاله ثقات رجال الشيخين غير الحارث بن عبد الرحمن هذا ، وهو القرشي العامري ، وهو صدوق كما في التقريب ، وقد قرن به ابن أبي ذئب : المنذر بن أبي المنذر ، رواه أحمد (٢١٥/٦ ، ٢٥٢) عن عبد الملك بن عمرو عنه ، والمنذر هذا مقبول كما في التقريب ، فالحديث صحيح ، وقد رواه النسائي في الكبرى كما ذكر ابن كثير (٥٧٣/٤) .

وفي هذه الوصية التي بين أيدينا يوصي رسول الله ﷺ زوجته أم المؤمنين بالاستعاذة من شر الغاسق إذا وقب ، بمعنى من شر مظلم إذا دخل ، وهجم علينا بظلامه ، وقد اختلف أهل التأويل في المظلم الذي عنى في الآية الكريمة .

فقال بعضهم : هو الليل إذا أظلم ، بمعنى استعيذي بالله من شر ظلام قدوم الليل ، وممن ذهب إلى ذلك : الحسن ومحمد بن كعب القرظي ، ومجاهد ، وابن عباس[1] .

وقال آخرون : هو كوكب ، وكان بعضهم يقول ذلك الكوكب هو الثريا ، وممن ذهب إلى هذا أبو هريرة ، وابن زيد ، الذي قال : كانت العرب تقول الغاسق : سقوط الثريا ، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها ، وترتفع عند طلوعها[2] .

أختي المسلمة : عندما نبحث عن كلمة « غسق » التي اختلف العلماء في تفسير المراد باسم الفاعل منها ، وهو الغاسق ، نجد ما يلي :

قال في القاموس : الغسق محركة ظلمة أول الليل ، وغسق الليل غسقاً اشتدت ظلمته ، والغاسق : القمر ، أو الليل إذا غاب الشفق .

قال العلامة الطيبي ـ رحمه الله ـ : إنما استعاذ من كسوفه لأنه من آيات الله الدالة على حدوث بلية ، ونزول نازلة .

وقيل : إذا وقب ، بمعنى دخل في المحاق ، وهو آخر الشهر ، وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث للمرض ، وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة .

وقال ابن عباس : الغاسق : الليل إذا وقب أي أقبل بظلمته من المشرق .

وقيل سمي الليل غاسقاً لأنه أبرد من النهار ، والغسق : البرد ، وإنما أمر ﷺ بالتعوذ من الليل لأن فيه تنتشر الآفات ، وفيه يتم السحر .

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال : إن الله أمر نبيه ﷺ أن يستعيذ من شر غاسق ، وهو الذي يظلم ، يقال : قد غسق الليل يغسق غسوقاً إذا أظلم ، إذا وقب : بمعنى إذا دخل في ظلامه ، والليل إذا دخل في ظلامه غاسق ، والنجم إذا أفل غاسق ، والقمر غاسق إذا وقب ، ولم يخصص بعد ذلك بل عم الأمر بذلك ، فكل غاسق ، فإنه ﷺ كان يؤمر بالاستعاذة من شره إذا وقب[3] . انتهى .

---

(1) تفسير الطبري (٢٢٦/٣٠) ، وابن كثير (٥٧٣/٤) ، والقرطبي (ص/٧٣٤٦) .

(2) المصادر السابقة .　　(3) تفسير الطبري (٢٢٧/٣٠) قاله ابن جرير .

وهكذا أختي المسلمة نتعلم من هذه الوصية أن نستعيذ بالله إذا دخل علينا الليل بظلامه ، ونستعيذ بالله من شر خسوف القمر عند اختفائه ، والاستعاذة على كل حال ، تجلب رضا الرحمن ، وتبعد المسلمة عن مسالك الشيطان .

أختي المسلمة : نلمح من خلال تلك الوصية الدعوة إلى النظر ، والتفكر في عجائب صنع الله ، من خلال القمر ، فعندما تتأملين في عظمة الله وقدرته ، تجدين القمر شاهداً على ذلك ، ومن أدلة ذلك .

انظري إلى القمر ، كيف يبديه الله تعالى كالخيط الدقيق ، ثم يتزايد نوره ، ويتكامل شيئاً فشيئاً كل ليلة ، حتى يصل إلى كماله وتمامه ، ثم يأخذ في النقصان ، حتى يعود إلى حالته الأولى ، ليظهر من خلف ذلك مواقيت العباد ، في حياتهم الدنيا ، من معاش ، وعبادة ، ويظهر من خلف ذلك الشهور والسنون ، والأيام ، والليالي .

ثم تأملي ببصرك في مقدار القمر ، ثم في شكله ثم في موضعه من السماء ، كل ذلك ينطق بعظمة الله ، الواحد القهار ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾[1] .

ثم تأملي في هذه النجوم ، وكثرتها ، وتنوعها ، وعجيب خلقها ، والحكمة من خلقها ، وكيف أنها زينة للسماء ، كمصابيح في الأرض ، وهي الدليل الذي يقود الناس في البر والبحر ، وما جعل فيها من شدة الضوء ، وقوة النور ، بحيث يمكننا رؤيتها مع البعد المفرط ، ولولا ذلك لم نستطع الاهتداء ، ولم نعرف الأوقات .

ثم تأملي كيف أن تلك النجوم على كثرتها التي لا تحصى ، منقادة لربها ، تسير على طريقة واحدة ، أراد الله لها أن تسير عليها ، فلا القمر يسبق ، ولا الشمس تستطيع أن تفعل هذا ، لا الليل يسبق النهار ، ولا النهار سابق الليل .

استمعي إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾[2] .

وتأملي في قوله جل شأنه : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[3] .

أختي المسلمة في هذه الآية عظة ، وتبصرة ، وذكرى لمن كان له قلب ، ولمن نظر بعينه ، فاعتبري بما تشاهدين ، واتعظي لعلك ترحمين .

---

(1) سورة يس : ٣٩ . (٢) سورة الملك : ٥ . (٣) سورة يس : ٤٠ .

١٠ التحذير من طلب الزوجة للطلاق

عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلاَقاً فِي غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الجَنَّةِ »[١] .

أختى المسلمة : هذه وصية غالية من الرسول ﷺ إلى كل امرأة قد آمنت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ورسولاً ، ﷺ .

يحذر النبى ﷺ المرأة المسلمة من الوقوع فى هذا الإثم العظيم ، فالحياة الزوجية لابد أن تبنى على المودة الخالصة ، والمحبة الصادقة ، لأنه متى قامت على هذه المشاعر النبيلة ، كانت كلها خيراً وبركة على أصحابها ، فالزواج رابطة مقدسة ، تقوم على أسمى المعانى الروحية والعاطفية ، وهو عبارة عن شركة بين اثنين فى كافة شئون الحياة ، وعقد الزواج فى الإسلام إنما يعقد للدوام ، وعلى التأبيد إلا أن يشاء الله أمراً كان مفعولاً .

ومن أجل هذا كله كانت الصلة بين الرجل وزوجته من أقدس الصلات ، وأوثقها ، ولم لا ؟!!

وقد قال ربنا عز وجل : ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾[٢] .

ولقد عُنِىَ الإسلام الحنيف بحقوق كل من الزوجين عند الآخر ، عناية تامة ، وهذه هى حقوق المرأة مجملة على زوجها :

١ ـ الإنفاق عليها بحسب حاله يسراً ، أو عسراً ، وتشمل النفقة الآتى : الطعام ، الشراب ، اللباس ، الدواء ، السكن ، وذلك لقوله عز وجل : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلا مَا آتَاهَا ﴾[٣] .

٢ ـ حق الفراش ، وهو حقها فى الوطء .

---

(١) إسناده صحيح أخرجه أبو داود (٢٢٢٦) ، والترمذى (١١٩٨) وقال : هذا حديث حسن ، وابن ماجه (٢٠٥٥) ، وأحمد (٢٧٧/٥ ، ٢٨٣) ، والدارمى (١٦٢/٢) ، وابن حبان (١٩١/٦) ، والحاكم (٢٠٠/٢) ، والبيهقى (٣١٦/٧) من طرق عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن ثوبان .

(٢) سورة النساء : ٢١

(٣) سورة الطلاق : ٧

٣ ـ حماية عرضها ، ومالها ، ودينها ، لأن الرجل هو المسئول عن زوجته ، والمختص بحمايتها من كل مكروه وسوء .

٤ ـ تعليم زوجته الضروري من أمور الدين ، وإن عجز الزوج عن تعليمها بنفسه ، أذن لها في حضور مجالس العلم في بيوت الله ، أو عند من لديهن العلم من بنات جنسها ، أو غير ذلك من طرق العلم المباحة شرعاً .

٥ ـ حسن العشرة ، لقوله عز وجل : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[1] .

وللزوج كذلك من الحقوق الكثير على زوجته ، فمن ذلك :

١ ـ أن تكون مطيعة له ، متجنبة لإيذائه بقول ، أو فعل ، عاملة على مرضاته ، حتى تدخل جنة ربها .

٢ ـ من حقه عليها ، أن تكون صالحة عابدة ، حافظة لغيبته في نفسها ، وفي ماله ، وفي بيته .

٣ ـ ومن حقه عليها : أن تتقي ربها في مال زوجها ، وأن تأخذ منه بحكمة ، لا إسراف ، ولا تبذير ، ولا تكلفه مالا يستطيع .

٤ ـ ومن حقه : أن تتأدب بآداب الدين من حشمة ووقار في اللباس وفي الزينة .

٥ ـ ومن حقه : أن تقوم بتدبير شئون بيته ، وخدمته بالمعروف .

٦ ـ ومن حقه : تأديبها إذا خرجت عن طاعة الله ، أو فعلت ما يغضبه .

كل تلك الحقوق التي قررها الإسلام للطرفين حتى تستمر العلاقة الزوجية في أحسن حال وعلى خير ما يرام ولذا فكل أمر من شأنه أن يضعف هذه العلاقة قد أبغضه الإسلام .

٧ ـ ولذا عندما تتأملي أختي المسلمة في تلك الوصية التي بين أيدينا تجدين أنها تحذر من حدوث هذا الطلاق عن طريق يغضب الله .

فالطلاق في الإسلام هو طلاق الحكمين في الشقاق بين الزوجين ، إذا رأيا أن الطلاق هو الوسيلة لقطع الشقاق .

أما أن يحدث وينظر الرجل إلى امرأة أخرى فيشتهي أن يطلق زوجته مع أنه لم يحدث من زوجته ما يستدعي ذلك من سوء عشرة ، أو تقصير ، فإن هذا الزوج ربما

---

(١) سورة النساء : ١٩

يؤدى إلى فتنة زوجته ، فهذا الزوج قد كفر بنعمة الله عليه ، ووقع فى سوء أدب ، ويكون الطلاق مكروها محظوراً ، وبالمثل الحديث الذى بين أيدينا الآن ، فلنتأمل فيه .

المعنى الإجمالى : أى امرأة سألت زوجها أن يطلقها فى غير حالة شدة تدعوها ، وتلجئها إلى المفارقة كأن تخاف أن لا تقيم حدود الله فيما يجب عليها من حسن الصحبة ، وجميل العشرة لكراهتها له ، أو بأن يضارها لتختلع منه ، فحرام عليها ، أى ممنوع عنها رائحة الجنة ، وذلك على نهج الوعيد ، والمبالغة فى التهديد ، أو وقوع ذلك متعلق بوقت دون وقت ، أى لا تجد رائحة الجنة أول ما وجد أهل الإحسان ، والفلاح ، أو لا تجد أصلاً ، وهذا من المبالغة فى التهديد ، ونظير ذلك كثير .

أختى المسلمة : الزواج فى الإسلام يراد به إنشاء أسرة قوية ، مترابطة ، يسودها الود والمحبة ، إنها مؤسسة اجتماعية مصغرة ، تسعى لأهداف نبيلة عليا ، فإذا لم تتحقق الغاية منه ، لقصور فى الزوجين ، أو كليهما فى القيام بواجباته ، أو تنكر لحقوق الآخر عليه ، كان لابد من فصم العلاقة بين الزوجين ، وذلك لأن فى استمرارها لا يستقيم معها بناء الأسرة ، وتنهار قواعدها ، ومن هنا نشأت الضرورة للأخذ بمبدأ الطلاق كعلاج واق لسلامة بناء الأسرة ، وتقدير هذه الضرورة يعود للرجل ، باعتباره رأس الأسرة ، وهو المكلف برعايتها ، والإنفاق عليها .

غير أن الرجل لا يسوغ له بحال من الأحوال أن يمارس حق الطلاق إلا فى حدود الضرورة التى تقتضيه ، ويعتبر ظالماً ، ومسئولاً ديانة ، إذا تجاوز هذا الحق ، فهو عند الله أبغض الحلال ، والمؤمن الصادق فى إيمانه ، العامل بإسلامه ، يخشى سخط ربه ، ويخشى عقابه ، ولقد أعطى الإسلام المرأة الحق فى الطلاق عن طريق الخلع ، وهو أن تدفع بعض الماديات ، أو تتنازل عنها ، نظير أن يطلقها الزوج لتضررها .

اللجوء إلى الطلاق

أختى المسلمة : يطلب الإسلام منك أن تعملى ما فى قدرتك لكى تبقى الحياة الزوجية قائمة ، فهى تسعى للقضاء على الخلاف والشقاق ، وتصبر على جفاء زوجها ، وتتحمل ما يكون منه من أخطاء ، فإذا شعرت الزوجة بجفوة من زوجها فعليها بالسعى فى إذهاب تلك الجفوة ، بمعرفة مصدرها ، وأسبابها ، تجلس مع زوجها ، وتناقشه ، وتسعى فى رضا قلبه ، وتصلح ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا

صلحاً والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾[1] .

وكذلك الزوج إذا أحس بنفرة من زوجه ، فعليه بالصبر عسى أن تكون هذه النفرة مؤقتة ، عارضة ، كما قال تعالى : ﴿ فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾[2] .

ولكن إذا لم ينجح ذلك ، وبدت أمارات الشقاق ، فليس معناه التسرع ، والوقوع في الطلاق ، ولكن ليكن بينهما من يقوم بالإصلاح ، والتوفيق .

قال جل شأنه : ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً ﴾[3] .

فإن عجزت كل تلك الطرق ، وهذه الوسائل عن إيجاد الصلح بينهما ، فليس هناك مناص من حدوث الطلاق بينهما ، قال تعالى : ﴿ وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته وكان الله واسعاً حكيماً ﴾[4] .

أختي المؤمنة : هكذا رأينا كيف أن الطلاق لا ينبغي بحال أن يكون في نزوة طيش ، أو في ثورة غضب ، أو سعياً وراء حب جديد .

فليس من المروءة في شيء ، أن تنسى الزوجة كيف أن زوجها تعب من أجلها وسعى لراحتها ، فإن حدثت منه أخطاء ، أو هفوات ، تسارعين بطلب الفرقة .

أختي المؤمنة : إن الإسراع إلى أبواب المحاكم ظناً أنها علاج لك ليس بالأمر المحمود إلا في نهاية المطاف ، ولا يكون إلا آخر الداء إن صح أنه دواء .

قفي مع نفسك ، وصارحي قلبك ، لما حدث بينك وبين زوجك الجفوة ، أو لما وقع زوجك في تلك الهفوة ، حتماً ستجدين سبباً .

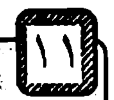
فهكذا تدوم لك العشرة ، وتحمد سيرتك ، ويرتفع قدرك ، وتكونين مثالاً طيباً لدوام العشرة ، والحياة الزوجية .

وهكذا أختي المسلمة . . نترك هذه الوصية ، ونواصل المسير ، ونمضي مع الرسول ﷺ في وصية جديدة من وصاياه لبنات حواء .

---

(1) سورة النساء : 128   (2) سورة النساء : 19

(3) سورة النساء : 35   (4) سورة النساء : 130



الأنساب لا تغني في يوم الحساب

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : لمّا نزلت ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[1] قام رسول الله ﷺ على الصفا[2] ، فقال : « يافاطمة بنت محمد ، ياصفية بنت عبد المطلب ، يابني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلوني من مالي ما شئتم »[3] .

أختي المسلمة : هذه وصية من وصايا الرسول ﷺ إلى أقرب الناس إليه ، إلى ابنته فاطمة ـ سيدة نساء الجنة رضي الله عنها ـ وإلى عمته صفية ـ رضي الله عنها ـ وإلى عشيرته ، يخاطبهم عليه الصلاة والسلام ويبين لهم هذا الأمر العظيم ، وذلك الخطب الجليل قال عز وجل : ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله ﴾[4] .

فيقول ﷺ : « لا أملك لكم من الله » أي من عذابه ، ومن غضبه ، ومن عقابه ، ومن سخطه .

« شيئاً » يعني من القدرة ، ومن التصرف ، ومن المنفعة ، ورفع الضر عنكم .

قال العلامة المباركفوري رحمه الله[5] : والمعنى أني لا أقدر أن أدفع عنكم من عذاب الله شيئاً إن أراد الله أن يعذبكم ، وهو مقتبس من قوله سبحانه :

﴿ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ﴾[6] .

تأملي أختي المسلمة إذا كان النبي ﷺ يقول هذا لذوي قرابته فكيف يكون حالك أنت أختي المسلمة ؟ مع أنك بالقطع تفقدين ما تمت به فاطمة ـ رضي الله عنها ـ من صلة برسول الله ﷺ .

---

(١) سورة الشعراء : ٢١٤

(٢) اسم الجبل المعروف بمكة ، وهو بين بطحاء مكة ، والمسجد الحرام .

(٣) إسناده صحيح . أخرجه مسلم (٨٠/٣) من طريق محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا وكيع ويونس ابن بكير قالا : حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به ، وأخرجه الترمذي (٢٤١٠) من طريق محمد بن عبد الرحمن الطفاوي أخبرنا هشام عن أبيه .

(٤) سورة الانفطار : ١٩

(٥) تحفة الأحوذي : (٥٩٨/٦)　　(٦) سورة الأعراف : ١٨٨

قوله : «سلوني من مالي ما شئتم» قال التوربشتي : أرى أنه ليس من المال المعروف في شيء ، وإنما عبر به عما يملكه من الأمر ، وينفذ تصرفه فيه ، ولم يثبت عندنا أنه كان ذا مال ، لا سيما بمكة ، ويحتمل أن الكلمتين ، أعني من وما وقع الفصل فيهما من بعض من لم يحققه من الرواة ، فكتبهما منفصلتين .

وقال العلامة على القاري فيه : أنه يرده قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ﴾[1] ، أي بمال خديجة ـ رضي الله عنها ـ على ما قاله المفسرون .

وأيضاً لم يلزم من عدم وجود المال الحاضر للجواد أن لا يدخل في يده شيء من المال في الاستقبال ، فيحمل الوعد المذكور على تلك الحال ، ومهما أمكن الجمع لتصحيح الدراية تعين عدم التخطئة في الرواية[2] . انتهى .

ونتعلم أختي المسلمة من هذه الوصية أن المسئولية الملقاة على أعناقنا عظيمة ، علينا أن نسعى جادين في إسداء النصح إلى كل من لنا عليه ولاية من أهل ، أو أقارب ، وتحذيرهم من التقصير في حق الله ، ظناً منهم أن الانساب ، أو الأحساب لها شأن عند الله ، فإن حسب المؤمن هو التقوى ، ونسبه هو الإسلام ، وجاهه هو الإيمان ، فليرفع في حسبه بالعمل الصالح ، وليتمسك بنسبه الأصيل ، وليعتمد على جاهه الذي لا يخيب ظن صاحبه ، ففي يوم القيامة ، عندما ينفخ في الصور ، ويقوم من في القبور ، يتخلى كل إنسان عن أمه وأبيه ، وزوجه وأولاده ، وإخوته وأصحابه .

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ۝ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾[3] .

وقال جل جلاله : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ۝ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾[4] .

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين نادى مناد : ألا من كان له مظلمة فليجيء ، فليأخذ حقه ، فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده ، أو زوجه .

---

(١) سورة الضحى : ٨ .
(٢) تحفة الأحوذي : (٦/٥٩٨) .
(٣) سورة «المؤمنون» : ١٠١ ـ ١٠٣
(٤) سورة عبس ٣٣ ـ ٣٧

هكذا أختى المسلمة لا ينفع المرء فى هذا اليوم العصيب إلا عمله الصالح فى دنياه . إن الكل سوف يتخلون عنك ، حتى جوارحك ستشهد عليك بما فعلت من خير ، أو شر ، ومصداق ذلك فى كتاب الله قوله : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[1] .

وقوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2] .

حتى أنك تعجبين ، وتساءلين ، وتقولين لجوارحك : لم شهدت علىّ ؟ .

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[3] .

تفكرى أختى المسلمة فى هذا اليوم العسير ، إلا من يسر الله عليه أهواله ، إنك مع جميع الخلق من رجال ، ونساء ، وشباب ، وشيوخ ، تقفون أمام الله لا يخفى منا شئ عنه تبارك وتعالى :

﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ● الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[4] .

وقال عز وجل : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾[5] .

أين أختى الأحساب والأنساب ؟ أين الصدقات ؟

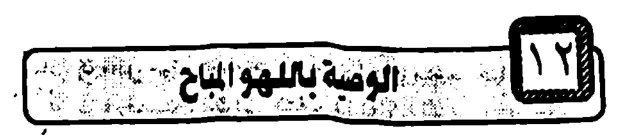
فاستعيدى النظر فيما سبق ، واستعدى لهذا اليوم العظيم ، الذى أوانه قد اقترب ، يوم تجدين كل ما قدمت من عملك وأخرت محضراً ، يوم تخرس الألسن ، وتنطق الجوارح .

فنسأل الله العظيم ، رب العرش العظيم : أن يرحمنا ، ويعفو عنا ، ويغفر لنا ، إنه أهل التقوى ، وأهل المغفرة .

* * *

---

(١) سورة يس : ٦٥ (٢) سورة النور : ٢٤ (٣) سورة فصلت : ٢١
(٤) سورة غافر : ١٦ ــ ١٧ (٥) سورة الحاقة : ١٨



١٢ الوصية باللهو المباح

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها زفّت امرأةً إلى رَجُلٍ مِنَ الأنصارِ ، فقال نبي الله ﷺ : « يَاعائشةُ ما كانَ معكُم لَهْوٌ ، فإنَّ الأنصارَ يعجبهم اللهْوُ »(١) .

أختى المسلمة : الإسلام دين الإنسانية ، يعرف حوائج البشر ، ويعرف المتطلبات التى يحتاج إليها كل إنسان ، ولقد علم الإسلام أن القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فأباح للمسلم أو المسلمة أن يتعاطيا اللهو المباح فى الأعياد ونحوها من مناسبات الزواج وغيرها .

ومن هذا المنطلق نجد فى تلك الوصية التى بين أيدينا الآن ، الرسول ﷺ يسأل عائشة ، أما كان معكم من لهو طيب ، تدخلن به السرور على قلب العروس .

أختى المسلمة ، لقد حدد الإسلام الإطار ، والنظام الذى ينبغى لكل مؤمن ومؤمنة أن يسير من خلاله ، فللإنسان أن يعطى لبدنه حقه ، من طعام ، وشراب ، وكساء ، وراحة ، ولهو مباح ، وله أن يعطى أهله حقهم من حسن عشرة ، ومؤانسة ونحوهما .

فالمسلم ينظر فى تلك الحقوق جميعاً ، ويعمل على القيام بها ، حرصاً منه ، على العمل بوصية النبى ﷺ .

استمعى أختى المسلمة : قال عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال لى رسول الله ﷺ : « يَاعبدَ الله ألم أُخبَرْ أنكَ تصومُ النهارَ ، وتقومُ الليلَ ؟! » فقلتُ : بلَى يارسُولَ الله . فقال : « فلا تفعَلْ ، صُمْ وأفطِرْ ، وقُمْ ونَمْ ، فإنَّ لجسَدكَ عليكَ حقاً ، وإنَّ لعَينِكَ عليكَ حقاً ، وإنَّ لزَوجِكَ عليكَ حقاً ، وإنَّ لزَوْرِكَ عليكَ حقاً »(٢) .

فالمقصود من هذا أن نبين صورة الإسلام الناصعة ، فالإسلام لا يعرف الإفراط فى الراحة ، أو الإسراف فى اللهو المباح ، وكذلك لا يعرف التفريط فى طاعة الله .

فللمرأة المسلمة أن تطلب راحة نفسها ، بما يذهب عن نفسها الضيق بما أباحه

---

(١) صحيح . أخرجه البخارى (٢٨/٧) .

(٢) إسناده صحيح . أخرجه البخارى (٥١/٣) ، (٤٠/٧) ، (٣٨/٨) ، ومسلم (٤٢/٧) وغيرهما .

الله من أنواع اللهو المباح ، فلا تظن المرأة المسلمة أن المراد منها هو حبس النفس عن لهو مباح ، قد خلا من الخنا وفحش الفعل ، والقول .

فعندما تتأملين أحوال سلفك الصالح فسوف تجدين أنهم كانوا يمزحون ، ويلهون ، ولكن عند حقائق الأمور ، كانوا هم الرجال .

قال البخارى : حدثنا صدقة قال : أخبرنا معتمر عن حبيب عن بكر بن عبد الله قال : « كان أصحاب النبى ﷺ يتبادحون بالبطيخ[1] ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال »[2] .

ومن الأقوال المأثورة عن عليٍ ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : روِّحوا القلوبَ ساعةً بعد ساعةٍ ، فإن القلب إذا أُكْرِهَ عَمِيَ .

وقال وهب بن منبه رحمه الله : مكتوب فى حكمة آل داود : حق على العاقل ألا يغفل عن أربع ساعات : ساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ، ويصدقونه عن نفسه ، وساعة يخلو فيها مع نفسه وبين لذاتها ، فيما يحل ويحمد ، فإن فى هذه الساعة عوناً على تلك الساعات[3] .

ومن هنا أختى المسلمة تعلمين أن الإسلام يعلم حاجة النفوس فيجعل لها ما يأخذ بها إلى طاعة الله .

ولكن لنتوقف ، ولنسأل أنفسنا ما هو اللهو الذى أبيح لنا ؟!!

إن اللهو على الإطلاق لم يبحه الإسلام ، إنما أباحه فى إطار محدد ، وعلى منوال مستقيم .

من صور اللهو المباح

فمن اللهو المباح : ما يكون بين الرجل وزوجه من ضحكٍ ، ومزاحٍ ، سواء كان اللهو بالكلام ، أو الأفعال ، أو غير ذلك .

ومن اللهو المباح : الغناء من المرأة للمرأة ، على أن يخلو من الألفاظ الرذيلة

(١) يتبادحون : أى يترامون به ، بدح إذا رمى .
(٢) الأدب المفرد (ص/٨٢) .
(٣) ابن أبى الدنيا (٨) فى محاسبة النفس ، طبع بمكتبة القرآن ، تحقيق مجدى السيد إبراهيم ، وهو من الكتب الجديرة بالقراءة .

والمعانى المبتذلة فلا تخرج فيه المرأة المسلمة عن وقارها ، كذلك ينبغى ألا يصاحب هذا الغناء آلات العزف والموسيقى إلا الدف ، وفى نفس الوقت يكون هذا الغناء بعد تأدية المرأة المسلمة لواجباتها ، وما عليها من حقوق لله .

وأخيراً هذا الغناء إنما يكون فى مناسبات معينة ، حتى لا تمتلئ حياة المرأة المسلمة باللهو ، فتكسل عن تأدية الواجبات التى عليها .

ومن الأحاديث التى نستأنس بها لما سبق بيانه التالى :

قالت الربيع بنت مُعَوذ ـ رضى الله عنها ـ جاء النبي ﷺ ، فَدَخَلَ حينَ بُنِيَ عَلَيَّ ، فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي ، فَجَعَلَتْ جُوَيْرِيَاتٌ لَنَا ، يَضْرِبنَ بِالدُّفِّ ، وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ ، إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ .

فقال : « دَعِي هذه ، وقُولِي بالَّذِى كُنْتِ تَقُولِينَ »[1] .

من هذا الحديث نتعلم أن الكلمة قد تُرد ، وتنبذ لما تحتوى عليه من مخالفة لدين الله عز وجل ، فتلك الجارية قد نسبت دون أن تشعر إلى الرسول ﷺ معرفته بالغيب ، ومن المعلوم أن عقيدة المسلم والمسلمة أنه لا يعلم الغيب إلا الله ، وهذا فى القرآن الكريم كثير .

وعن محمد بن حاطب الجمحى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « فصل ما بين الحرام ، والحلال الدف والصوت »[2] .

ونأخذ من هذا الحديث إباحة الضرب بالدف فى النكاح والغناء المباح الخالى مما سبق ذكره من المنهيات ، وإباحة الضرب بالدف ، أو جوازه مشروط أن يقتصر على الجوارى ، أو النساء ، لأنه من خصائصهن ، أما الرجال فلا يجوز لهم ذلك ، لأن فى هذا الأمر تشبه من الرجال بالنساء .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : رخص للنساء أن يضربن بالدف فى

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه البخارى (٢٥/٧) ، وأحمد (٣٥٩/٦) . وأبو داود (٤٩٢٢) ، والترمذى (١٠٩٦) بنحوه ، وابن ماجه (١٨٩٧) بنحوه ، والبيهقى (٢٨٨/٧) فى السنن الكبرى .

(٢) إسناده حسن . أخرجه الترمذى (١٠٩٤) وقال : حديث حسن ، والنسائى (١٢٧/٦) من طريقين ، وأخرجه ابن ماجه (١٨٩٦) ، وأحمد (٤١٨/٣) ، (٢٥٩/٤) ، والحاكم (١٨٤/٢) والبيهقى فى سننه (٢٨٩/٧) .

الأعراس ، والأفراح ، وأما الرجال على عهده - يعنى النبى ﷺ - فلم يكن أحد منهم يضرب بدف ، ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء ، كان السلف يسمون من يفعل ذلك مخنثاً ، ويسمون الرجال المغنيين مخانيث[1] . انتهى .

ومن اللهو المباح : أعمال التريكو ، وغير ذلك مما تعارف عليه أنه للمرأة .

ومن اللهو المباح : إنشاء المسابقات العلمية ، والثقافية بين المسلمات ، لكى تشحذ من العزائم ، ولتسمو بالنفوس إلى حب اللقاءات مع المسلمات ، إلى غير ذلك من صور اللهو المباح الذى تختص به المرأة عن الرجل فى إطار الشريعة الإسلامية .

أخيراً : لا تنسى أختى المسلمة أن الأصل فى حياة المرأة المسلمة هو أداء الواجبات ، والسعى فى المتطلبات ، أما اللهو فيأتى على فترات ، قد تطول ، أو تقصر ، حتى تجددى نشاطك ، وتستعيدى ما لديك من قوة وحيوية لأداء حق الله ، وحق الزوج ، وحق الأهل .

أخيراً : أختى المسلمة قبل أن نودع تلك الوصية النبوية أذكرك بما وَجبَ عليك من البُعد عن اللهو الذى حرّمه الله ، ونهى عنه ، ثم إنه من الواجب أن تعلمى أنه من الخطر بمكان عظيم ألا تنتبهين إلى خطر آلات اللهو فى العصر الحديث ، من تليفزيون ، وفيديو ، وإذاعة . . إلخ ، إن تلك الوسائل أصبحت تنشر كل ما يفسد الشباب من الجنسين ، هذا عدا ما تسببه من نشر لكل رذيلة .

فالمرأة المسلمة عندما تسمع ، لا تسمع إلا ما يرضى الله تعالى ، وعندما تشاهد ، لا تشاهد إلا ما يرضى الله عز وجل ، وإلا فأنت مأمورة من قبل الله بحفظ سمعك ، وبصرك ، وعقلك ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[2] .

أختى المسلمة : إن المرأة المسلمة إذا لم تستيقظ لهذا الخطر المتواجد فى اللهو الموجود الآن فى وسائل الإعلام ستصبحين ضحية من ضحايا الإعلام المعاصر ، اسمعى تلك القصة عسى أن تكون عبرة لك ، وعظة .

---

(١) نقلا عن رسالة السماع والرقص لشيخ الإسلام ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٢/١٧٨ - ١٧٩)

(٢) سورة الإسراء : ٣٦

أسامة طفل فى السادسة من عمره ، خرج من منزله فى إحدى عمارات الكويت ، ظهيرة يوم ١٩٨٣/٨/١٦ يلهو ، فأخذ حبلاً معه ، ثم ربطه فى قضبان الدور الثانى من (درابزين) درج ـ أى سلالم ـ العمارة ، وأوثق طرفه الآخر حول عنقه ، وبعد لحظات انتهى كل شئ ، أصبح الطفل جثة هامدة لا حراك فيها ، إنه رأى أحد الممثلين وهو يشنق نفسه ، فحاول تقليده ، ولم يدر المسكين لصغره ، أنه ما فعل أمامه فى هذا الجهاز إنما هو لعب ولهو .

هكذا أختى المسلمة ، وأنت فى كل يوم تسمعين عن الحوادث التى تحدث من وراء تلك الأجهزة ، التى صارت فى هذا العصر نقمة على بنى الإنسان .

هلمى أصلحى ما حدث من فساد ، وربّى أولادك على طاعة الله ، وتقواه ، فإن أرادوا اللهو فعليك أن تأخذيهم إلى اللهو المباح ، لا اللهو الحرام ، واعلمى أنك إن فعلت ذلك ، فسوف تفوزين بالسعادة فى الدنيا والفوز فى الآخرة .



عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : جاءت فاطمة إلى النبى ﷺ تسأله خادماً ، فقال لها قولى : « اللهُمَّ رَبَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَىءٍ ، مُنْزِلَ التَوْرَاة وَالإنْجِيلِ وَالقُرْآن ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوى ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَىءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ ، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَىءٌ ، وأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَىءٌ ، وأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَىءٌ ، وأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَىءٌ ، اقْضِ عَنِّى الدَّيْنَ ، وَأَغْنِنِى مِنَ الفَقْرِ »[1] .

أختى المسلمة : هذه هى وصية الرسول ـ ﷺ ـ إلى ابنته فاطمة ـ رضى الله عنها ـ فهيا بنا نتأمل فيها ، لنتذكر ، وننتفع بما فيها .

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم (٣٧/١٧) ، والترمذى (٣٥٠٨) من طريق الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة وأخرجه مسلم (٣٦/١٧) ، وأبو داود (٥٠٥١) ، والترمذى (٣٤٦٠) ، وابن ماجه (٣٨٧٣) ، وأحمد (٣٨١/٢) من طريق سهيل عن أبيه عن أبى هريرة ، وليس فيه ذكر فاطمة ، وفيه أنه من دعاء النوم .

قوله ﷺ : « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم » أى خالق السموات ومُربى أهلها ، وصاحب العرش العظيم .

قوله : « ربنا ورب كل شئ » تعميم بعد تخصيص .

قوله : « منزل التوراة والإنجيل والقرآن » قيل : من الإنزال ، وقيل : من التنزيل .

قوله : « فالق الحب والنوى » الفلق بمعنى الشق ، و(النوى) جمع النواة ، وهى عظم النخل ، وفى معناه عظم غيرها ، والتخصيص لفضلها ، أو لكثرة وجودها فى ديار العرب ، والمعنى المراد ، والله أعلم ، يامن شقها فأخرج منها الزرع والنخيل قوله « أعوذ بك من شر كل شئ » أى اعتصم ، وألوذ بك ، من شر كل شئ من المخلوقات ، لأنها كلها فى سلطانك ، وأنت آخذ بناصيتها .

قوله : « فليس قبلك شئ » قيل : هذا تقرير للمعنى السابق ، وذلك : أن قوله : « أنت الأول » مفيد للحصر ، بقرينة الخبر باللام ، فكأنه قيل : أنت مختص بالأولية فليس قبلك شئ .

قوله : « وأنت الآخر فليس بعدك شئ » ، أى الباقى بعد فناء خلقك لا انتهاء لك ، ولا انقضاء لوجودك .

قوله : « والظاهر فليس فوقك شئ » أى فوق ظهورك ، بمعنى : ليس شئ أظهر منك لدلالة الآيات الباهرة عليك ، وقيل : هو من الظهور بمعنى القهر والغلبة ، وكمال القدرة ، ومنه ظهر فلان على فلان ، ولله المثل الأعلى .

قوله : « الباطن فليس دونك شئ » أى الذى حجب أبصار الخلائق عن إدراكك ، وقيل : الباطن المحتجب عن خلقه ، وقيل : العالم بالخفيات .

قوله : « الباقى » قال الإمام أبو بكر الباقلانى رحمه الله : معناه الباقى بصفاته من العلم ، والقدرة وغيرهما ، التى كان عليها فى الأزل ، ويكون كذلك بعد موت الخلائق ، وذهاب علومهم ، وقدرهم ، وحواسهم ، وتفرق أجسامهم .

قولــه : « اقض عني الدين » يحتمل أن المراد بالدين هنــا حقوق الله تعالى ، وحقوق العباد كلها ، من جميع الأنواع[1] .

أختي المسلمة : هذه الوصية الغالية لن تنتفعي بما فيها ، إلا إذا كان الإخلاص ، وحسن الظن بما فيها ، هو الغالب على قلبك حين تقولينها ، فهيا جددي مالديك من عزم على ذكر الله بصفاء نفس ، وهدوء بال ، وسوف تجدين كل الراحة وأنت تذكرين الله ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ ألا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ ﴾[2] .

وسوف تجدين أن الله سيقضي عنك ما عليك من ديون .

وستعرفين كيف أن ذكر الله مذهب للغم ، والهم ، والفقر ، ومجلب للراحة ، والطمأنينة ، والغنى .

فنسأل ربنا أن يجعلنا من الذاكرين ، وأن يجعل كل مسلمة من الذاكرات إنه على ما يشاء قدير .

أختي المؤمنة : إن من أهم ما تفوزين به عند كل دعاء ، هو شعورك بأنك محتاجة إلى قدرته محتاجة إلى علمه ، إلى خزائنه ، إلى عفوه ، ورحمته ، وهذا الشعور من مظاهر العبودية الصادقة ، من العبد نحو ربه ، وهذا الشعور يشعرك بالخضوع لله رب العالمين ، فيقوى فيك الإيمان بالخالق تبارك وتعالى ، ويجدد فيك العزم على المضي قدماً نحو ما تريدين .

أختي المسلمة : لقد تعلمنا من هذا الدعاء الذي بين أيدينا ، كم هي عظيمة قدرة الله ، وكم هي جليلة صفات الله .

واعلمي أختي أنك ربما تدعين الله بالدعاء السابق ، ولا يستجاب لك ؟ إياك أن تظني أن الله ليس بقادر على إجابة دعوتك ، وحاشاك أن تظني هذا .

لكن اعلمي أنك أهملت مباشرة الأسباب التي شرعها الله ، وفرطت في فرائضه ، وشعائره تفريطاً كبيراً ، اسمعي إلى تلك القصة :

دخل إبراهيم بن أدهم الزاهد إلى سوق البصرة ، فالتف حوله الناس ، وقالوا له : يا إبراهيم ، ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟!

فقال رحمه الله : لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء ، فقيل له ، وما هي ؟

---

(١) انظري : شرح النووي على مسلم (٣٦/١٧) ، تحفة الأحوذي (٣٤٤/٩) للمباركفوري .

(٢) سورة الرعد : ٢٨

فقال : عرفتم الله فلم تطيعوه ، وعرفتم الرسول ﷺ ولم تتبعوا سنته ، وعرفتم القرآن ، ولم تعملوا به ، وأكلتم نعم الله ، ولم تؤدوا شكرها م وعرفتم الجنة ، ولم تطلبوها - يعنى بالأعمال الصالحة - وعرفتم النار ، ولم تهربوا منها - يعنى بترك المعاصى والذنوب - وعرفتم الشيطان ، ولم تحاربوه ، ووافقتموه ، وعرفتم الموت ، فلم تستعدوا له ، ودفنتم الأموات ، فلم تعتبروا بهم ، وانتبهتم من نومكم ، فاشتغلتم بعيوب الناس ، وتركتم عيوبكم .

فعليك أختى المؤمنة ، قبل أن تقولى لقد دعوت الله كثيرا ، ولم يستجب لدعائى ، أن تطهرى نفسك ، وأن تعرفى حقوق خالقك .

وقد تكونين صالحة ، تقية ، عابدة ، ولا يستجيب الله لدعائك ، ليس لوجود التقصير منك ، أو العيب فيك ، ولكن أراد الله أن يدخر لك أجر دعائك حسنات فى يوم القيامة .

فالدعاء نافع للمرأة المسلمة سواء استجيب لها أم لم يستجب ، وذلك لأنه إذا لم يجبها الله لصاحبتها فى الدنيا ، فلحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى ، لكن اعتقدى أن مثوبتها ، وأجرها لك فى الآخرة ، والحمد لله رب العالمين .

١٤ الوصية بسؤال الله العفو والعافية
بماذا تدعين ربك فى ليلة القدر ؟

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : قُلْتُ يَارَسُولَ الله أرأَيْتَ إنْ علِمْتُ أىّ لَيْلَةَ القَدْرِ ، مَا أقُولُ فيهَا ؟!

قال : « قُولى اللَّهُمَّ إنَكَ عَفُوٌ تُحبُّ العَفْوَ فاعْفُ عَنّى »(١) .

أختى المسلمة : ليلة القدر من الليالى المعظمة فى كتاب الله ، وفى سنة نبيه ﷺ لقد كانت ليلة القدر عيداً لنزول القرآن الكريم ، فهى ليلة الملأ الأعلى ، والأفق الأسمى ، هى ليلة السلام ، والنعمة الموصولة ، والخير العميم ، والجزاء الجزيل ، والثناء العظيم .

---

(١) إسناده صحيح أخرجه الترمذى (٣٥٨٠) وقال : هذا الحديث حسن صحيح وابن ماجه (٣٨٥٠) ، وأخرجه أحمد (١٧١/٦) (١٨٢/٦) ، (٢٠٨/٦) ، والحاكم (٥٣٠/١) وصححه ، وأقره الذهبى .

ومن عظمة هذه الليلة وفضلها ، أنه فيها تفتح أبواب السماء لإجابة الدعاء ، ورفع البلاء ، وكشف الضراء ، وإنزال السراء .

وعندما تريدين أن تقفى على فضل هذه الليلة ، فستجدين أنها تفوق ألف شهر قدراً ، وشرفاً وهذا من ناحية العدد على وجه من الوجوه .

وقيل : إن فضلها أكثر من ألف شهر ، فإن المراد بالتعبير القرآنى يقصد به الزمن الطويل ، لا العدد المحدود ..

أختى المسلمة : إن الله عز وجل اصطفى من الملائكة رسلاً ، ومن الناس رسلاً ، واصطفى من الكلام ذكره ، واصطفى من الشهور رمضان ، ومن الأيام يوم الجمعة ، ومن الليالى ليلة القدر .

ومن هنــا فينبغى لك أن تحرصى على تحرى هذه الليلة ، وتتنافســى فى الخيرات فيها ، فإنها غنيمة عظيمة ، إن أفلتت منك ، ربما جاءت هى فى العام القادم ، وصرت أنتِ مع الأموات .

وانطلاقا من ذلك فينبغى للمرأة المسلمة أن تكثر من الدعاء فى هذه الليلة ، وتكثر من التوبة والاستغفار ، وتكثر من التسبيح والتحميد ، وتتصدق بما أعانها الله عليه ، وينبغى ألا تفوتك صلاة فى وقتها ، وتنشطى للقيام بالتهجد فى هذه الليلة ، ولكن قد تقولين ما هو خير الدعاء فى هذه الليلة ؟

قد سألت أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ النبى ﷺ نفس السؤال : إن علمت ليلة القدر فبماذا أدعو فيها ؟ فكانت الإجابة هى : « قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى » .

« العفو » يعنى تطلبى من ربك أن يعفو عنك ، ويرحمك .

« العافية » يعنى طلب السلامة من الأسقام ، والبلايا فلنسأل الله أن يمن علينا بالعفو والعافية ، ولنسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة .

ولنسأل الله العفو والعافية فى ديننا ودنيانا .

ولنملأ أيامنا بسؤال الله العفو والعافية .

إنه نعم المولى ، ونعم النصير .

أختي المسلمة : نعمة العفو والعافية من أجل نعم الله على خلقه ، فالمؤمنة دائماً تقول : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا ﴾[1] .

اعف عنا ، هي نداء المؤمنة في السر والعلانية ، والليل والنهار .

اعف عنا يا ربنا فيما بيننا وبينك مما تعلمه من تقصيرنا وزللنا .

فمهما قمت من أعمال طيبة ، فأنت مقصرة في حق ربك ، ومهما حاولت الوفاء بنعم الله عليك فلا تقدرين ، فأنت تقولين : اعف عنا ، هذا عن نعمة العفو ، أما نعمة العافية ، فتشمل عافية القلب ، والبدن .

عافية القلب بذكر الله ، وتوحيده ، وعبادته ، وعافية البدن بأن يرزقك القدرة على السعي في الدنيا ، والقدرة على تحمل مصاعب الحياة .

وعافية البدن تشمل فيما تشمل المعافاة من الأمراض والأسقام .

أختي المسلمة : نعم الله عليك كثيرة منهمرة ، فاشكري الله عند كل نعمة . واصبري عند كل بلاء ، تكوني من الصالحات العابدات .

١٥ وصية الرسول ﷺ للنساء عند موت الزوج

قالت أم عطية : قال رسول الله ﷺ : « لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ فَوْقَ ثَلاثٍ إلا عَلَى زَوْجٍ فَإِنَّهَا لا تَكْتَحِلُ ، ولا تَلْبَسُ ثَوْباً مَصْبُوغاً إلا ثَوْبَ عَصْبٍ »[2] .

أختي المسلمة : الموت أمر لا مفر منه ، ولابد لكل واحد أن يلقاه ، وللإسلام

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٦

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٧/٧٨) ، ومسلم (١٠/١١٨) ، والنسائي (٦/٢٠٣) ، وابن ماجه (٢٠٨٧) كلهم من حديث أم عطية . أخرجه البخاري (٢/٩٩) ، ومسلم (١٠/١١٦ ـ ١١٧) ، وأبو داود (٢٢٩٩) ، والترمذي (١٢١٠) ، (١٢١١) ، والنسائي (٦/٢٠١ ـ ٢٠٢) ، وأحمد (٦/١٨٤ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥) كلهم من حديث زينب بنت جحش ، وأم حبيبة باختصار ، أخرجه ابن ماجه (٢٠٨٥) من حديث عائشة ، (٢٠٨٦) من حديث حفصة ، مختصراً .

الحنيف فى هذا الأمر ، من الآداب ، والأحكام ، التى ينبغى على كل مسلم ، ومسلمة أن يقوما بتأديتها .

فمن الآداب التى ينبغى للمرأة أن تعرفها ، والأحكام التى لابد من القيام بها تلك الوصية النبوية التى بين أيدينا ، وتلك الوصية تتناول كيفية إحداد المرأة على زوجها .

وعندما نقول كلمة : « الإحداد » نعنى امتناع المرأة المتوفى عنها زوجها من الزينة كلها ، من لباسٍ ، وطيبٍ ، وغيرهما ، وكل ما كان من دواعى الجماع ، وأصل الإحداد ، المنع ، فالمعنى أن تمنع نفسها من الزينة ، وتترك الطيب .

قال ابن درستويه رحمه الله : معنى الإحداد : منع المعتدة نفسها الزينة ، وبدنها الطيب ، ومنع الخطاب خطبتها ، والطمع فيها ، كما منع الحد المعصية .

فلنتأمل أختى المسلمة فى وصية النبى ﷺ ، ولنأخذ ما فيها من أحكام ، ودروس ، قوله ﷺ : « لا يحل » استدل به أهل العلم على تحريم الإحداد على غير الزوج ، وغير ذلك ، ولهذا قال كثير من أهل العلم : استدل به على تحريم الإحداد على غير الزوج ، وهو واضح ، وعلى وجوب الإحداد المدة المذكورة على الزوج . واستشكل بأن الاستثناء وقع بعد النفى ، فيدل على الحل فوق الثلاث على الزوج ، لا على الوجوب وأجيب : بأن الوجوب استفيد من دليل آخر ، كالإجماع ، ثم ذكر الحافظ أدلة ذلك ، ورد على الشبهات فى هذه المسألة[1] .

قوله ﷺ : « لا مرأة » تمسك بمفهومه الحنفية ، فقالوا : لا يجب الإحداد على الصغيرة ، وذهب الجمهور إلى وجوب الإحداد عليها ، كما تجب العدة ، وأجابوا عن التقييد بالمرأة أنه خرج مخرج الغالب ، وعن كونها غير مكلفة بأن الولى هو المخاطب بمنعها ، مما تمنع منه المعتدة ، ودخل فى عموم قوله « امرأة » المدخول بها ، وغير المدخول بها[2] .

قوله ﷺ : « إلا على زوج » ، أخذ من هذا الحصر أن لا يزاد على الثلاث فى غير الزوج ، أبا كان أو غيره ، واستدل به للأصح عند الشافعية فى أنه لا إحداد على المطلقة ، فأما الرجعية فلا إحداد عليها إجماعاً ، إنما الاختلاف فى البائن ، فقال

---

(١) فتح البارى (٩/ ٤٨٦) (٢) المصدر السابق .

الجمهور : لا إحداد ، وقالت الحنفية ، وأبو عبيد ، وأبو ثور : عليها الإحداد قياساً على المتوفى عنها ، وبه قال بعض الشافعية والمالكية .

واحتج الأولون بأن الإحداد شرع لأن تركه من التطيب ، واللبس ، والتزين يدعو إلى الجماع ، فمنعت المرأة منه زجراً لها عن ذلك ، فكان ذلك ظاهراً فى حق الميت ، لأنه يمنعه الموت عن منع المعتدة منه عن التزويج ، ولا تراعيه هى ، ولا تخاف منه ، بخلاف المطلق الحى فى كل ذلك .

ومن ثم وجبت العدة على كل متوفى عنها ، وإن لم تكن مدخولا بها ، بخلاف المطلقة قبل الدخول ، فلا إحداد عليها اتفاقا ، وبأن المطلقة البائن يمكنها العود إلى الزوج بعينه بعقد جديد .

وتعقب بأن الملاعنة لا إحداد عليها .

وأجيب أن تركه لفقدان الزوج بعينه ، لا لفقدان الزوجية[1] .

الحكمة من الإحداد فى حالة وفاة الزوج

قوله ﷺ : « فوق ثلاث » هذا فى حالة من هو قريب للمرأة من أخ ، أو أخت ، أو أب ، أو أم ، ونحو هؤلاء .

أما الزوج فقد جاءت الروايات الصحيحة « أربعة أشهر وعشراً » وقيل الحكمة فى هذه المدة أن الولد يتكامل تخليقه ، وتنفخ فيه الروح بعد مضى مائة وعشرين يوماً ، وهى زيادة على أربعة أشهر ، بنقصان الأهلة ، فجبر الكسر إلى العقد على طريق الاحتياط ، وذكر العشر مؤنثاً لإرادة الليالى ، والمراد مع أيامها عند الجمهور ، فلا تحل حتى تدخل الليلة الحادية عشرة .

قوله ﷺ : « لا تكتحل » ورد بشأن الكحل ما يلى :

قالت أم سلمة : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن ابنتى تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا ، وَقَدْ اشْتَكَتْ عَيْنُهَا ، أَفَتَكْحُلُهَا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لا » ـ مرَّتين أوْ ثلاثاً كُلُّ ذَلكَ يقُولُ : لا ـ ثم قال : « إنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةُ أشْهُرٍ وَعَشْرٌ ، وَقَدْ

---

(1) قاله ابن حجر ، المصدر السابق .

كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول »[1] .

قال حميد : فقلت لزينب : وما ترمى بالبعرة على رأس الحول ؟

فقالت زينب : كانت المرأة إذا توفى عنها زوجها دخلت حفشاً [2]، ولبست شر ثيابها ،ولم تمس طيباً حتى تمر بها سنة ، ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة ، أو طائر فتفتض به ، فقلما تفتض بشيء إلا مات ، ثم تخرج فتعطى بعرة ، ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره سئل الإمام مالك : ما تفتض به ؟

قال : تمسح به جلدها .

تأملى أختى المسلمة كيف كان إحداد المرأة فى الجاهلية على زوجها ، كانت تحد لمدة سنة كاملة ، فجاء الإسلام بنوره وبهائه ، فجعل الحداد مقتصراً على الزينة والطيب ، وليس على طوال العام ، إنما بتلك المدة القصيرة ، أربعة أشهر وعشرا .

ولنعد الآن إلى حكم الاكتحال لمن كانت فى فترة الإحداد .

قال الإمام النووى رحمه الله : قولها : « أفنكحلها فقال لا » فى هذا الحديث وحديث أم عطية فى قوله ﷺ لا تكتحل دليل على تحريم الاكتحال على الحادة ، سواء احتاجت إليه ، أم لا ، وجاء فى الحديث الآخر فى الموطأ وغيره فى حديث أم سلمة « اجعليه بالليل ، وامسحيه بالنهار » .

ووجه الجمع بين الأحاديث أنها إذا لم تحتج إليه لا يحل لها ، وإن احتاجت لم يجز بالنهار ، ويجوز بالليل ، مع أن الأولى تركه ، فإن فعلته مسحته بالنهار ، فحديث الإذن فيه لبيان أنه بالليل للحاجة غير حرام .

وحديث النهى محمول على عدم الحاجة ، وحديث التى اشتكت عينها فنهاها محمول على أنه نهى تنزيه ، وتأوله بعضهم على أنه لم يتحقق الخوف على عينها ، وقد اختلف العلماء فى اكتحال المحدة .

فقال سالم بن عبد الله ، وسليمان بن يسار ، ومالك فى رواية عنه : يجوز إذا خافت على عينها كحل ، لا طيب فيه .

---

(١) صحيح أخرجه البخارى (٧/٧٧) ، ومسلم (١١٦/١٠) ، وأبو داود (٢٢٩٩) ، والترمذى (١٢١٢) ، والنسائى (٢٠٢/٦) ، وابن ماجه (٢٠٨٤) .

(٢) أى بيتاً صغيراً حقيراً ، قريب السمك .

وجوزه بعضهم عند الحاجة ، وإن كان فيه طيب ، ومذهبنا جوازه ليلاً عند الحاجة بما لا طيب فيه .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعقيباً على من تأولوه على أنه لم يتحقق الخوف على عينها : في حديث شعبة المذكور « فخشوا على عينيها » وفي رواية ابن منده المقدم ذكرها « رمدت رمداً شديداً وقد خشيت على بصرها » .

وفي رواية للطبراني أنها قالت في المرة الثانية : « إنها تشتكي عينها فوق ما يظن ، فقال : لا » .

وفي رواية القاسم بن أصبغ أخرجها ابن حزم « إني أخشى أن تنفقئ عينها ، قال لا ، وإن انفقأت » وسنده صحيح .

وبمثل هذا أفتت أسماء بنت عميس أخرجه ابن أبي شيبة ، وبهذا قال مالك في رواية عنه بمنعه مطلقاً ، وعنه يجوز على عينيها بما لا طيب فيه ، وبه قال الشافعية مقيداً بالليل .

وأجابوا عن قصة المرأة باحتمال أنه كان يحصل البرء بغير الكحل ، كالتضميد ، بالصبر ، ونحوه ، وقد أخرج ابن أبي شيبة عن صفية بنت أبي عبيد أنها أحدت على ابن عمر ، فلم تكتحل حتى كادت عيناها تزيغان ، فكانت تقطر فيهما الصبر .

ومنهم من تأول النهي على كحل مخصوص ، وهو ما يقتضي التزين به لأن محض التداوي قد يحصل بما لازينة فيه ، فلم ينحصر فيما فيه زينه .

وقالت طائفة من العلماء : يجوز ذلك ، ولو كان فيه طيب ، وحملوا النهي على التنزيه ، جمعاً بين الأدلة[1] . انتهى .

أما قوله ﷺ : « ولا تلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عصب » ، هي ثياب يمانية يعصب غزلها ، أي يربط ، ثم يصبغ ، ثم ينسج معصوباً فيخرج مخططاً لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذ صبغ . والمعنى : النهي عن جميع الثياب المصبوغة للزينة إلا ثوب العصب .

قال ابن المنذر رحمه الله : أجمع العلماء على أنه لا يجوز للحادة لبس الثياب المعصفرة ، والمصبغة ، إلا ما صبغ بسواد ، فرخص بالمصبوغ بالسواد : عروة بن الزبير ،

---

(١) فتح الباري (٤٨٨/٩ ـ ٤٨٩) .

ومالك والشافعي ، وكره الزهري ، ورخص جميع العلماء في الثياب البيض ، ومنع بعض متأخري المالكية جيد البيض الذي يتزين به ، وكذلك جيد السواد .

قال الإمام النووي رحمه الله : قال أصحابنا ـ يقصد الشافعية ـ ويجوز كل ما صبغ ، ولا تقصد منه الزينة ، ويجوز لها لبس الحرير في الأصح ، ويحرم حلي الذهب والفضة ، وكذلك اللؤلؤ ، وفي اللؤلؤ وجه أنه يجوز[1] . انتهى .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : اختلف في الحرير ، فالأصح عند الشافعية منعه مطلقاً ، مصبوغاً أو غير مصبوغ ، لأنه أبيح للنساء للتزين به ، والحادة ممنوعة من التزين ، فكان في حقها كالرجال ، في التحلي بالذهب ، والفضة ، واللؤلؤ ، ونحوه وجهان ، والأصح جوازه ، وفيه نظر من جهة المعنى في المقصود بلبسه ، وفي المقصود بالإحداد ، فإنه عند تأملها يترجح المنع ، والله أعلم[2] . انتهى .

من فوائد الوصية

١ ـ استدل بها على جواز الإحداد على غير الزوج من قريب ونحوه ثلاث ليالٍ فما دونها ، وتحريمه فيما زاد عليها ، ويعلل الحافظ ابن حجر هذا الجواز بقوله : وكأن هذا القدر أبيح لأجل حظ النفس ، ومراعاتها ، وغلبة الطباع البشرية ، ولهذا تناولت لحاجة ، إشارة إلى أن آثار الحزن باقية عندها ، لكنها لم يسعها إلا امتثال الأمر .

٢ ـ قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ فيه دليل على وجوب الإحداد على المعتدة من وفاة زوجها ، وهو مجمع عليه في الجملة ، وإن اختلفوا في تفصيله ، فيجب على كل معتدة عن وفاة سواء المدخول بها وغيرها ، والصغيرة ، والكبيرة ، والبكر ، والثيب ، هذا مذهب الشافعي والجمهور .

٣ ـ ظهور الأسى والحزن ينبغي أن يتوقف في حدود ما شرع الإسلام الحنيف ، من ترك الزينة ، والطيب ، أما ما عدا ذلك من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، والدعاء بدعوى الجاهلية ، فكل ذلك مذموم ، وقد نهى الشرع الحنيف ، ومن فعله فقد ارتكب إثما ، ومنكراً من القول .

وهكذا انتهت الوصية النبوية ، لنستأنف المسير مع أخرى .

---

(١) شرح النووي على مسلم (١١٨/١١) .
(٢) فتح الباري (٤٩١/٩) .

١٦ الوصية بعدم وصل شعر المرأة بغيره وحكم الباروكة

عن سعيد المقبرى قال : رأيت معاوية بن أبى سفيان على المنبر ، ومعه فى يده كبة من كبب النساء من شعر ، فقال :

مَا بَالُ الْمُسْلِمَاتِ يَصْنَعْنَ مِثْلَ هَذَا ، إنى سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول : « أَيُّمَا امْرَأةٍ زَادَتْ فِي رَأسِهَا شَعْرًا لَيْسَ مِنْهُ ، فَإنَّهُ زُورٌ تَزِيدُ فِيه »[١] .

أختى المسلمة : هذه الوصية النبوية من الوصايا التى فرطت فيها أكثر المسلمات اليوم ، فكم من امرأة وضعت على رأسها ما يسمى بالباروكة ، ولم تعلم أنها قد خالفت أمر النبى ﷺ ، ولقد حذرنا ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من مخالفة رسوله ﷺ ، فقال عز وجل : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢] .

أختى المسلمة : هل تخافين من عذاب الله ؟!! إن كنت كذلك ، وهذا ما نأمله من ربنا ـ عز وجل ـ فما عليك إلا الانصياع لأمر رسول الله ﷺ ، هلمى عودى إلى طاعة ربك ، وطاعة نبيك حتى تفوزى ، بجنة ربك .

ولنتأمل فى وصية النبى ﷺ ، ولنأخذ التذكرة والعظة منها .

قول سعيد المقبرى : « ومعه فى يده كبة من كبب النساء » يعنى شعر ملفوف بعضه على بعض .

قوله ﷺ : « زادت فى رأسها شعراً ليس منه » يبين لنا بوضوح ، وجلاء حكم ما يسمى فى هذا الزمان بالباروكة ، فإن الرسول ﷺ سمى هذا الفعل بالزور .

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه النسائى (٨/١٤٤ ـ ١٤٥) ، والطبرانى (١٩/٣٤٥) برقم (٨٠٠) فى الكبير من طريق ابن وهب ، أخبرنى مخرمة بن بكير عن أبيه عن سعيد ، وفيه مخرمة بن بكير ، صدوق ، وروايته عن أبيه وجده من كتابه ، كما فى التقريب ، ولكن له متابعات من شعبة ، وعبد الله بن مبشر مولى أم حبيبة ، أخرجهما أحمد (٤/١٠١) فى مسنده ، وله شاهد عند مسلم (١٤/١٠٩) بلفظ : « إن رسول الله ﷺ بلغه فسماه الزور» .

(٢) سورة النور : ٦٣

ولقد لعن النبى ﷺ من يقمن بهذا الفعل ، ومن يُعمل له .

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن جارية من الأنصار تزوجت ، وأنها مرضت ، فَتَمَعَّطَ[1] شعرها ، فأرادوا أن يَصِلُوهَا ، فسألوا النبى ﷺ فقال : « لَعَنَ اللهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ »[2] ، والواصلة : هى التى تصل الشعر بشعر آخر ، سواء اتصل بشعرها أو بشعر غيرها ، يعنى هى الصانعة للفعل ، أما المستوصلة : فهى التى تأمر من يفعل بها ذلك .

قال الإمام النووى رحمه الله : وفى الحديث أن وصل الشعر من المعاصى الكبائر للعن فاعله ، وفيه أن المعين على الحرام يشارك فاعله فى الإثم ، كما أن المعاون فى الطاعة يشارك فى ثوابها[3] ، انتهى .

ويزيد الأمر وضوحا ، ما ذكره جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ عندما قال : « زَجَرَ النَّبِىُّ ﷺ أَنْ تَصِلَ الْمَرْأَةُ بِرَأْسِهَا شَيْئاً »[4] .

أختى المسلمة : لابُدّ لك أن تعلمى أنه كما حُرِّم على المرأة الزيادة فى شعر رأسها ، كذلك يحرم عليها حلق شعر رأسها بغير ضرورة مرض ونحوه .

* * *

(١) تمعط : أى خرج من أصله ، وأصل المعط : المد ، كأنه مد إلى أن تقطع ، ويطلق أيضا على من سقط شعره .

(٢) إسناده صحيح . أخرجه البخارى (٢١٢/٧) ، ومسلم (١٠٤/١٤) والنسائى (١٤٦/٨) كلهم عن عائشة ، وأخرجه البخارى (٢١٢/٧) من حديث أبى هريرة ، ومسلم (١٠٢/١٤) . والنسائى (١٤٥/٨) وابن ماجه (١٩٨٨) عن أسماء بنت أبى بكر ، والبخارى (٢١٣/٧) . ومسلم (١٠٥/١٤) ، والترمذى (١٨١٤) . (٢٩٣٣) ، وابن ماجه (١٩٨٧) كلهم عن ابن عمر رضى الله عنهما ، وانظر تلك الروايات عند أحمد فى مسنده ، (٢٥١/١ ، ٤٦٢) ، (٢١/٢ ، ٣٣٩) ، (٢٥/٥) ، (١١١/٦ ، ١١٦ ، ١٢٨ ، ٢٣٤ ، ٣٤٥) .

(٣) شرح النووى على مسلم (١٠٥/١٤) .

(٤) إسناده صحيح ، أخرجه مسلم (١٠٨/١٤) .

١٧ وصية الرسول ﷺ للمستحاضة

عن عائشة قالت : جاءت فاطمة بنت أبى حبيش إلى رسـول الله ﷺ ، فقالت : إِنِّى امْرَأَةٌ أُسْتَحَاضُ ، فَلا أَطْهُرُ ، أَفَأَدَعُ الصَّلاةَ ؟

قال : « لا إِنَّما ذَلِكَ عِرْقٌ ، وَلَيْسَتْ بِالْحَيْضَةِ ، فَإِذَا أَقْبَلَتِ الْحَيْضَةُ فَدَعِي الصَّلاةَ ، وإِذَا أَدْبَرَتْ فَاغْسِلِي عَنْكِ الدَّمَ ، ثُمَّ صَلِّي »[1] .

أختى المسلمة : من الأمور التى كتبها الله ـ عز وجل ـ على بنات حواء الحيض ، والاستحاضة ، والنفاس ، وينبغى لكل مؤمنة أن تكون على علم بأحكام هذه الأمور ، حتى تعبد ربها على علم ، وفى هذه الوصية النبوية التى بين أيدينا ، سوف نتعلم منها بعض الأمور ، ولكن لنبدأ بالجزء الأخير منها : قوله ﷺ : « إذا أقبلت الحيضة فدعى الصلاة » .

الحيض : هو الدم الذى يخرج من الرحم ، عند انعدام الجنين غالباً ، ولونه أحمر ، قد يميل إلى السواد ، وقد تكون له رائحة كريهة أحياناً ، وأقل مدته يوم وليلة ، وأكثرها خمسة عشر يوماً .

وللنساء فى أمر الحيض ثلاث حالات :

الأولى : هى المبتدئة : وهى التى ترى الحيض لأول مرة فى حياتها ، وحكم هذه أنها عندما ترى الدم قد خرج منها لأول مرة ، تعلم أنها أصبحت حائضاً ، فتترك الصلاة ، والجماع إن كانت متزوجة ، ودخول المساجد ، وقراءة القرآن كل ذلك حتى تطهر بانقطاع دمها ، وتستطيع المرأة أن تعرف طهرها بسهولة ، وذلك عندما يحدث الجفاف ، ويرتفع الدم ، فتدخل قطنة فى فرجها ، وتخرجها ، فتجدها جافة ، ليس فيها أى بلل من بلل الدم ، وتعرف كذلك طهرها بخروج القصة البيضاء ، وهى عبارة عن ماء أبيض كالجير تماماً .

---

(١) إسناده صحيح ، أخرجه البخارى (٨٩/١) من طريق أحمد بن أبى رجاء قال : ثنا أبو أسامة قال : سمعت هشام بن عروة ، ومسلم (١٦/٤) من طريق ابن أبى شيبة وأبو كريب ثنا وكيع عن هشام ، وأخرجه أبو داود (٢٨٢) من طريق زهير ثنا هشام عن عروة ، وأخرجه الترمذى (١٢٥) ، والنسائى (١٨٤/١) ، وابن ماجه (٦٢٤) كلهم من طريق مسلم .

وهنا نبين أن دم المبتدئة قد ينقطع بعد يوم ، أو يومين ، أو ثلاث ، إلى نهاية ما ذكرناه من مدة الحيض ، وهي خمسة عشر يوماً ، فإذا انقطع الدم ، وجب عليك أن تغتسلي ، وتصلي الفرائض الحاضرة ، وتقومي بفعل كل ما كان محظوراً عليك بسبب الحيض .

الثانية : المعتادة : وهي التي يأتيها الحيض عادة في كل شهر ، وتعرف المرأة بدوام الأمر أنه سوف يأتيها في يوم كذا ، وقد تكون العادة هنا يوماً ، أو أكثر إلى نهاية مدة الجيض المحددة بخمسة عشر يوماً ، وكما حدث من المبتدئة أنها تركت الصلاة ، والجماع ، وخلافهما ، فينبغي كذلك على المعتادة أن تترك هذه الأمور ، فإذا انتهت عادتها ، وحصل لها الطهر بانقطاع الدم ، أو حدث نزول القصة البيضاء ، فتعلم أن حيضها قد انتهى ، أما إذا حدث في غير أيام حيضها ، وجدت صفرة ، أو كدرة ، فلا تبالي[1] ، قالت أم عطية - رضي الله عنها - : كنا لا نعد الكدرة والصفرة شيئاً .

ولكن هنا لابد لك أن تتنبهي إلى أنه إذا انقطع الدم عنك قبل نهاية أيام عادتك ، ثم اغتسلت ، فعاد إليك الدم ، فعليك أن تتوقفي عن الصلاة ، وتعلمين أنك حائض فإذا انقطع الدم بعد كمال عدتك قمت بالاغتسال وأداء الصلاة وخلافها .

الثالثة : المستحاضة : وهي التي دمها يجري دائما بلا انقطاع ، وحكم هذه أنه إذا كانت لها عادة قبل أن تصاب بالاستحاضة ، وكانت تعرف أيامها من كل شهر ، فإنها إذا جاءت تلك الأيام تتوقف نهائيا عن الصلاة ، وغيرها مما أسلفنا ذكره ، حتى تنتهي تلك الأيام ثم تغتسل ، وتصلي ، وتفعل كل ما كان ممنوعاً عنها بسبب الحيض .

ولكنك قد لا تكون لك عادة ، أو كانت لك ، ولكنك نسيت أيامها ، فما العمل ؟ فما عليك إن كانت تلك هي حالتك إلا أن تنظري في الدم الذي يجري عنك ، فإن كان يتغير من حمرة إلى سواد ، ولخونة بعدما كان خفيفاً ، أحمر فقط ، فإنك إذا رأيت الدم تغير تعلمين أنك حائض ، فتتركين الصلاة وغيرها ، فإذا عاد الدم إلى صفته اغتسلت ، وصليت .

ولكن ما الحكم إذا كان الدم لا يتغير ؟

الحكم هو أن تقعدي من كل شهر مدة غالب الحيض ، وهي ستة أيام ، أو سبعة ، فلا تصلي ، ولا تصومي ، ولا يحدث بينك وبين زوجك أي جماع ، فإذا انقضت تلك المدة اغتسلت ، وصليت ، ولا تقضي الصلاة التي فاتت منك ، إنما تقضين الصيام ، كل ذلك إلى دخول الشهر التالي ، والأدلة على كل ذلك أكثر من أن تحصر ، وردت

(١) أخرجه البخاري (٨٩/١) .

فى السنة المطهرة ، ومن الممكن أن تعرفى تلك الأدلة بالعودة إلى كتب الفقه .

ومما ينبغى أن ننبه عليه هو أنه ينبغى لك إن كنت فى آخر أيام حيضك أن تنظرى فى نفسك قبل الفجر من الليل ، فإذا رأيت الطهر بما سبق ذكره من طريقتى الجفاف ، أو القصة[1] . قمت فاغتسلت ، وصليت صلاتى المغرب والعشاء ، وينبغى لك كذلك أن تنظرى قبل طلوع الشمس ، فإن رأيت الطهر ، اغتسلت ، وصليت صلاة الصبح وتنظرى كذلك قبل غروب الشمس بساعة فإن رأيت الطهر اغتسلت وصليت الظهر والعصر ، وهذا كما وضحنا فى آخر أيام حيضك ، وعلى العموم فى أى وقت تطهرين به ، فينبغى عليك أن تغتسلى فوراً ، فإن بقى من الوقت قبل خروجه قدر ما تصلين فيه ركعة ، وجب عليك أن تؤدى تلك الصلاة ، وإلا فليس عليك قضاؤها .

ولنكمل بقية الوصية النبوية ، قوله ﷺ : « لا إنما ذلك عرق » استدل بقوله لها « ذلك عرق » على أنه لا يجب عليها الغسل لكل صلاة ، لأن دم العرق لا يوجب غسلاً[2] ، وهذا العرق يقال له العاذل ، بكسر الذال المعجمة[3] .

أختى المسلمة : ولتمام الفائدة نذكر نبذة عن أحكام النفاس ، وما يترتب عليه

النفاس : هو الدم الذى يخرج من المرأة بعد الولادة مباشرة ، أو قبلها بيوم ، أو يومين .

حكمه : هو أنه يمنع المرأة من القيام بالأمور التى يمنع دم الحيض ، سواء بسواء ، حتى ينقطع ، فإذا انقطع بعد الولادة ، ولو بيوم ، أو أكثر ، اغتسلت المرأة المسلمة ، وصلت ، وفعلت كل ما انقطع بسبب النفاس .

ولكن قد يستمر دم النفاس جارياً ، فعند ذلك تتوقف المسلمة عن الصلاة والصيام ، وخلافهما ، حتى ينقطع ، فإن انقطع قبل أربعين يوماً فذاك ، وإلا اغتسلت وصلت بعد كمال الأربعين ، ولو لم ينقطع دمها وهذا هو ما ذهب إليه الحنابلة وغيرهم ، لأنها أقصى مدة للنفاس .

أما الشافعية والمالكية فقالوا : تنتظر انقطاعه إلى ستين يوما ، وهى أقصى مدة للنفاس عندهم .

وهكذا أختى المسلمة تتعلم بعض الأحكام الخاصة فى الطهارة من وصية الرسول ﷺ لفاطمة بنت أبى حبيش رضى الله عنها والحمد لله رب العالمين .

---

(١) أى حتى تخرج القطنة أو الخرقة التى تحتشى بها المرأة الحائض ، كأنها بيضاء لا يخالطها صفرة .

(٢) فتح البارى (٤٢٧/١)

(٣) شرح النووى على مسلم (٢١/٤) .

١٨ من حقوق الزوج على زوجته

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « لا يَحلُّ للمَرْأة أنْ تَصُومَ ، وزَوجُهَا شَاهدٌ إلا بإذنه ، ولَا تأذَنَ في بيته إلا بإذنه ، ومَا أنفقَتْ من نَفقةٍ عَنْ غيرِ أمْرِهِ ، فإنَّه يُؤدَّى إليه شَطْرُه »[١] .

أختي المسلمة : اعلمي أن الإسلام الحنيف أراد بالعلاقة بين الرجل وزوجته أن تكون من أقوى العلاقات ، ولذا فقد وضع سياجاً قوياً حول تلك العلاقة ، لكي يحميها من كل ما يتهددها ، ومن المعلوم أن الرجل دائما يرغب ، ويود ، أن يشعر بطاعة زوجته له ، وموافقتها لما يحب ، ولما يرغب ، والرسول ﷺ في تلك الوصية التي بين أيدينا ، يوضح للمرأة بعض الأمور التي ينبغي أن تنتبه إليها المرأة المسلمة .

فلنتأمل في تلك الوصية النبوية ، ولنتعلم منها الدروس المستفادة .

قوله ﷺ : « لا يحل للمرأة » يبين شدة هذا الأمر ، وعظم الوقوع فيه ، وقد صرح بعض العلماء أن هذا للتحريم ، وهو كما يستفاد لمن قامت بصيام غير رمضان ، وهذا ما ورد عند أبي داود والترمذي وأحمد .

قال الإمام النووي رحمه الله : هذا محمول على صوم التطوع ، والمندوب الذي ليس له زمن معين[٢] .

وهذا النهي للتحريم صرح بها أصحابنا ، وسببه : أن الزوج له حق الاستمتاع بها في كل الأيام ، وحقه فيه واجب على الفور ، فلا يفوته بتطوع ، ولا بواجب على التراخي .

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (٣٩/٧) من طريقين أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ، ورواه أبو الزناد عن موسى عن أبيه عن أبي هريرة ، وأخرجه مسلم (١١٥/٧) بنحوه من طريق عبد الرزاق ثنا معمر عن همام . وأخرجه أبو داود (٢٤٥٨) من طريق مسلم ، وعنده زيادة (غير رمضان) ، وأخرجه الترمذي (٧٧٩) من أحد طريقي البخاري مختصراً ، وقال : حسن صحيح ، وقد روى هذا الحديث عن أبي الزناد عن موسى بن أبي عثمان عن أبيه . وانظر مسند أحمد (٢٤٥/٢ ، ٣١٦ ، ٤٤٤ ، ٤٦٤ ، ٤٧٦ ، ٥٠٠) ، (٨٠/٣ ، ٨٥) .

(٢) قال الإمام علي القاري : ظاهر الحديث إطلاق منع صوم النفل فهو حجة على الشافعية في استثناء نحو عرفة وعاشوراء ، نقلاً عن تحفة الأحوذي (٤٩٥/٣) .

فإن قيل : فينبغي أن يجوز لها الصوم بغير إذنه فإن أراد الاستمتاع بها ، كان له ذلك ، ويفسد صومها !!

فالجواب : أن صومها يمنعه من الاستمتاع في العادة ، لأنه يهاب انتهاك الصوم بالإفساد[1] ، انتهى .

قوله ﷺ : « وزوجها شاهد إلا بإذنه » . أى وزوجها فى نفس البلدة معها ، يعنى مقيم فى البلد ، ولو كان الزوج فى سفر ، فإنه يباح لها الصوم ، لأنه لا يتأتى منه الاستمتاع إذا لم تكن معه .

ولكن قد تتساءلين أختى المسلمة فتقولين : وما الحكم إن صامت الزوجة فى حضور الزوج ، ولم يأذن لها ؟

الإجابة على هذا السؤال كالتالى :

قال العلامة العمرانى : لو صامت بغير إذنه صح ، وأثمت ، لاختلاف الجهة ، وأمر قبوله إلى الله .

وقال الإمام النووى : مقتضى المذهب عدم الثواب ، ويؤكد التحريم ثبوت الخبر بلفظ النهى[2] .

ونقل العلامة المباركفورى عن صاحب الترغيب قوله : ومن حق الزوج على الزوجة أن لا تصوم تطوعاً إلا بإذنه ، فإن فعلت ـ يعنى الصيام ـ جاعت وعطشت ، ولا يقبل منها[3] . انتهى .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : قوله « ولا تأذن فى بيته » زاد مسلم من طريق همام عن أبى هريرة « وهو شاهد إلا بإذنه » وهذا لا مفهوم له ، بل خرج مخرج الغالب ، وإلا فغيبة الزوج لا تقتضى الإباحة للمرأة أن تأذن لمن يدخل بيته ، بل يتأكد حينئذ عليها المنع لثبوت الأحاديث الواردة فى النهى عن الدخول على المغيبات ، أى من غاب عنها زوجها ، ويحتمل أن يكون له مفهوم ، وذلك أنه إذا حضر تيسر استئذانه ،

---

(١) شرح النووى على مسلم (١١٥/٧) .
(٢) فتح البارى (٢٩٦/٩) .
(٣) تحفة الأحوذى (١٩٥/٣) .

وإذا غاب تعذر ، فلو دعت الضرورة إلى الدخول عليها ، لم تفتقر إلى استئذانه لتعذره[1] .

ثم هذا كله فيما يتعلق بالدخول عليها ، أما مطلق دخول البيت بأن تأذن لشخص في دخول موضع من حقوق الدار التي هي فيها ، أو الى دار منفردة عن سكنها ، فالذى يظهر أنه ملتحق بالأول[2] . انتهى .

وقال الإمام النووى رحمه الله : ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه ، فيه إشارة إلى أنه لا يفتات على الزوج بالإذن في بيته إلا بإذنه وهو محمول على مالا تعلم رضا الزوج به ، أما لو علمت رضا الزوج بذلك ، فلا حرج عليها ، كمن جرت عادته بإدخال الضيفان موضعاً معداً لهم ، سواء كان حاضراً ، أم غائباً ، فلا يفتقر إدخالهم إلى إذن خاص لذلك ، وحاصله أنه لابد من اعتبار إذنه تفصيلاً أو إجمالاً «[3]. انتهى .

قوله : « إلا بإذنه » أي الصريح ، وهل يقوم ما يقترن به علامة رضاه مقام التصريح ، فيه نظر[4] .

قوله ﷺ : « وما أنفقت من نفقة عن غير إذنه فإنه يؤدى إليه شطره » ومعنى هذا أنه لو تصدقت المرأة المسلمة من غير إذن زوجها الصريح في ذلك القدر المعين ، ويكون معها إذن عام سابق ، كان الأجر بينهما مناصفة .

ومعلوم أنها إذا أنفقت من غير إذن صريح ، ولا معروف من العرف ، فلا أجر لها ، بل عليها وزر فتعين تأويله .

واعلمي أن هذا كله مفروض في قدر يسير يعلم رضا المالك به في العادة ، فإن زاد على المتعارف لم يجز ، وهذا معنى قوله ﷺ : « إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة » .[5] فأشار ﷺ إلى أنه قدر يعلم رضا الزوج به في العادة ، ونبه بالطعام أيضاً على ذلك لأنه يسمح به في العادة بخلاف الدراهم والدنانير في حق أكثر الناس .

وهكذا أختي المسلمة تتعلم بعض الآداب التي تقوى العلاقة بين الرجل وزوجته ، وتجعل الفرح والسرور في منزلهما كل ذلك وصية الرسول ﷺ .

---

(١) كأن يحدث حادث في بيته يستدعي انقاذ من بداخل البيت ، في عدم وجود رب الدار .
(٢) فتح البارى (٢٩٦/٩) .
(٣) شرح النووى (١١٥/٧) ، وفتح البارى (٢٩٦/٩) .
(٤) المصدر السابق (٥) صحيح أخرجه مسلم (١١١/٧) .

١٩

وصية الرسول ﷺ للنساء عن أسباب دخول الجنة

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذاَ صلّت المرأةُ خمسها ، وصامتْ شهرَهَا ، وحصنتْ فرْجَهَا ، وأطاعتْ بعلَهَا ، دخلت من أى أبْوابِ الجنَّة شَاءتْ »[1] .

أختى المسلمة : فى هذه الوصية العظيمة التى بين أيدينا يحدد النبى ﷺ للنساء المؤمنات الأسباب التى تصل بهن إلى جنة الله تعالى ، ونستطيع أن نحدد تلك الأسباب فى أربعة كالتالى :

أولا : صلاة المرأة الفرائض الخمس . ثانياً : صيام المسلمة شهر رمضان . ثالثاً : عفة المرأة فى حفظ فرجها . رابعاً : طاعة الزوج فى غير معصية الله .

ولنتأمل أختى المسلمة فى كل سبب من تلك الأسباب ، ولنتعلم ما ينبغى أن تقومى به من أعمال مترتبة عليها .

اعلمى أختى المسلمة أن الله عز وجل قد فرض عليك أن تقومى لله ، وتتطهرى ، وتستقبلى القبلة ، وتصلى ، فى كل يوم وليلة خمس مرات ، والصلاة أختى المسلمة هى عماد الدين ، فمن أقامها فقد أقام دينه ، ومن تركها ، فقد هدم دينه .

ولقد حذرك ربك ـ تبارك وتعالى ـ من إضاعة الصلاة ، فقال عز وجل :

---

(١) إسناده حسن ، وله طرق ترتقى به إلى الصحة ، أخرجه ابن حبان (١١٥١) فى سنده هدبة بن المنهال ، ترجم له ابن أبى حاتم ، ولم يذكر فيه جرحاً ، ولا تعديلا ، انظر : الجرح والتعديل (١١٤/٩) ، وأورده الهيثمى (٣٠٦/٤) فى مجمع الزوائد ، من حديث أبى هريرة ، وقال . رواه الطبرانى ، وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن ، وسعيد بن غفير لم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، وأخرجه أحمد (١٩١/١) من حديث عبد الرحمن بن عوف ، وفى سنده ابن لهيعة ، وحديثه حسن فى المتابعات ، وأخرجه أبو نعيم (٣٠٨/٦) فى الحلية ، وفى سنده يزيد الرقاشى ، رواه الطبرانى فى الكبير من حديث عبد الرحمن بن حسنة ، وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن . مجمع الزوائد (٣٠٦/٤) ، ورواه البزار ، وفيه داود بن الجراح وثقه أحمد وجماعة ، وضعفه جماعة ، وقال ابن معين : وهم فى هذا الحديث ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، ولقد صحح الحديث الشيخ الألبانى ، بمجموع طرقه ، انظر : صحيح الجامع (٦٧٣) (٦٧٤) .

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[1] .

ولقد روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : ليس معنى أضاعوها أنهم تركوها بالكلية ، ولكن أخروها عن أوقاتها ، فإن كان هذا التهديد لمن أخر الصلاة عن وقتها ، فما بالك بمن لا تصلى لله ، وربما حتى تصل إلى عمر كبير ولم تركع لله ركعة واحدة فكيف تقابل ربها وكيف تنجو من عقابه الأليم ؟

ولقد حذرك ربك تعالى من الانشغال بمال ، أو بولد عن الصلاة ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[2] .

قال أهل التفسير : المراد بذكر الله ـ عز وجل ـ فى هذه الآية الصلوات الخمس فينبغى لك أختى المسلمة ألا تنشغلى عن صلاتك ببيع ، أو شراء ، أو معيشة ، أو مال ، أو أولاد ، انظرى إلى من يعذبون فى سقر ، وما أدراك ما سقر ؟ لا تبقى من اللحم شيئا ، ولا تذر ، كيف أنهم عرفوا أن العذاب لتفريطهم فى حق الله من صلاة ، وإطعام طعام ، وخوض المرء منهم فى الباطل ،وتكذيبهم بيوم الدين .

قال عز وجل : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾[3] .

ومن هنا فلابد أختى المسلمة من أن تؤدى الصلاة ، فإن تركها يوجب سخط الرحمن ، والقيام بها يوجب محبته ، ولكن ينبغى لك أن تعلمى أن للصلاة بعض الشروط التى أمرنا بها الله ورسوله ، ينبغى الإتيان بها حتى تكون الصلاة صحيحة .

فمن شروط صحة صلاتك :

١ ـ ستر العورة ، بأن تكون المرأة المسلمة عندما تدخل إلى صلاتها قد سترت عورتها ، فلا تبدو مكشوفة الشعر ، أو الصدر ، أو الذراعين ، أو الساقين .

٢ ـ استقبال القبلة ، وإن كنت لا تعرفين مكانها ، فاسألى أحد والديك ، فإن هذا الأمر من شروط صحة صلاتك .

---

(١) سورة مريم : ٥٩ (٢) سورة المنافقون : ٩

(٣) سورة المدثر : ٤٢ ـ ٤٨

٣ ـ طهارة بدنك من أى حدث صغيراً كان أم كبيراً ، وطهارة ثوبك ، وطهارة المكان الذى تصلين فيه .

ولابد لك أن تعلمى أختى المسلمة أن صلاتك لها أركان هى الفرائض التى لا تصح إلا بها ، ولها سنن مؤكدة ، والفرق بين كل منهما : أن الفرائض وهى الأركان لا تجبر عند النسيان بسجود السهو ، أما السنن المؤكدة فتجبر بسجود السهو .

فأركان صلاتك هى :

١ ـ النية : وتكون بعزمك الصلاة فى قلبك .

٢ ـ تكبيرة الإحرام : وهى أن تقولى : الله أكبر ، وأنت معتدلة فى قيام .

٣ ـ قراءة الفاتحة : للإمام ولمن وحدها .

٤ ـ الركوع : ويكون بانحناء ظهرك ، ووضع يديك على ركبتيك ، مع الاعتدال والطمأنينة .

٥ ـ الرفع من الركوع ، والاعتدال ، قائمة ، حتى تطمئنى .

٦ ـ السجود : بتمكين جبهتك ، وأنفك من الأرض .

٧ ـ الرفع من السجود : جالسة معتدلة مطمئنة .

٨ ـ السلام : وذلك بعد التشهد .

هذه هى جملة الأركان التى تطلب فى الصلاة ، بحيث لو تركت منها فرضاً ، بطلت تلك الركعة التى حدث فيها السهو والخلل ، أما الحديث عن سنن الصلاة المؤكدة التى ينبغى أن تأتى بها ، ولو حدث وسهوت عن شئ منها ، فيجبر بسجود للسهو هى :

١ ـ قراءة سورة أو ما تيسر من قرآن بعد الفاتحة ، فى الركعتين الأوليين من الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، وكلتا فى الصبح .

٢ ـ التسميع والتحميد : بأن تقولى بعد الرفع من الركوع : سمع الله لمن حمده ، ربنا لك الحمد .

٣ ـ التسبيح فى الركوع ، والسجود ، فى الركوع سبحان ربى العظيم ، وفى السجود سبحان ربى الأعلى .

٤ ـ التشهد : وهو قولك « التحيات لله ، والصلوات ، والطيبات ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » وذلك بعد كل ركعتين من الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء .

٥ ـ الصلاة على النبى ﷺ ، وأكمل الصيغ التى جاءت فى هذا : « اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد » . وذلك فى التشهد الأخير من صلاتك .

وهكذا أختى المسلمة إن فعلت كل ما سبق فى فرائضك الخمس ، فى خشوع ، وبحضور قلب ، وتفكر فى القرآن المقروء ، فبحمد الله ، قد أخذت بالسبب الأول الموصل إلى جنة الله عز وجل .

والآن جاء دور الحديث عن السبب الثانى ، وهو صيام شهر رمضان الكريم .

اعلمى أختى المسلمة أن الله عز وجل قد فرض عليك أن تصومى شهراً كاملاً من شهور العام ، هو شهر رمضان ، الذى أنزل فيه القرآن .

والصوم هو إحدى قواعد الإسلام الخمس ، فرضه الله عز وجل بقوله : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ ﴾[١] .

وقوله جل ثناؤه : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٢] .

ولا بد لك أن تعلمى أن للصيام بعض الأركان التى علمنا إياها ربنا عز وجل ورسوله ﷺ .فأركان الصوم هى :

١ ـ النية قبل الفجر : بأن تنوى أن تصومى هذا الشهر لله ، وهذه الليلة .

---

(١) سورة البقرة : ١٨٣ ـ ١٨٤ (٢) سورة البقرة : ١٨٥

٢ - الإمساك : عن الأكل والشراب ، والجماع .
٣ - النهار : وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

ولقد علمنا الرسول ﷺ بعض الأمور التي تفسد الصوم وهي :

١ - الأكل والشرب عمداً ٢ - الجماع .
٣ - وصول أي مائع إلى الجوف وأي مطعوم . ٤ - التقيؤ العمد .

ويعفى أختي المسلمة عن بعض الأمور كالتالي :

١ ـ بلع الريق ، ولو كان كثيراً . ٢ ـ ابتلاع الذباب وغيره كما يحدث غلبة .

ويكره لك :

١ ـ المبالغة في المضمضة والاستنشاق أثناء الوضوء .

ويباح لك :

١ ـ التبرد بالماء لشدة الحر .
٢ ـ التداوي بأي دواء لا يصل منه شئ إلى الجوف .
٣ ـ التطيب بالطيب(١) ، واستعمال السواك .

وهكذا أختي المسلمة عندما تتمسكين بما سبق بيانه ، فلقد أخذت بالسبب الثاني، من أسباب دخول الجنة .

أختي المسلمة : السبب الثالث من أسباب دخول الجنة هو محافظتك على عفتك وعرضك بلزومك الحياء والاحتشام بالحجاب .

أما السبب الأخير فهو طاعة الزوج ، وسبق الكلام عنه في وصايا الرسول ﷺ ، وطاعة الزوج من الخلق الحسن الذي هو قوام حياتك ، وعليه مدار سعادتك في الدنيا والآخرة .

وعندما تتمسكين بهذه الأسباب التي شرحناها ستصلين بإذن الله تعالى إلى رضاه ، وإذا رضي الله عنك ، فقد أحبك ، وإذا أحبك أدخلك جنته ، ونجاك من ناره .

فهلمي أيتها المسلمة وتحلي بهذه النصائح الغالية ، فإنك إن عشت بها سعدت في حياتك ، وسعدت في آخرتك بجنة ربك .

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) يحرم على المرأة أن تخرج متعطرة .

٢٠

وصية النائحة بالتوبة وترهيبها ببيان شدة عذابها

عن أبى - مالك الأشعرى - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : « النَّائحةُ إذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا ، تُقَامُ يَوْمَ القِيَامةِ ، وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ »(١) .

أختى المسلمة : النياحة هى رفع الصوت بالندب ، وتعديد محاسن الميت بصوت النائحة .

وقيل : هو البكاء عليه مع ذكر محاسنه .

وهذا الفعل من أفعال أهل الجاهلية ، ومن تقوم بهذا الفعل من النساء المسلمات ، فقد عرضت نفسها لعقاب الله ، وسخطه ، وغضبه .

ولقد كان النبى ﷺ عندما يبايع النساء ، يشترط عليهن ألا يقعن فى أمر النواح .

فعن أم عطية - رضى الله عنها - قالت : بايعنا رسول الله ﷺ ، فقرأ علينا ﴿ أن لا يُشرِكْنَ بالله شيئاً ﴾(٢) . ونهانا عن النياحة(٣) .

فالنواح من أخلاق الجاهلية التى ينبغى للمرأة المسلمة أن تتخلى عنها ، ولقد عاهدت الصحابيات الرسول ﷺ على ذلك .

ولتتأملى أختى المسلمة فى شدة عذاب النائحة إذا ماتت ، ولم تتب قبل موتها .

يقول الرسول ﷺ فى الوصية التى بين أيدينا الآن : « عليها سربال من قطران » السربال هو القميص ، أما القطران فهو سائل أسود منتن ، من شأنه أنه يسرع فى شدة النار ، وحرق اللحم ، والعظام .

« ودرع من جرب » الدرع مثل القميص ، والجرب : هو الداء المعروف الذى

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (٦/٢٣٥) ، وأحمد (٥/٣٤٤) من حديث أبى مالك ، وأخرجه ابن ماجه (١٥٨٢) من حديث ابن عباس ، وفى سنده عمر بن راشد ، قال الحافظ : ضعيف ، التقريب (٢/٥٥) .

(٢) سورة الممتحنة : ١٢

(٣) صحيح أخرجه البخارى (٦/١٨٧) ، ومسلم (٦/٢٣٨) ، وأبو داود (٣١٢٧) .

بصبب الجلد ، ويترك فيه تجاويف ، إنه عذاب أليم ، وعقاب شديد ، لا يقوى عليه الرجال الشدائد ، فما بالك بالنساء الضعيفات ، ولذلك يزجر الرسول ﷺ ، ويوصى من قامت بمثل هذا الفعل ، بالتوبة النصوح التى تمحو ما كان قبلها .

ولابد للمرأة المسلمة أن تبتعد عن هذا الأمر المذموم ، وعن شد الشعر ، وقطع الثياب وتمزيقها عند نزول الموت بأحد أقاربها ، أو أصحابها ، وإلا فقد عرضت نفسها لخطر عظيم .

اسمعى أختى المسلمة هذا الحديث الذى يرويه أبو بردة عن والده أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ يقول : وَجِعَ أبو موسى وَجَعاً شديداً ، فَغُشِيَ عَلَيْه ، ورأسه فى حجر امرأةٍ من أهله ، فصاحت امرأةٌ من أهله ، فلم يستطع أنْ يردَّ عليها شيئاً ، فلمَّا أفاقَ ، قال : أنا بَرِيءٌ ممَّ برئ منه رسول الله ﷺ ، فإنَّ رسول الله ﷺ « برئ من الصَّالقَة ، والْحَالقَة ، والشَّاقَّة »[1] .

والصالقة : هى التى تقوم برفع صوتها عند المصيبة ، أما الحالقة فهى التى تقوم بحلق شعرها عند المصيبة ، وأما الشاقة فهى التى تشق ثوبها عند المصيبة .

وفى هذا الحديث تنفير شديد من هذه الأمور من رفع الصوت بالنياحة ، والندب على الميت ، وحلق ، أو شد الشعر ، أو تقطيعه ، أو شق الثياب أو ما يفعله بعض الجاهلات من تأجير بعض النسوة ليسرن خلف الميت ، ويقمن بتعديد محاسنه .

والتعبير بقوله بأن رسول الله ﷺ برئ من هذه الأفعال يدل على شدة تحريمها ، وأنها تتنافى مع كمال الإيمان ، والرضا بقضاء الله وقدره .

قال الإمام الذهبى رحمه الله : وإنما كان للنائحة هذا العذاب ، واللعنة لأنها تأمر بالجزع ، وتنهى عن الصبر ، والله ورسوله قد أمرا بالصبر ، والاحتساب ، ونهيا عن الجزع ، والسخط ، قال الله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[2] .

قال عطاء عن ابن عباس : يقول إنى معكم أنصركم ، ولا أخذلكم .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ﴾[3] . أى لنعاملنكم معاملة المبتلى ، لأن الله يعلم

---

(١) صحيح أخرجه البخارى (١٠٣/٢) ، ومسلم (١١٠/٢) .

(٢) سورة البقرة : ١٥٣ . (٣) سورة البقرة : ١٥٥

عاقبة الأمور ، فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعلم العاقبة ، ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلى فمن صبر أثابه على صبره ، ومن لم يصبر لم يستحق الثواب .

وقول الله : ﴿ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾ قال ابن عباس : يعنى خوف العدو ، والجوع يعنى المجاعة ، والقحط ، ﴿ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ ﴾ يعنى الخسران ، والنقصان في المال ، وهلاك المواشى ، ﴿ وَالْأَنْفُسِ ﴾ بالموت ، والقتل ، والمرض والشيب ، ﴿ وَالثَّمَرَاتِ ﴾ يعنى الحوائج ، وأن لا تخرج الثمرة كما كانت تخرج .

ثم ختم الآية بتبشير الصابرين ، ليدل على أن من صبر على هذه المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى ، فقال تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ ، ثم نعتهم فقال : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ ﴾ . أى نالتهم نكبة مما ذكر ، ولا يقال فيما أصيب بخير المصيبة . ﴿ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ ﴾ عبيد الله فيصنع بنا ما يشاء . ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ بالهلاك ، والفناء ، ومعنى الرجوع إلى الله ، الرجوع إلى انفراده بالحكم ، فإذا زال حكم العباد ، رجع الأمر إلى الله عز وجل[1] .

وهكذا أختى المسلمة تنتهى وصية الرسول ﷺ ، فجددى إيمانك إن كنت وقعت فى هذا الأمر من قبل ، وإن وجدت من تقوم بهذا العمل أمامك فقومى بتوضيح حرمة الفعل لها ، وجزاء فاعله إن لم يتب ، حتى تتركه ، فيرضى الله عنك ، وعن صاحبتك .

والحمد لله رب العالمين .



٢١ وصية الرسول ﷺ بكوامل الدعاء

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ دخل على رسول الله ﷺ فكلمه فى شئ يخفيه عن عائشة ، وعائشة تصلى ، فقال النبى ﷺ .

« يا عائشة عليك بالكوامل ، أو كلمة أخرى » فلما انصرفت عائشة سألته

---

(١) الكبائر (ص/١٦٤ ـ ١٦٥) طبعة مكتبة القرآن .

عن ذلك فقال لها : قولى :

« اللَّـهُمَّ إنِّى أسْألُكَ مِن الْخَيْرِ كُلِّه عَاجِلِه وآجِلِه ، مَاعَلِمْتُ مِنْهُ ، وَمَا لَمْ أعْلَمْ ، وأعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّه عَاجِلِه وآجِلِه ، مَاعَلِمْتُ مِنْهُ ، وَمَا لَمْ أعْلَمْ ، وَأسْألُكَ الْجَنَّةَ وَمَاقَرَّبَ إلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ ، أوْ عَمَلٍ ، وَأعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ ، وَمَا قَرَّبَ إلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أوْ عَمَلٍ ، وأسْألُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَألَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ وأعوذ بِكَ من شر ما اسْتَعَاذَكَ عنه عبدك ورسولك محمد ، وأسْألُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أمرٍ أنْ تَجعلَ عَاقِبَته رُشْداً »[1] .

أختى المسلمة : الوصية التى نقرأ فيها الآن من الوصايا التى قالها الرسول ﷺ لعائشة ـ رضى الله عنها ـ وهى جديرة بالقراءة ، جديرة بالتفكر فيها ، جديرة بالعمل بما فيها ، إن تلك الوصية فيها حث من الرسول ﷺ لعائشة بالدعاء ، وقول أفضل الدعاء .

والدعاء أختى المسلمة ـ هو عبارة عن التجاء المسلمة إلى ربها ، ويكون فى كل وقت ، فى الرخاء والبلاء ، فى اليسر والعسر ، فالاستعانة بالله فرار إلى الله ، والدعاء تعلق النفس به ، وطلب العون منه ، ولابد لك من دعائك ، وطلبك من ربك ليزيل علة ، أو يرفع غمة ، أو يكشف كربة ، أو يحقق لك رجاء ورغبة .

فالدعاء ضرورة من ضرورات الحياة للمرأة المسلمة .

ولقد بين لنا النبى ﷺ فى أحاديث كثيرة عظم الدعاء ، فعن النعمان بن بشير ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال : « الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ »[2] .

بل أنه ﷺ يوضح لنا عظم الجزاء دوما للداعى من ثواب عند الله ، وكيف أنه فى كل دعاء يفوز بأجر ربه .

فعن سلمان ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ رَبَّكم تبارَكَ وتعالى

---

(١) إسناده صحيح أخرجه ابن ماجه (٣٨٤٦) ، وأحمد (١٣٤/٦) ، وابن حبان (١١٥/٢) من طريق حماد بن سلمة : أخبرنى جبر بن ... عن أم كلثوم بنت أبى بكر عن عائشة . بنحوه ، وأخرجه الحاكم (٥٢٢/١) واللفظ له ، وصححه وأقره الذهبى ... عن أم كلثوم به .
(٢) إسناده صحيح . أخرجه أبو داود (١٤٧٩) ... حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٨٢٨) ، وأحمد (٢٧١/٤) ، (٢٧٦/٤) .

حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْراً »[1] . وفي رواية : « صِفْراً خَائِبَتَيْنِ » .

نعم أختي المسلمة إنك في فلاح على الدوام إذا كنت من أهل الدعاء .

وقوله : « صفرا » أي خاليتين .

فهلمي أختي المسلمة تتعلم كوامل الدعاء من وصية الرسول ﷺ .

وقوله : « اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله » في هذا الدعاء كأن المسلمة متسائل ربها ، ثم تراجع نفسها أي أنواع الخير ستطلب ؟ فحتماً سوف تذكرين بعض ما تريدين ، ولن يأتي على بالك كل أنواع الخير في وقت واحد ، وفي لحظة واحدة ، ولكن عندما تقولين تلك الكلمات التي علمها الرسول ﷺ لعائشة ـ رضي الله عنها ـ فكأنك قد طلبت كل أنواع الخير ، بل وكأنك قد طلبت ما لم تعلميه من أنواع الخير ، فياله من دعاء جامع شامل .

وقوله : « أعوذ بك من الشر كله » على عكس ما سبق ، فكأنك قد سألت الله أن يعيذك من كل أنواع الشرور ما علمت منها ، وما لم تعلمي .

وقوله : « أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل » هذا المطلب أختي المسلمة هو من أسمى ما تأمل المسلمة أن تفوز به ، ولذا ينبغي لك أن تسألي ربك بالليل والنهار أن يجعلك من أهل الجنة .

قوله : « أعوذ بك من النار » النجاة من النار تعني الفوز العظيم ، كما قال ربنا عز وجل : ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[2] .

قوله : « اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك وأعوذ . . من قول أو عمل » .

قال الإمام الحليمي رحمه الله : هذا من جوامع الكلم التي استحب الشارع[3]

---

(1) إسناده جيد . أخرجه أبو داود (١٤٨٨) ، والترمذي (٣٦٢٧) وقال : حسن غريب وابن ماجه (٣٨٦٥) ، وأحمد (٤٣٨/٥) بنحوه ، وابن حبان . . (٦١٤٨) في الكبير ، والحاكم (٤٩٧/١ ـ ٨٠٥) من طريقين أحدهما . . . ، وأخرجه البغوي (٣٣٨٥) في شرح السنة . قال الحافظ ابن حجر

(٢) سورة آل عمران : ص . . (٣) يعني الشرع الحنيف

الدعاء بها ، لأنه إذا دعا بهذا ، فقد سأل الله من كل خير ، وتعوذ به من كل شر ، ولو اقتصر الداعي على طلب حسنة بعينها ، أو دفع سيئة بعينها ، كان قد قصر في النظر لنفسه . انتهى .

أختي المسلمة : هل تأملت كيف أن هذا الدعاء هو من كوامل الدعاء ، ثم نمضي مع وصية الرسول ﷺ .

قوله : « وأسألك ما قضيت لي من أمر . . رشداً » سؤال باللطف في القضاء ، وباله من سؤال طيب .

أختي المسلمة : هكذا انتهت وصية المصطفى ﷺ ، ولكن ينبغي لنا ألا ندع هذه الوصية تمر ، حتى نتعلم آداب الدعاء .

أختي المسلمة : إذا لم تعرفي أحكام الدعاء وآدابه فيخشى من الواحدة أن تدعو على نفسها ، وهي لا تشعر ، تأملي :

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين ، قَدْ خَفَتَ[1] ، فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ ، فقال له رسول الله ﷺ : « هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيء أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ » ، قال نعم ، كُنْتُ أَقُولُ : اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الآخِرَةِ ، فعجله لي في الدُّنْيَا ، فقال رسول الله ﷺ : « سُبْحَانَ اللهِ ، لا تُطِيقُهُ ، أَوْ لا تَسْتَطِيعُهُ ، أفلا قُلْتَ : اللَّهُمَّ آتنا في الدُّنْيَا حسنة ، وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ »[2] .

قال : فَدَعَا اللهَ لَهُ ، فَشَفَاهُ .

أختي المسلمة : وها أنا أسوق لك بعض الآداب التي ينبغي أن تتحلى بها لكي يكون الدعاء عند الله مقبولا إن شاء الله تعالى .

أولاً : الجزم في الدعاء ، والثقة في الله بحصول الإجابة :

لابد لك أختي المسلمة مهما كان الأمر الذي تطلبين ـ من ربك عظيماً ، أو صعباً ، ينبغي أن يكون في قلبك الثقة بالله ـ عز وجل ـ في وصول وحصول الإجابة .

ولذا فقد دعانا الرسول ﷺ بالجزم في الدعاء ، واليقين .

---

(١) خفت : أي ضعف ، وصار هزيلا .

(٢) أخرجه مسلم (١٣/١٧) في الذكر والدعاء .

فعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ، ولا يقولن اللهم إن شئت فأعطني ، فإنه لا مستكره له »[1] .

وفى رواية من حديث أبى هريرة : « لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لى ، اللهم ارحمنى ، إن شئت ، ليعزم المسألة فإنه لا مكره له »[2] .

ثانياً : الإلحاح فى الدعاء : أختى المسلمة الإلحاح فى الدعاء ممدوح ، لأنه لون من ألوان التذلل إلى ربك ـ عز وجل ـ ولون من ألوان الخضوع لعظمته ، ولون من ألوان حسن الظن برحمته ، ولذا فقد حذرنا النبى ﷺ من الاستعجال ، وبين لنا ما يترتب عليه ترك الإلحاح .

فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال : « لا يزال يستجاب للعبد مالم يدع بإثم ، أو قطيعة رحم ، مالم يستعجل » قيل : يارسول الله ما الاستعجال ؟ قال : « يقول قد دعوت ، وقد دعوت فلم أر يستجيب لى ، فيستحسر عند ذلك ، ويدع الدعاء »[3] .

قال أهل اللغة : يقال حسر ، واستحسر إذا أعيا ، وانقطع عن الشئ .

قال الإمام النووى رحمه الله : والمراد هنا أنه ينقطع عن الدعاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ﴾[4] . أى لا ينقطعون عنها ، ففيه أنه ينبغى إدامة الدعاء ، ولا يستبطئ[5] الإجابة . انتهى .

ثالثاً : خفض الصوت ولينه : أختى المسلمة أمرك ربك ـ تعالى ـ بالتضرع له ، والذل والمسكنة ، فقال عز وجل : ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾[6] .

فهذا أمر بالدعاء ، ثم قرنه تبارك وتعالى بصفات تحسن معه ، وهى الخشوع ، والاستكانة ، والتضرع .

ومعنى : « خفية » أى سراً ، لتبتعدى عن الرياء ، وبذلك أثنى ربنا على نبيه زكريا

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه البخارى (٨/٩٢) ، ومسلم (١٧/٦) ، بنحوه ، وأحمد (٣/١٠١) .
(٢) أخرجه البخارى (٨/٩٢) .
(٣) إسناده صحيح . أخرجه مسلم (١٧/٥٢) فى الذكر والدعاء .
(٤) سورة الأنبياء : ١٩
(٥) شرح النووى على مسلم (١٧/٥٢) .
(٦) سورة الأعراف : ٥٥

عليه السلام ، وعلى نبينا الصلاة والسلام ، فقال عز وجل : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾(١) .

وعن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ ، ولا غَائِباً ، ولكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعاً بَصِيراً »(٢) .
قوله « اربعوا » أي أرفقوا « على أنفسكم » واخفضوا أصواتكم .

رابعاً : سؤال الله تعالى بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا : قال تبارك وتعالى :
﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾(٣) .

عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول : اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله ، لا إله إلا أنت الأحد الصمد ، الذي لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد فقال : « لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بِالاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ »(٤) .

خامساً : الدعاء بصالح الأعمال : وقد ورد هذا ، وصح في حديث الثلاثة الذين دخلوا إلى الغار ، فانطبقت عليهم صخرة ، وانحطت على فم الغار الذي كانوا بداخله ، فتوسلوا إلى ربهم بأخلص أعمالهم ، وأصوبها ، فاستجاب ربهم ، لدعائهم .

سادساً : طيب المطعم ، ورفع اليدين ، واستقبال القبلة .

إلى غير ذلك من آداب وشروط الدعاء التي ينبغي لكل مسلمة أن تعرفها ، وتعمل بها .

وأخيراً قد يسول الشيطان ـ عليه اللعنة ـ للمرأة المسلمة أن تترك الدعاء ، لأنها مذنبة ، صاحبة خطايا وعصيان .

لكن المسلمة العاقلة العالمة بسعة رحمة ربها لا تتوقف عن الدعاء ، مهما كان لديها من الذنوب ، ولو بلغت عنان السماء .

ولهذا قال سفيان بن عيينة رحمه الله : لا تتركوا الدعاء ، ولا يمنعكم منه ما

---

(١) سورة مريم : ٣
(٢) صحيح أخرجه البخاري (١٠٢/٨ ـ ١٠٣) ، ومسلم (٢٥/١٧) .
(٣) سورة الأعراف : ١٨٠
(٤) إسناده صحيح . أخرجه أبو داود (١٤٩٣) ، والترمذي (٣٥٤٢) وقال : حسن غريب ، وابن ماجه (٣٨٥٧) ، وأحمد (١٢٠/٣ ، ١٥٨ ، ٢٤٥) ، (٣٤٩/٥ ـ ٣٥٠) ، والحاكم (٥٠٤/١) وصححه ووافقه الذهبي .

تعلمون من أنفسكم ، فقد استجاب الله تعالي لإبليس ، وهو شر الخلق ، قال : ﴿فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾[1] .

وهكذا انتهت وصية الرسول ﷺ لعائشة ـ رضى الله عنها ـ التى حثنا فيها ، وعلمنا ما هى كوامل الدعاء ؟! . والحمد لله رب العالمين .

٢٢ وصية النساء بعمرة رمضان

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال رسول الله ﷺ لامرأة من الأنصار : « مَا مَنَعَكِ أَنْ تَحُجِّي مَعَنَا ؟ » . قالت : كَانَ لَنَا نَاضِحٌ ، فَرَكِبَهُ أَبُو فُلانٍ ، وَابْنه لِزَوجِهَا ، وَابْنِهَا ، وتَرَكَ نَاضِحاً نَنْضَحُ عَلَيْه .

قَال : « فَإِذَا كَانَ رَمَضَانُ اعْتَمِرِى فِيهِ ، فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ حَجَّةٌ »[2] ، أو نحواً من ذلك » .

أختى المسلمة ، اعلمى أن من العبادات القولية ، والفعلية الحج والعمرة ، أما الحج فقد فرض مرة واحدة فى عمرك ، والعمرة واجبة ، أو سنة مؤكدة مرة واحدة كذلك فى العمر ، فإن أحبت المؤمنة أن تزداد طاعة وقرباً من ربها بالإكثار من الحج ، أو العمرة فبشرها بالفوز والفلاح .

والوصية التى نقرأ فيها الآن يوصى النبى ﷺ امرأة من المسلمات بأداء فريضة ، أو سنة العمرة لما فى فضلها خصوصاً فى شهر رمضان .

أختى المسلمة : العمرة فى اللغة معناها : الزيارة : وقيل إنها مشتقة من عمارة المسجد الحرام .

ولقد ورد ما يفيد أن العمرة واجبة كوجوب الحج ، ومن ذلك .

قال ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ ليس أحد إلا وعليه حجة وعمرة[3] .

---

(١) سورة الحجر : ٣٦ ـ ٣٧

(٢) صحيح أخرجه البخارى (٤/٣) ، ومسلم (٢/٩) ، وأبو داود (٢٩٩٠) ، والترمذى (٩٤٣) من طريق أخر عن أم معقل ، وأخرجه النسائى (١١٢/٥) ، وابن ماجه (٢٩٩١) ، (٢٩٩٢ ـ ٢٩٩٣) مختصرا ، من طريق أخر ، وأخرجه البيهقى (٣٤٦/٤) فى السنن الكبرى قولها : « كان لنا ناضح » أى بعير نستقى به .

(٣) البخارى (١/٣) تعليقاً ، وذكر الحافظ أن ابن خزيمة والدارقطنى والحاكم وصلوه .

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ إنها لقرينتها فى كتاب الله[1] . ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[2] .

وإلى هذا الحكم ـ يعنى بالوجوب ـ ذهب الشافعية والحنابلة ، وغيرهم من أهل الأثر ، وذهب المالكية والحنفية إلى أنها تطوع ، واستدلوا بحديث فيه الحجاج بن أرطأة ، وهو من الضعفاء .

أختى المسلمة : العمرة لها ثواب عظيم ، وأجر جزيل ، إنها تكفر السيئات ، التى تقعين فيها .

فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلا الْجَنَّةُ »[3] .

قال الإمام النووى رحمه الله : هذا ظاهر فى فضيلة العمرة ، وأنها مكفرة للخطايا الواقعة بين العمرتين .

ومن أجل هذا الفضل يوصى النبى ﷺ المرأة المسلمة بالعمرة ، وخصوصاً فى رمضان ، ولذا أختى المسلمة لابد لك أن تتعلمى كيفية العمرة وأركانها ؟

أولا : شروط وجوب العمرة :

١ ـ الاستطاعة ، وهى القدرة البدنية ، والقدرة المادية ، وذلك لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[4] .

٢ ـ وجوب محرم يرافقك سواء فى العمرة ، أو الحج .

ثانياً : أركان العمرة ، أركانها ثلاثة :

الإحرام ، والطواف ، والسعى ، ولها واجب واحد ، وهو الحلق أو التقصير بعد السعى .

ثالثاً : كيفيتها : هى أن تغتسلى ، وتحرمى من الميقات ، فإذا وصلت إلى البيت الحرام تطوفين سبعاً ، ثم تصلين خلف المقام ركعتين ، ثم تخرجين إلى الصفا لكى تسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط ، فإذا فرغت قصرت من شعرك ، وبهذا تكون قد تمت عمرتك ، وتقبل الله منك إن شاء الله فهيا أختى المؤمنة اعملى على أن تكونى من أهل العمرة طلبا لثواب الرحمن الكريم والحمد لله رب العالمين .

---

(١) البخارى (١/٣) تعليقاً ، وذكر الحافظ أن الشافعى وابن منصور والحاكم وصلوه .

(٢) سورة البقرة : ١٩٦

(٣) صحيح أخرجه البخارى (١/٣) ، ومسلم (١١٧/٩) ، والترمذى (٩٣٧) ، والنسائى (١١٢/٥) ، وابن ماجه (٢٨٨٨) ، وأحمد (٢٤٦/٢ ، ٤٦١ ، ٤٦٢) ، (٤٤٧/٣) .

(٤) سورة آل عمران : ٩٧

٢٣ وصية الرسول ﷺ لعلي وفاطمة عند النوم

قَالَ علي ـ رضي الله عنه ـ إنَّ فاطمة ـ عليها السلام ـ شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أثر الرَّحى ، فأتى النَّبي ـ ﷺ ـ سبي ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تجده ، فَوَجَدَتْ عائشة ، فَأخبرتها ، فَلَمَّا جاءَ النَّبي ـ ﷺ ـ أخبرته عائشةَ بمجيء فاطمةَ ، فَجاءَ النَّبي ـ ﷺ ـ إلينا ، وَقَدْ أخذنا مضاجعنا ، فَذَهبتُ لأقوم ، فقال : « عَلَى مكانكما » .

فَقَعَدَ بيننا ، حتى وَجَدْتُ برد قدميه عَلَى صدري ، وقال : « ألا أعلِّمكما خيراً مما سألتماني ؟! إذا أخذتما مضاجعكما ، تُكبِّرا أربعاً وثلاثين ، وتُسبِّحا ثلاثاً وثلاثين ، وتَحْمَدا ثلاثاً وثلاثين ، فَهُوَ خيرٌ لكما من خادم »[1] .

أختى المسلمة : هذه وصية النبى ﷺ لابنته الطاهرة فاطمة ـ رضى الله عنها ـ سيدة نساء الجنة ، فلنتعلم من تلك الوصية ما ينفعنا فى دنيانا وآخرتنا .

لقد تعبت فاطمة ـ رضى الله عنها ـ من كثرة ما كانت تقوم به من أعمال بيتها ، وعلى الخصوص من شدة أثر الرحى ، فذهبت إلى الرسول ـ ﷺ ـ لكى تسأله خادماً ، يعنى جارية تخدمها ، يطلق أيضا على الذكر ، فلما دخلت إلى بيت النبى ـ ﷺ ـ لم تجده ، ووجدت عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ فذكرت ذلك لها ، فلما جاء الرسول ـ ﷺ ـ أخبرته بما كان من أمر فاطمة ـ رضى الله عنها ـ فنظر النبى ﷺ ـ إلى طلبها ، فإذا لديه بعض أسرى الحرب ، من النساء وغيرهن ، ولكن هذا السبى سيباع ، وينفق من ثمنه على فقراء المسلمين من أهل الصفة ، الذين لا مسكن لهم ، ولا طعام ، إلا فيما ينفقه عليهم الرسول ﷺ ، فذهب النبى ـ ﷺ ـ إلى بيت على ـ رضى الله عنه ـ وكان هو وفاطمة ـ رضى الله عنهما ـ قد بدءا فى النوم على فراشهما فدخل الرسول ـ ﷺ ـ عليهما بعد الاستئذان عليهما ، فلما دخل أرادت فاطمة وعلى رضى الله عنهما ـ أن يقوما ، فقال لهما عليه الصلاة والسلام « على مكانكما » أى

---

(١) صحيح أخرجه البخارى (١٠٢/٤) ، (٢٤/٥) . (٨٧/٧) ، ومسلم (١٥/١٧) ، وأبو داود (٥٠٦٢) ، والترمذى (٣٤٦٩) ، وأحمد (٩٦/١ ، ١٣٦) ، والبيهقى (٢٩٣/٧) فى السنن الكبرى ، وابن السنى (٧٣٥) فى عمل اليوم والليلة ، (الرحى) : معروفة وهى آلة عبارة عن حجر عظيم ، كان يطحن فيها الدقيق وخلافه .

الزما مكانكما ، ثم قال لفاطمة : « إني أخبرت أنك جئت تطلبين ، فما حاجتك » ، قالت ، بلغني أنه قدم عليك خدم ، فأحببت أن تعطني خادماً يكفيني الخبز ، والعجين ، فإنه قد شق علي ، فقال لها الرسول ﷺ : « فما جئت تطلبين أحب إليك ، أو ما هو خير منه ؟ » ثم أشار عليهما بأنهما إذا أرادا النوم فعليهما بتسبيح الله ، وتكبيره ، وحمده بعدد محددٍ ، ذكره لهما ، ثم قال لهما في آخر الأمر : « هو خير لكما من خادم » .

ولم ينس علي – رضي الله عنه – هذه الوصية الغالية ، حتى بعد وفاة زوجته ، فلقد قال ابن أبي ليلى : قال علي : مَا تَرَكْتُهُ مُنْذُ سَمِعْتُهُ من النبي ﷺ .

قيل له : وَلا لَيْلَةَ صِفِّينَ ؟

قال رضي الله عنه : وَلا لَيْلَةَ صِفِّينَ[1] .

وقد تتساءلين أختي المسلمة فتقولين : وما العلاقة بين طلبها للجارية لتخدمها ، وبين الذكر ؟!! العلاقة واضحة لمن كان له قلب ، أو تفكر بعقل واع راشد ، فإن الذكر يعطي الذاكر قوة ، حتى إنه ليفعل مع الذكر مالم يظن فعله بدونه بل للذكر من الفوائد ما هو أعظم من إذهاب التعب منها :

١ – أنه يزيل الهم والغم عن القلب .

٢ – أنه يجلب للقلب الفرح والسرور .

٣ – أنه يكسو الذاكر المهابة ، والنضرة .

٤ – أنه يورث جلاء القلب من صدأه ، وكل شيء له صدأ ، وصدأ القلب الغفلة ، والهوى ، وجلاؤه الذكر ، والتوبة ، والاستغفار ، إلى غير ذلك من فوائد الذكر[2] .

وقد تتساءلين فتقولين : قد جاءت أذكار أخرى غير هذا عند النوم ، فأيها أفضل ؟!

قال القاضي عياض رحمه الله : جاءت عن النبي ﷺ أذكار عند النوم مختلفة ، بحسب الأحوال ، والأشخاص ، والأوقات ، وفي كل فضل .

---

(١) أخرجه مسلم (١٧/٤٦) ، المراد بليلة صفين الحرب التي كانت بين علي ومعاوية بصفين ، وفي بلد معروف بين العراق والشام ، وأقام الفريقان بها عدة أشهر ، وليلة صفين هي ليلة الحرب الشديدة ، والتي انجلت عن إشراف علي وأنصاره على النصر .

(٢) يمكنك التعرف عليها جميعاً بقراءة كتاب (الوابل الصيب) لابن قيم الجوزية .

من فوائد الوصية

أختى المسلمة : هذه الوصية عظيمة الفوائد ، كثيرة الخير والمنافع ، وإليك بعض ما ذكره أهل العلم من تلك الفوائد :

قال ابن بطال : فى هذا الحديث حجة لمن فضل الفقر على الغنى ، لقوله « ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم » فعلمهما الذكر ، فلو كان الغنى أفضل من الفقر لأعطاهما الخادم ، وعلمهما الذكر ، فلما منعهما الخادم ، وقصرهما على الذكر ، علم أنه إنما اختار لهما الأفضل عند الله .

واعترض عليه الحافظ ابن حجر بقوله : هذا إنما يتم أن لو كان عنده ﷺ من الخدام فضلة ، وقد صرح فى الخبر أنه كان محتاجاً إلى بيع ذلك الرقيق ، لنفقته على أهل الصفة ، ومن ثم قال عياض : لا وجه لمن استدل به على أن الفقر أفضل من الغنى .

وقد اختلف فى معنى الخيرية فى الخبر ، فقال عياض : ظاهره أنه أراد أن يعلمهما أن عمل الآخرة أفضل من أمور الدنيا على كل حال ، وإنما اقتصر على ذلك لما لم يمكنه إعطاء الخادم ، ثم علمهما إذ فاتهما ما طلباه ذكراً يحصل لهما أجراً أفضل مما سألاه .

وقال القرطبى رحمه الله : إنما أحالهما على الذكر ليكون عوضاً عن الدعاء عند الحاجة ، أو لكونه أحب لابنته ما أحب لنفسه من إيثار الفقر ، وتحمل شدته بالصبر عليه ، تعظيما لأجرها .

وقال المهلب رحمه الله : علم ﷺ ابنته من الذكر ما هو أكثر نفعاً لها فى الآخرة ، وآثر أهل الصفة لأنهم كانوا وقفوا أنفسهم لسماع العلم ، وضبط السنة ، على شبع بطونهم ، لا يرغبون فى كسب مال ، ولا فى عيال ، ولكنهم اشتروا أنفسهم من الله بالقوت(1) . انتهى .

١ ـ يؤخذ منه تقديم طلبة العلم على غيرهم فى خُمس الغنيمة .

٢ ـ فيه ما كان عليه السلف الصالح من شظف العيش ، وقلة الشىء ، وشدة الحال ، وأن الله منعهم الدنيا مع إمكان ذلك ، صيانة لهم من تبعاتها ، وتلك سنة أكثر الأنبياء والأولياء .

---

(١) فتح البارى (١٢٣/١١ ـ ١٢٤) .

٣ ـ فيه حمل الإنسان أهله على ما يحمله عليه نفسه من إيثار الآخرة على الدنيا ، إذا كانت لهم قدرة على ذلك .

٤ ـ في الحديث منقبة ظاهرة لعلي وفاطمة رضي الله عنهما .

٥ ـ فيه بيان إظهار غاية التعطف ، والشفقة على البنت والصهر ، ورفع الحشمة والحجاب ، حيث لم يزعجهما عن مكانهما فتركهما على حالة اضطجاعهما ، وبالغ حتى أدخل رجله الشريفة بينهما ، ومكث بينهما ، حتى علمهما ما هو الأولى بحالهما من الذكر ، عوضا عما طلباه من الخادم ، فهو من باب تلقي المخاطب بغير ما يطلب إيذاناً بأن الأهم من المطلوب هو التزود للمعاد ، والصبر على مشاق الدنيا ، والتجافي عن دار الغرور .

٦ ـ فيه دلالة على مكانة أم المؤمنين ـ عائشة ـ من النبي ﷺ حيث خصتها فاطمة ـ رضي الله عنها ـ بالسفارة بينها ـ وبين أبيها دون سائر الأزواج .

ولكن قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : يحتمل أنها لم ترد التخصيص بل الظاهر أنها قصدت أباها في يوم عائشة في بيتها ، فلما لم تجده ذكرت حاجتها لعائشة ، ولو اتفق أنه كان يوم غيرها من الأزواج لذكرت لها ذلك ، وقد تقدم أن في بعض طرقه أن أم سلمة ذكرت للنبي ﷺ ذلك أيضاً ، فيحتمل أن فاطمة ـ رضي الله عنها ـ لما لم تجده في بيت عائشة ، مرت على بيت أم سلمة فذكرت لها ذلك .

٧ ـ وفيه أن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه إعياء ، لأن فاطمة ـ رضي الله عنها ـ شكت التعب من العمل ، فأحالها ﷺ على ذلك ، كذا أفاده ابن تيمية رحمه الله .

قال الحافظ ابن حجر : وفيه نظر ، ولا يتعين رفع التعب ، بل يحتمل أن يكون من واظب عليه لا يتضرر بكثرة العمل ، ولا يشق عليه ، ولو حصل له التعب[1] ، والله أعلم.

أختي المسلمة ، هكذا انتهت الوصية النبوية التي نتعلم فيها من سيدة نساء الجنة فاطمة ـ رضي الله عنها ـ الصبر الجميل .

فانظري كيف أنها وهي بنت الرسول ـ ﷺ ـ وزوجة الصحابي الجليل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ تطحن ، وتسقي ، وتقوم بأمور بيتها كلها على أكمل حال ، وعلى خير ما يرام ، ولم تضجر ، ولم تسخط ، فهلا تقتدين بها أختي المسلمة في هذا الصبر الجميل ؟! ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) المصدر السابق .

٢٤ حرمة وضع العطور عند شهود الصلوات والسير في الطرقات

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُورًا فَلاَ تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الآخِرَةَ »[1] .

وعن زينب الثقفية أنها كانت تحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْعِشَاءَ فَلاَ تَطَيَّبْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ »[2] .

وفي رواية : « إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْمَسْجِدَ فَلاَ تَمَسَّ طِيبًا »[3] .

أختي المسلمة : المرأة المسلمة العاقلة هي التي تسعى في زيادة معرفتها بربها ، ودينها ، بالعلم الذي في كتاب الله ،وسنة نبيه ﷺ ، فمن حق المسلمة التعلم لما هو واجب عليها ، كمعرفة ربها تبارك وتعالى ، ومعرفة كيف تعبده ، وكيف تؤدي الحقوق التي عليها نحوه ، ومعرفة الآداب اللازمة لها ، والأخلاق الفاضلة التي عليها أن تتحلى بها ، والعلوم الدنيوية التي لا مناص للنساء من تعلمها مما يخصهن بالضرورة ، ولا يخص الرجال .

وطريقة الحصول على هذا العلم قد تكون عن طريق الدرس ، والطلب ، وعن طريق سؤال أهل العلم ، وسماع المواعظ في المساجد ، والجلوس مع النسوة الصالحات المتفقهات إلى غير ذلك من طرق العلم المعروفة .

☜ وفي هذه الوصية التي بين أيدينا يعلمنا الرسول ﷺ كيف تسير المرأة ، وهي تطلب الوصول إلى بيوت الله ، ومن باب الأولى وهي تسير إلى مجالس العلم والذكر عموماً .

أختي المسلمة : أخذ العلماء من هذه الأحاديث وغيرها أنه يشترط لخروج المرأة إلى بيت الله أن لا تكون متطيبة ، ولا متزينة ، ولاذات خلاخل وما أشبهها مما يسمع صوته ، ولا ثياب فاخرة تلفت النظر .

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (١٦٣/٤) ، وأبو داود (٤١٧٥) ، والنسائي (١٥٤/٨) .
(٢) صحيح أخرجه مسلم (١٦٣/٤) ، والنسائي (١٥٤/٨) ، والبيهقي (١٣٣/٣) في السنن .
(٣) صحيح أخرجه مسلم (١٦٣/٤) ، وابن خزيمة (١٦٨٠) ، والبغوي (٤٣٩/٣) في شرح السنة.

فقوله ﷺ : « أيما امرأة أصابت بخوراً » يشترط لمن تريد حضور الجماعات فى الصلوات ألا تضع عطراً ، أو ما يماثله من ناحية انتشار الرائحة ، بل لقد رهب النبى ﷺ المرأة المسلمة من أن تذهب إلى الصلاة فى الجماعات وهى متعطرة ، بل ذكر لها أن صلاتها لن تقبل حتى تغتسل فعن مولى أبى رهم « واسمه عبيد » أنَّ أبا هريرة - رضى الله عنه - لَقِىَ امرأةً متطيِّبةً ، تريد المَسْجد ، فقال : يا أمَةَ الجبَّارِ أينَ تريدين ؟ قالت : المَسْجدَ ، قال : وله تطيَّبْتِ ؟ قالت : نَعَمْ ، قال : فإنِّى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أيمَا امرأةٍ تطيَّبَتْ ، ثُمَّ خرجَتْ إلى المسْجِد ، لَمْ تُقْبَلْ لَهَا صَلاةٌ ، حتَّى تغتَسِلَ »[1] .

وفى رواية أخرى : « إذَا خرَجَتِ المرْأةُ إلى المَسْجِدِ فلْتَغْتَسِلْ من الطيبِ كَمَا تَغْتَسِلُ منَ الْجَنَابَةِ »[2] .

قوله : « فلتغتسل » قال الإمام السيوطى رحمه الله : ظاهره أنها إذا أرادت الخروج إلى المسجد وقد استعملت الطيب فى البدن ، فلتغتسل منه ، وتبالغ فيه كما تبالغ فى غسل الجنابة حتى يزول عنها الطيب بالكلية ، ثم لتخرج ، ومثله : قوله تعالى : ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾ لا أنها إذا خرجت بطيب ، ثم رجعت فعليها الغسل لذلك ، لكن رواية أبى داود ظاهرة فى الثانى ، فقيل أمرها بذلك تشديداً عليها ، وتشنيعاً لفعلها[3] . انتهى .

أختى المسلمة : ينبغى لكل مسلمة إذا أرادت أن تسير فى الطرقات ، أن تتقى الله فى سيرها ، ولا تغضب ربها ، بوضعها للعطور ، وخلافه من الزينة الظاهرة .

أختى المسلمة : هل ترضين بأن يطلق عليك شيئا ينقص من عفتك ؟!! بالقطع أنك لا ترضين بهذا ، ولكن عندما ننظر إلى واقع المسلمات نجد أنهن يجعلن من أنفسهن عرضة لإطلاق كلمة « زانية » عليهن ، وهن لا يشعرن ، تأملى :

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٧٤) ، وابن ماجه (٤٠٠٢) فى سنده مولى أبى رهم قال الحافظ : مقبول : ولقد ذكر الشيخ الألبانى طرقا أخرى للحديث ، وشواهد صحح بها الحديث ، كما فى السلسلة الصحيحة (١٠٣١) ، (١٠٩٤) وصححه فى صحيح الجامع برقم (٢٧٠٠) .

(٢) أخرجه النسائى (١٥٤/٨) ، وصححه الشيخ الألبانى . انظر : صحيح الجامع (٥١٦) والسلسلة الصحيحة (١٠٣١) .

(٣) نقلا عن حاشية السيوطى على النسائى (١٥٤/٨) .

عن غنيم بن قيس عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأةٍ استعطرَتْ فمرَّتْ على قومٍ ليجدوا من ريحها ، فهي زانيةٌ »[1] .

« إذا استعطرت المرأةُ فمرَّتْ على القومِ ليجدوا ريحها فهي كذا وكذا »[2] . قال : قولاً شديداً .

وفي رواية أخرى : « كلُّ عينٍ زانيـةٌ ، والمرأةُ إذا استعطرَتْ فمرَّتْ بالمجلسِ ، فهي كذا وكذا ، يعني زانية »[3] .

قوله : « كل عين زانية » أي كل عين نظرت إلى أجنبية عن شهوة ، فهي زانية .

قوله : « إذا استعطرت » أي استعملت العطر ، « فمرت بالمجلس » أي مجلس الرجال .

قوله : « يعني زانية » لأنها هيجت شهوة الرجال بعطرها ، وحملتهم على النظر إليها ، ومن نظر إليها ، فقد زنى بعينيه ، فهي سبب زنا العين ، فهي آثمة[4] قاله العلامة المباركفوري .

وهكذا أختي المسلمة تتعلم من تلك الوصية النبوية ، أن المرأة إذا خرجت من بيتها لا تضع على ثيابها ، ولا على أي شئ من بدنها أي عطر ، حتى لا تندرج تحت هذا القول القبيح ـ يعني وصفها بأنها زانية ـ والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، فالحمد لله رب العالمين .

* * *

---

(١) أخرجه النسائي (٨/١٥٣) ، وأحمد (٤/٤١٤ ، ٤١٨) ، والحاكم (٢/٣٩٦) وحسنه الشيخ الألباني ، صحيح الجامع (٢٦٩٨) ، تخريج المشكاة (١٠٦٥) .

(٢) أخرجه أبو داود (٤١٧٣) ، وحسنه الشيخ الألباني كما في صحيح الجامع (٣٢٠) .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٣٧) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) تحفة الأحوذي (٨/٧١) .

٢٥ الوصية بعدم السفر إلا في وجود المحرم

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَحلُّ لامْرَأةٍ تُؤمِنُ بالله وَالْيَوْم الآخِرِ أنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَيْسَ مَعَهَا حُرْمَةٌ »[١] .

وفي رواية أخرى : « لا تُسَافِرِ المَرْأةُ ثَلاثَةَ أيامٍ إلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ »[٢] .

أختي المسلمة : هذه وصية الرسول ﷺ للمرأة المسلمة عندما تخرج من بيتها مسافرة ، والمؤمنة في كل أحوالها تتبع خطوات الرسول ﷺ ، وتسعى جاهدة في تنفيذ أوامره ، والابتعاد عما حذر ونهى عنه ، فقوله ﷺ : « لا يحل » أي لا يجوز .

وقوله : « لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر » قال بعض أهل العلم : مفهومه أن النهي المذكور يختص بالمؤمنات ، فتخرج الكافرات .

وأجيب بأن الإيمان هو الذي يستمر للمتصف به خطاب الشارع فينتفع به ، وينقاد له ، فلذلك قيد به ، أو أن الوصف ذكر لتأكيد التحريم ، ولم يقصد به إخراج ماسواه[٣] ، والله أعلم .

قوله : « أن تسافر مسيرة يوم وليلة » أي : مسافة تقطع بالسير يوماً ، وليلة ، قال بعض العلماء : والتقييد بذلك جرى على الغالب .

قوله : « ليس معها حرمة » وفي لفظ مسلم : « إلا مع ذي محرم » أي محرم منها ، وهو من لا يحل له زواجها مطلقاً ، كأبيها ، وابنها ، وأخيها ، وابن أخيها ، وابن أختها ، ومن في حكمهم من الرضاع ، وكذا زوج ابنتها المدخول بها ، ومثل المحرم الزوج .

قوله : « مسيرة يوم وليلة » ، وفي الرواية الأخرى : « ثلاثة أيام » ، وفي روايات أخرى : « مسيرة ثلاث ليال » ، ومسيرة يومين » وفي رواية عند أبي داود « لا تسافر بريداً » والبريد مسيرة نصف يوم .

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (٥٤/٢) ، ومسلم (١٠٧/٩) ، وأبو داود (١٧٢٣) ، والترمذي (١١٨٠) ، وابن ماجه (٢٨٩٩) ، وأحمد (٢٣٦/٢ ، ٢٥١ ، ٤٣٧) .

(٢) صحيح ، أخرجه البخاري (٥٤/٢) ، ومسلم (١٠٦/٩) ، وأبو داود (١٧٢٧) ، وأحمد (٧/٣) .

(٣) فتح الباري (٥٦٨/٢) .

قال العلماء : اختلاف هذه الألفاظ لاختلاف السائلين ، واختلاف المواطن ، وليس في النهي عن الثلاثة تصريح بإباحة اليوم ، والليلة ، أو البريد .

قال الإمام البيهقي رحمه الله : كأنه ﷺ سئل عن المرأة تسافر ثلاثاً بغير محرم ؟ فقال : لا . وسئل عن سفرها يومين بغير محرم ؟ فقال : لا وسئل عن سفرها يوماً ؟ فقال : لا . وكذلك البريد .

فأدى كل منهم ما سمعه ، وما جاء منها مختلفا عن رواية واحد فسمعه في مواطن ، فروى تارة هذا ، وتارة هذا ، وكله صحيح ، وليس في هذا كله تحديد لأقل ما يقع عليه اسم السفر الذى تنهى عنه المرأة بغير زوج ، أو محرم ، سواء كان ثلاثة أيام ، أو يومين ، أو يوماً ، أو بريداً ، أو غير ذلك لرواية ابن عباس المطلقة ، وهى آخر روايات مسلم « لا تسافر امرأة إلا مع ذى محرم » وهذا يتناول جميع ما يسمى سفراً ، والله أعلم[1] .

حكم سفر المرأة للحج

قال الإمام النووى رحمه الله : أجمعت الأمة على أن المرأة يلزمها حجة الإسلام إذا استطاعت لعموم قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾[2] ، وقوله ﷺ : « بني الإسْلَامُ عَلَى خمسٍ »[3] . الحديث .

واستطاعتها كاستطاعة الرجل ، لكن اختلفوا في اشتراط المحرم لها .

فأبو حنيفة يشترطه لوجوب الحج عليها إلا أن يكون بينها ، وبين مكة دون ثلاث مراحل ، ووافقه جماعة من أصحاب الحديث ، وأصحاب الرأى ، وحكى ذلك أيضاً عن الحسن البصرى ، والنخعى[4] .

وقال عطاء ، وسعيد بن جبير ، وابن سيرين ، ومالك ، والأوزاعى ، والشافعى فى المشهور عنه : لا يشترط المحرم ، بل يشترط الأمن على نفسها .

قال أصحابنا : يقصد الشافعية ـ يحصل الأمن بزوج ، أو محرم ، أو نسوة ثقات ، ولا يلزمها الحج عندنا إلا بأحد هذه الأشياء ، فلو وجدت امرأة واحدة ، ثقة لم يلزمها ، لكن يجوز لها الحج معها هذا هو الصحيح .

---

(١) نقلا عن شرح النووى على مسلم (١٠٣/٩) .

(٢) سورة آل عمران : ٩٧

(٣) صحيح . أخرجه البخارى (٩/١) ، ومسلم (١٧٧/١) .

(٤) وهما ذهب إليه أحمد ، وإسحاق ، وأصحاب الرأى .

وقال بعض أصحابنا : يلزمها بوجود نسوة ، أو امرأة واحدة ، وقد يكثر الأمن ، ولا تحتاج إلى أحدٍ ، بل تسير وحدها في جملة القافلة ، وتكون آمنة ، والمشهور من نصوص الشافعي ، وجماهير أصحابه ، هو الأول .

واختلف أصحابنا في خروجها لحج التطوع ، وسفر الزيارة ، والتجارة ، ونحو ذلك من الأسفار التي ليست واجبة ، فقال بعضهم : يجوز لها الخروج فيها مع نسوة ثقات كحجة الإسلام .

وقال الجمهور : لا يجوز إلا مع زوج أو محرم ، وهذا هو الصحيح للأحاديث الصحيحة ، وقد قال القاضي : واتفق العلماء على أنه ليس لها أن تخرج في غير الحج والعمرة إلا مع ذي محرم إلا الهجرة من دار الحرب ، فاتفقوا على أن عليها أن تهاجر منها إلى دار السلام ، وإن لم يكن معها محرم .

والفرق بينهما أن إقامتها في دار الكفر حرام إذا لم تستطع إظهار الدين ، وتخشى على دينها ونفسها ، وليس كذلك التأخر عن الحج ، فإنهم اختلفوا في الحج ، هل هو على الفور ، أم على التراخي ؟!

قال القاضي عياض : قال الباجي : هذا عندي في الشابة ، وأما في الكبيرة غير المشتهاة فتسافر كيف شاءت ، في كل الأسفار بلا زوج ، ولا محرم .

قال الإمام النووي : وهذا الذي قاله الباجي لا يوافق عليه ، لأن المرأة مظنة الطمع فيها ، ومظنة الشهوة ، ولو كانت كبيرة ، وقد قالوا : لكل ساقطة لاقطة ، ويجتمع في الأسفار من سفهاء الناس ، وسقطهم من لا يرتفع عن الفاحشة بالعجوز ، وغيرها لغلبة شهوته ، وقلة دينه ، ومروءته ، وخيانته ، ونحو ذلك ، والله أعلم[1] . انتهى .

أختي المسلمة :الإسلام الحنيف يريد حماية المرأة ، والمحافظة عليها بشتى الطرق ، والوسائل التي تعود بالنفع على المرأة .

ومن هذه الوصية نستطيع أن نخرج بالفوائد التالية :

١ ـ حرمة سفر المرأة لغير الحج والعمرة من غير محرم ، أو زوج لها ، عند بعض الفقهاء بوجود الأمن مع غيرها من ثقات النساء ، خلافاً لمن ذهبوا إلى اشتراط المحرم ، أو الزوج .

٢ ـ عناية الإسلام بالنساء بالمحافظة عليهن ، وعدم تعريضهن للريبة ، أو الاعتداء عليهن .

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٠٤/٩) .

٢٦ جزاء من مات لها ثلاثة من الولد

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : قالت النساء للنبي ﷺ غلبنا عَلَيْكَ الرِّجال ، فَاجعل لَنَا يوماً من نَفْسكَ ، فَوَعَدَهُنَّ يوماً لقيهُنَّ فيه ، فَوعظهُنَّ ، وَأَمَرَهُنَّ ، فَكَانَ فيمَا قَالَ لَهُنَّ : « مَا مِنكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاثَةً مِنَ وَلَدِهَا إِلا كَانَ لَهَا حِجاباً مِنَ النَّارِ » فقالت امرأةٌ : واثنتينِ ؟!! فقال : « وَاثْنَتينِ »[1] .

أختي المسلمة : حياة المرأة بما فيها من مسرة ، ومضرة ، كلها خير ، وأجر لها عند الله ، فالمرأة المسلمة تشكر الله تعالى في السراء ، وتصبر على الضراء ، فتنال خير الدارين ، أما ناقصة الإيمان فإنها تضجر ، وتسخط من المصيبة ، فيجمع عليها نصيبها ، ووزر سخطها ، ولا تعرف للنعمة قدرها ، فلا تقوم حقها ، ولا تشكرها ، فتنقلب النعمة في حقها نقمة .

فالمؤمنة الحقيقية هي التي ترضى بأحكام ربها ، وتعمل على تصديق ما وعدها به .

وهذه الوصية النبوية التي بين أيدينا يعلمنا فيها الرسول ﷺ جزاء من مات لها ثلاثة من ولدها ، سواء كانوا ذكوراً ، أو إناثاً ، أو مات لها اثنان كما دل الحديث .

فلنتأمل وصية النبي ﷺ ، ولنتعلم منها دروساً وعبراً .

قوله : « ما منكن امرأة » الرسول ﷺ يخاطب النسوة اللائي حضرن مجلس العلم الذي عقد لكي يعلمهن ، ومن المعلوم أن العبرة بعموم اللفظ ، وليس بخصوص السبب ، فالحديث موجه إلى كل امرأة مسلمة .

قوله : « تقدم » أي يتقدمها في الموت ، لأنه من الطبيعي أن يموت كل الأبناء في الدنيا بعد الكبار ، ولكن بموتهم قبلها في حياتها ، فقد سبقوها فأصبحوا في المقدمة .

قوله : « حجاباً » أي ستراً وحماية من النار أن تمسها بسوء .

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (١/٣٦) ، (٢/٩٢) ، ومسلم (١٦/١٨١) .

أختى المسلمة : أى فضل هذا ؟!! إنه فضل عظيم ، لمن أرادت أن تكون عند ربها من الصابرات ، تلك أيتها الأخت المؤمنة صفة من الصفات الفاضلة التى ينبغى أن تتحلى بها ، حتى تعيشى وتسعدى فى دنياك وآخرتك .

والحمد لله رب العالمين .



٢٧ وصية الرسول ﷺ لأمهات المؤمنين

عن عائشة أم المؤمنين قالت : قال رسول الله ﷺ : « أسْرَعُكُنَّ لَحَاقاً بِي أطْوَلُكُنَّ يَداً »[١] . قَالَتْ : فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أيَّتُهُنَّ أطْوَلَ يَداً . قالت : فكانتْ أطْوَلَنَا يَداً زينبَ لأنَّها كَانَتْ تَعْمَلُ بِيدِهَا وتَصَدَّقُ .

أختى المسلمة : فى هذه الوصية يوصى الرسول ﷺ أمهات المؤمنين ، ويخبرهن من منهن التى تلحق به ، قبل غيرها .

قوله : « أسرعكن لحاقاً بى » أى من يلحق بى بعد موتى منكن .

وقوله : « أطولكن يداً » أراد أكثركن فى إعطاء الصدقات ، وهذا هو المعنى البعيد للعبارة ، أما المعنى القريب فهو الجارحة ، والمراد هو الأول هنا .

ومعنى الحديث : أنهن ظنن أن المراد بطول اليد الحقيقية ، وهى الجارحة ، فكن يذرعن أيديهن ـ أى يقسن ـ بقصبة ، فكانت أم المؤمنين سودة ـ رضى الله عنها ـ أطولهن جارحة ، وكانت أم المؤمنين زينب ـ رضى الله عنها ـ هى أطولهن يداً فى الصدقة ، وفعل الخيرات ، فماتت زينب ـ رضى الله عنها ـ أولهن ، فعلموا أن المراد طول اليد فى الصدقة والجود .

قال أهل اللغة ، يقال : فلان طويل اليد ، وطويل الباع ، إذا كان سمحاً ، جواداً ، وضده قصير اليد ، والباع .

وفى الحديث معجزة باهرة من معجزات النبى ﷺ ، وفيه كذلك منقبة من مناقب أم المؤمنين زينب رضى الله عنها .

---

(١) صحيح أخرجه البخارى (١٣٧/٢) بمعناه ، ومسلم (٨/١٦) واللفظ له ، وأخرجه الحاكم (٢٥/٤) وأخرجه بمعناه النسائى (٦٧/٥) ، وأحمد (١٢١/٦) ، والخطيب (١١٢/٢) فى تاريخ بغداد .

فلقد اتفق أهل السير والتراجم على أنها هى أول نسائه به لحوقاً ، وأنها توفيت فى خلافة عمر رضى الله عنه .

أختى المسلمة : هذه الوصية تعلمنا فضل الصدقة ، وأثرها ، وبركاتها ، ولقد علمنا النبى ﷺ أن من الصفات التى ينبغى للمرأة المسلمة أن تبتعد عنها ، وتنفر منها ، البخل ، وسوء الخلق والجبن ، فعن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « شَرُّ ما فى الرَّجُلِ شُحٌّ هَالِعٌ ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ »[1] .

شح هالع : أى جازع ، بمعنى شح يحمل المسلمة على الحرص على المال ، ويجعلها تجزع على ذهابه ، والشح بخل مع حرص ، فهو أبلغ فى المنع من البخل ، فالبخل يستعمل فى الصفة بالمال ، والشح فى كل ما يمنع النفس عن الاسترسال فيه ، من بذل مال ، أو معروف ، أو طاعة ، أما الهلع فهو أفحش من الجزع .

والمراد أنه تجزع فى شحها أشد الجزع على استخراج الحق منها .

أما « الجبن الخالع » : أى الشديد كأنها تخلع فؤادها من شدة خوفها ، والمراد به ما يعرض من أنواع الأفكار ، والتخيلات التى تضعف قلبها ، فكأن البخل يخلع منك القوة ، والمروءة ونحوهما .

واعلمى أختى المسلمة أنه لن ينصلح حالك فى هذه الدنيا إلا بأمرين : الزهد واليقين ، ولن تهلكى إلا إذا وقعت فى أمرين هما : البخل ، والأمل .

فعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « صَلاحُ أَوَّلِ هَذِهِ الأُمَّةِ بالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ ، وَيَهْلَكُ آخِرُها بِالْبُخْلِ وَالأَمَلِ »[2] .

فهلمى أختى المسلمة ، وأصلحى شأنك ، لتفوزى برضا ربك .

* * *

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه أبو داود (٣٥١١) ، وأحمد (٣٠٢/٢) ، وابن حبان (١٠٢/٥) ، وأبو نعيم (٥٠/٩) فى حلية الأولياء .

(٢) إسناده صحيح أخرجه أحمد (ص/١٠) فى الزهد ، وابن أبى الدنيا (٣) فى اليقين ، وعزاه السيوطى (٥١١٢) فى الجامع الصغير للبيهقى فى الشعب ، والطبرانى فى الأوسط ، وأورده الخطيب البغدادى (١٨٦/٧) فى تاريخه ، والتبريزى (٥٢٨١) فى المشكاة .

٢٨ الوصية بما تصل به المرأة إلي الثواب العظيم

عن ابن عباس عن جويرية أن النبى ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح ، وهى فى مسجدها ، ثم رجع بعد أن أضحى ، وهى جالسة ، فقال : « مازلت على الحال التى فارقتك عليها ؟ » قالت : نعم . قال النبى ﷺ : « لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ »[1] .

أختى المسلمة : إن التسابق فى الخيرات أمر ممتع ، وقد حدثنا القرآن الكريم عن هذا التسابق ، ودعا إليه بقوة ، فقال عز وجل : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾[2] . وما ذاك إلا لأن الحياة غير مأمونة ، والآجال غير معلومة ، والنهاية محتومة ، وما يمكن أن تقومى اليوم به ، قد يكون غير ممكن غداً ، واليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ، ولا عمل .

وإن الفرصة إذا لم تغتنمها المرأة المسلمة اليوم ، قد لا تتهيأ لك الأسباب غداً ، قال الشاعر :

ليس فى كل ساعة وأوان ... تتهيأ صنائع الإحسان

فإذا أمكنت فبادر إليها ... حذراً من تعذر الإحسان

وانطلاقاً مما سبق ينبغى للمرأة المسلمة أن توازن بين الأعمال ، وتنتظر جوامع الطاعات ، وكوامل العبادات ، وتقوم بتأديتها . وفى هذه الوصية يوصى الرسول ﷺ بكلمات لو قالتها المسلمة لحصلت على أجر جزيل . فلتتأمل فى تلك الوصية النبوية ، ولنتعلم منها . قوله : « وهو فى مسجدها » يعنى موضع صلاتها من سكنها ، وهى

---

(١) صحيح ، أخرجه مسلم (٤٤/١٧) ، وأبو داود (١٥٠٣) ، والترمذى (٣٦٢٦) وعنده زيادة ، والنسائى (٧٧/٣) ، وأحمد (٢٥٨/١ ، ٣٥٣) ، (٣٢٥/٦ ، ٤٣٠) .

(٢) سورة البقرة ، ١٤٨ .

جويرية بالتصغير . بنت الحارث الخزاعية من بنى المصطلق ، أم المؤمنين ، كان اسمها برة ، فغيره النبى ﷺ ، ثم تزوجها ، وماتت سنة خمسين هجرية على الصحيح .

قوله ﷺ : « سبحان الله وبحمده عدد خلقه » أى بعدد كل واحد من مخلوقاته ، وقال الإمام السيوطى : أى بعدد جميع مخلوقاته .

قوله : « ورضا نفسه » يعنى أسبحه قدر ما يرضاه ، وقال الإمام السيوطى : بمقدار رضا ذاته الشريفة ، أى بمقدار يكون سبباً لرضاه ، أو بمقدار يرضى به لذاته ، ويختاره ، فهو مثل ما جاء « ويملء ما شئت من شئ » . قوله : « وزنة عرشه » أى أسبحه بمقدار وزن عرشه ، ولا يعلم وزنه إلا الله تبارك وتعالى .

وقوله : « مداد كلماته » المعنى « سبحان الله مداد كلماته » هو بكسر الميم ، قيل معناه : مثلها في العدد ، وقيل مثلها : فى أنها لا تنفد ، وقيل : فى الثواب والمراد هنا مصدر بمعنى المدد وهو ما كثرت به الشئ .

قال العلماء : واستعماله هنا مجاز ، لأن كلمات الله تعالى ، لا تحصر بعد ، ولا بغيره ، والمراد المبالغة فى الكثرة ، لأنه ذكر أولاً ما يحصره العد الكثير من عدد الخلق ، ثم زنة العرش ، ثم ارتقى إلى ما هو أعظم من ذلك ، وعبر عنه بهذا ، أى : مالا يحصيه عد ، كما لا تحصى كلمات الله تعالى[1] .

أختى المسلمة : هذا الحديث دليل على فضل هذه الكلمات ، وأن قائلتها تدرك فضيلة تكرار القول كما ورد فى روايات الترمذى ، والنسائى ، ولا يتجه أن يقال إن مشقة من قال هكذا أخف من مشقة من كرر لفظ الذكر حتى يبلغ إلى مثل ذلك العدد ، فإن هذا باب منحه رسول الله ﷺ لعباد الله ، وأرشدهم ، ودلهم عليه ، تخفيفاً لهم ، وتكثيراً لأجورهم من دون تعب ، ولا نصب فلله الحمد .

فائدة : قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله فى فتاواه : قد يكون بعض الأذكار أفضل من بعض لعمومها ، وشمولها ، واشتمالها على جميع الأوصاف الذاتية ، والفعلية ، فيكون القليل من هذا النوع أفضل من الكثير من غيره ، كما جاء فى قوله ﷺ : « سبحان الله عدد خلقه » .

أختى المسلمة : إن أردت الأجر الجزيل ، والثواب العظيم ، فعليك بالمداومة على هذا الذكر بالليل والنهار ، تحشرين مع الأبرار ، وتدخلين الجنة ـ إن شاء الله ـ بسلام .

---

(١) شرح النووى على مسلم (١٧/٤٤ ـ ٤٥) ، وحاشية السيوطى على النسائى (٣/٧٧) ، وتحفة الأحوذى للمباركفورى (٩/٥٤٣) .

٢٩ وصية النساء أثناء السير في الطرقات

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَيْسَ لِلنِّسَاءِ وَسَطُ الطَّرِيقِ »[١] .

أختي المسلمة : الإسلام يريد للمرأة المسلمة أن تكون في أحسن حالٍ ، بعيدة عن الريبة ، ومظنة الشبهات .

وفي هذه الوصية النبوية للنساء المسلمات ، يوصي النبي ﷺ إياهن بأن يَسرن في جانبات الطريق ، وليس في وسطه .

وعندما تسير المسلمة في وسط الطريق ، فإنها حتماً ستعرض نفسها لنظرات الرجال ، وسيخلو سيرها من الهيبة والاحترام .

أما عندما تسير في جانبي الطريق بعيداً عن المنتصف ، فإنها تقلل من النظرات إليها ، وتبعد الريب عن نفسها ، فإنها قد خرجت في حجابها ، وسارت في احترام ، بعيداً عن كل شيء قد يجلب لها الشبهات .

أختي المسلمة ؛ ليس المراد كما تظن الكثيرات من المسلمات أن المراد من هذه الوصية وغيرها هو تقييد حركة المرأة ، أو التقليل من شأنها ، إن المراد هو تنظيم أمر خروج المرأة ، فالأصل أن تبقى المرأة في بيتهـا ، تنظر في شئونها ، ولا تخرج إلا لضرورة ، وإذا عملت فينبغي أن تعمل في نطاق ما أباحه الشرع الحنيف من أمور تخص بنات جنسها ، ونحوها .

---

(١) إسناده حسن . أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٤٧/٧) في سنده مسلم الزنجي فقيه صدوق ، كثير الأوهام ، قال الشيخ الألباني ـ حفظه الله ـ هذا سند حسن بما بعده ، فقد رواه الدولابي (٤٥/١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١/٤٧٥/٢) عن الحارث بن الحكم عن أبي عمرو بن حماس مرفوعاً به إلا أنه قال : « سراة الطريق » . قلت : وهذا مرسل ابن حماس ، قال الحافظ : مقبول . والحارث بن الحكم ترجمه ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٧٣/٢/١) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً . وقد خالفه شداد بن أبي عمرو فقال : عن أبيه عن حمزة الأنصاري عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ، وهو خارج من المسجد ، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله ـ ﷺ ـ للنساء « استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق عليكن بحافات الطريق » ، أخرجه أبو داود (٥٢٧٢) ، والهيثم بن كليب في مسنده (ق١/١٩٠) لكن شداد هذا مجهول ، وبالجملة فالحديث حسن بمجموع الطريقين ، والله أعلم .

أما أن تخرج المرأة المسلمة متبرجة ، وتسير في الطرقات ، وتختلط بالرجال ، وتزعم أنها تعمل وتكتسب ، فهذا أمر يحتاج منها إلى وقفة طويلة ، تحاسب فيها نفسها ، أين دينها الذي ضاع بالحديث مع الرجال في أمور لا تمت بصلة للعمل ؟ بل أين العمل الذي ينبغي لها أن تتسابق عليه مما ينفع أطفال المسلمين ، أو بنات جنسها ؟!! إن المرأة اليوم تتخذ العمل وسيلة لكفاية نفسها أمور دنياها ، ولم تعلم أن هذا ينبغي ألا يكون إلا في نطاق عمل لا يغضب ربها ، ويجلب عليها سخطه .

فهذه الوصية النبوية فيها تحذير للنسوة من السير في منتصف الطريق ، وهذا التحذير كان في عصر لا تخرج فيه إلا لصلاة ، أو قضاء حوائج لاغنى لها عنها .

فما بالك أختي المسلمة لو نظر الرسول ﷺ إلى نسوة اليوم ، ورأى لهوهن مع الرجال في الطرقات ، ورأى تلك الأعمال التي تقوم بها المرأة اليوم ، فماذا يقول ؟!!

نسأل الله السلامة والهداية .



٣٠ الوصية بالرقية من العين

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : دخل النبي ﷺ فسمع صوت صبي يبكي ، فقال : « ما لصبيكم هَذَا يبكي فَهَلا استَرقَيتم لَهُ مِنَ العين »[1] .

أختي المسلمة : الرقية هي ما يعالج به المريض من أدعية ، مشتملة على ذكر الله ، وأسمائه الحسنى ، وصفاته المثلى ، وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط :

١ ـ أن تكون بكلام الله ، أو بأسمائه ، أو بصفاته .

٢ ـ أن تكون باللفظ العربي المفهوم ، وما يعرف معناه ، لأن ما لا يفهم ، لا يؤمن أن يكون فيه شيء من الشرك .

٣ ـ أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها ، بل بتقدير الله تعالى .

---

(١) إسناده حسن . أخرجه أحمد (٧٢/٦) وفي سنده عبد الله بن عبد الله بن أويس ، قال الحافظ : أبو أويس المدني ، قريب مالك ، صدوق يهم ، من السابعة ، أخرج له مسلم والأربعة ، مات سنة ١٦٧ هـ . التقريب (٤٢٦/١) .

ولقد كان العرب قبل الإسلام يرقون ، ولكن كانت الرقى مكونة من أقوال لا تعرف ، وكلمات غريبة ، أشبه بما يستخدمه الكهان ، والسحرة .

فلما جاء الإسلام أقر مبدأ الرقى على أساس أن تخلو الرقية من كل شركٍ .

فعن عوف بن مالك الأشجعي ـ رضى الله عنه ـ قال : كنا نرقي في الجاهلية ، فقلنا : يا رسول الله ، كيف ترى في ذلك . فقال : « اعرِضُوا علَىَّ رُقَاكُمْ ، لا بأسَ بالرُّقى مَالَمْ يكُنْ فِيهِ شِرْكٌ »[1] .

فدل هذا الحديث أنه ما كان من الرقى يؤدى إلى الشرك يمنع ، وما لا يعقل معناه ، لا يؤمن أن يؤدى إلى الشرك ، فيمتنع عنه احتياطاً ، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقى به ، فضلا عن أن يدعو به ، ولو عرف معناه ، لأنه يكره الدعاء بغير العربية ، وإنما يرخص لمن لا يحسن العربية ، فأما جعل الألفاظ الأعجمية شعاراً ، فليس من دين الإسلام .

أختي المسلمة : قد تقرأين عن أحاديث نبوية تنهى عن الرقى ، وقد خصص ذلك العلماء بما كان من الرقى التي بها شرك .

قال الإمام الخطابي رحمه الله : كان عليه الصلاة والسلام قد رقى ورقى ، وأمر بها ، وأجازها ، فإذا كانت بالقرآن ، وبأسماء الله فهي مباحة ، أو مأمور بها ، وإنما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب ، فإنه ربما كان كفراً ، أو قولا يدخله شرك ، وفي هذه الوصية نرى أن صبياً من أولاد المسلمات يبكي ، فيرشدهم الرسول ﷺ إلى الرقية .

أختي المسلمة : الإصابة بالعين الحاسدة أمر من الأمور الحقيقية التي لا تنكرها إلا مجادلةٍ ، أو جاهلة ، فعن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « العَيْنُ حَق »[2] ومعناه : أي الإصابة بالعين شيء ثابت موجود ، أوهو من جملة ما تحقق كونه ، ولقد أخذ الجمهور بظاهر الحديث ، وأنكره طوائف المبتدعة لغير معنى ، لأن كل شيء ليس محالاً في نفسه ، ولا يؤدى إلى قلب حقيقة ، ولا إفساد دليل ، فهو من متجاوزات العقول ، فإذا أخبر الشرع بوقوعه لم يكن لإنكاره معنى ، وهل من فرق بين إنكارهم هذا ، وإنكارهم ما يخبر به من أمور الآخرة .

أختي المسلمة : مذهب أهل السنة أن العين إنما تفسد ، وتهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى ، أجرى الله سبحانه وتعالى العادة أن يخلق الضرر عند مقابلة هذا

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه مسلم (١٨٧/١٤) ، وأبو داود (٣٨٨٦) .

(٢) أخرجه البخاري (١٧١/٧) ، ومسلم (١٧٠/١٤) ، وأبو داود (٣٨٧٩) ، والترمذي (٢١٤٠) ، وأحمد (٢٧٤/١ ، ٢٩٤) .

الشخص لشخص آخر ، بل إن أثر العين من شدته ، كاد أن يسبق القدر .

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : « الْعَيْنُ حقٌّ ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا »[1] .

والمعنى : أى لو أمكن أن يسبق شئ القدر فى إفناء شئ ، وزواله قبل أوانه المقدر له « لسبقته » أى القدر « العين » لكنها لا تسبق القدر ، فإن الله تعالى قدر المقادير قبل الخلق .

قال الحافظ : جرى الحديث مجرى المبالغة فى إثبات العين ، لا أنه يمكن أن يرد القدر شئ ، إذ القدر عبارة عن سابق علم الله ، وهو لاراد لأمره ، وحاصله : لو فرض أن شيئاً له قوة بحيث يسبق القدر لكان العين ، لكنها لا تسبق فكيف غيرها ؟.

وقد أخرج البزار من حديث جابر بسند حسن عن النبى ﷺ قال : « أكثرُ مَنْ يَموتُ مِن أمتى بَعْدَ قضاء الله وَقَدَرِه بالأنفسِ » .

قال الراوى : يعنى بالعين[2] ، وقال الإمام النووى رحمه الله : وفيه - أى الحديث - إثبات القدر ، وهو حق بالنصوص ، وإجماع أهل السنة ، ومعناه : أن الأشياء كلها بقدر الله تعالى ، ولا تقع إلا على حسب ما قدرها الله تعالى ، وسبق بها علمه ، فلا يقع ضرر العين ، ولا غيره من الخير والشر إلا بقدر الله تعالى ، وفيه صحة أمر العين ، وأنها قوية الضرر ، والله أعلم[3] . انتهى .

وقوله : « إذا استغسلتم » بصيغة المجهول ، أى إذا طلبتم للاغتسال .

وقوله : « فاغسلوا » أطرافكم عند طلب المعيون ذلك من العائن ، وصفة وضوء العائن عند العلماء : أن يؤتى بقدح ماء ، ولا يوضع القدح على الأرض ، فيأخذ منه غرفة فيتمضمض بها ، ثم يمجها فى القدح ، ثم يأخذ منه ماء يغسل وجهه ، ثم يأخذ بشماله ماء يغسل به كفه اليمنى ، ثم بيمينه ماء يغسل به مرفقه الأيسر ، ولا يغسل ما بين المرفقين والكعبين ، ثم يغسل قدمه اليمنى ، ثم اليسرى على الصفة المتقدمة ، وكل ذلك فى القدح ، ثم داخلة إزاره ، وهو الطرف المتدلى الذى يلى حقوه الأيمن ، وقد ظن بعضهم أن داخلة الإزار كناية عن الفرج ، وجمهور العلماء على ما قدمناه ، فإذا استكمل هذا صبه من خلفه على رأسه ، وهذا المعنى لا يمكن تعليله ، ومعرفة

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (١٤/١٧١) ، والترمذى (٢١٤١) ، وابن ماجه (٣٥١٠) ، وأحمد (١/٢٥٤ ، ٢٤٧ ، ٢٦٠) .

(٢) فتح البارى (١٠/٢٠٣ - ٢٠٤) .

(٣) شرح النووى على مسلم (١٤/١٧٤) .

وجهه ، وليس في قوة العقل الاطلاع على أسرار جميع المعلومات ، فلا يدفع هذا بأن لا يعقل معناه .

وقد جاء في حديث سهل بن حنيف من رواية مالك في صفته أنه قال للعائن : « اغتسل له » فغسل وجهه ، ويديه ، ومرفقيه ، وركبتيه ، وأطراف رجليه ، وداخلة إزاره ، وفي رواية « فغسل وجهه ، وظاهر كفيه ، ومرفقيه ، وغسل صدره ، وداخلة إزاره ، وركبتيه ، وأطراف قدميه ، ظاهرهما في الإناء » .

قال القاضي : في هذا الحديث من الفقه ما قاله بعض العلماء أنه ينبغي إذا عرف أحد الإصابة بالعين أن يجتنب ، ويتحرز منه ، وينبغي للإمام منعه ، من مداخلة الناس ، ويأمره بلزوم بيته ، فإن كان فقيراً رزقه ما يكفيه ، ويكف أذاه عن الناس ، فضرره أشد من ضرر آكل الثوم والبصل الذى منعه النبي ﷺ دخول المسجد لئلا يؤذى المسلمين ، ومن ضرر المجذوم الذى منعه عمر ـ رضي الله عنه ـ وضرر المؤذيات من المواشي التي يؤمر بتغريبها إلى حيث لا يتأذى بها أحد ، وهذا الذى قاله هذا القائل صحيح متعين ، ولا يعرف عن غيره تصريح بخلاف ، والله أعلم[1] . انتهى .

أختي المسلمة : لقد علمت الآن كيف يعالج من أصيب بالعين ، ولكن كما يقول الأطباء : الوقاية خير من العلاج ، والوقاية هنا هي أن تقومي باستعمال الرقية من حين إلى آخر ، ولقد كان النبي ﷺ إذا اشتكي رقاه جبريل عليه السلام ، فعن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت : « كَانَ إِذَا اشْتَكَي رَسُولُ الله ﷺ رَقَاهُ جِبْرِيلُ ، قال : بِسْمِ الله يُبْرِيكَ ، وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ، وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ »[2] .

قال الإمام النووي رحمه الله : هذا تصريح بالرقى بأسماء الله تعالى ، وفيه توكيد الرقية ، والدعاء .

وعن أبي سعيد أن جبريل أتي النبي ﷺ فقال : « يَامُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ ؟ » فقال : « نَعَمْ » . قال : « بِسْمِ الله أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ ، أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ ، الله يَشْفِيكَ ، بِسْمِ الله أَرْقِيكَ »[3] .

فإليك أختي المسلمة بعض الرقى التي علمنا إياها الرسول ﷺ :

---

(١) المصدر السابق (١٧٢/١٤ ـ ١٧٣) .

(٢) صحيح . أخرجه مسلم (١٦٩/١٤) ، وأحمد (١٦٠/٦) .

(٣) صحيح . أخرجه مسلم (١٧٠/١٤) ، وابن ماجه (٣٥٢٣) .

١ ـ عن عبد العزيز بن صهيب قال : دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ فقال ثابت : يا أبا حمزة اشتكيت ، فقال أنس : ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ ؟! قال : بلى . قال : « اللهم رب الناس ، مذهب البأس ، اشف أنت الشافي ، لا شافي إلا أنت ، شفاء لا يغادر سقماً »[١] .

٢ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : كان النبي ﷺ يقول في الرقية : « بسم الله تربة أرضنا ، بريقة بعضنا ، يشفى سقيمنا بإذن ربنا »[٢] .

وفي رواية : عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه ، أو كانت به قرحة ، أو جرح ، قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا ، ووضع سفيان سبابته بالأرض ، ثم رفعها : « بسم الله تربة أرضنا ، بريقة بعضنا ، ليشفى به سقيمنا بإذن ربنا »[٣] .

قوله : « تربة أرضنا » خبر مبتدأ محذوف ، أي هذه تربة ، وقوله : « بريقة بعضنا » يدل على أنه كان يتفل عند الرقية ، قال الإمام النووي : معنى الحديث أنه أخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة ثم وضعها على التراب فعلق به شيء منه ، ثم مسح به الموضع العليل ، أو الجريح ، قائلا الكلام المذكور في حالة المسح ، وقال الإمام القرطبي : فيه دلالة على جواز الرقى من كل الآلام ، وأن ذلك كان أمراً فاشياً معلوماً بينهم ، قال : ووضع النبي ﷺ سبابته بالأرض ، ووضعها عليه يدل على استحباب ذلك عند الرقية ، وزعم بعض علمائنا أن السر فيه أن تراب الأرض لبرودته ، ويبسه يبرئ الموضع الذي به الألم ، ويمنع انصباب المواد إليه ليبسه مع منفعته في تجفيف الجراح ، واندمالها قال : وقال في الريق : إنه يختص بالتحليل ، والانضاج ، وإبراء الجرح ، والورم ، لا سيما من الصائم الجائع ، وتعقبه القرطبي : أن ذلك إنما يتم إذا وقعت المعالجة على قوانينها من مراعاة مقدار التراب ، والريق ، وملازمة ذلك في أوقاته ، وإلا فالنفث ، ووضع السبابة على الأرض ، إنما يتعلق بها ما ليس له بال ، ولا أثر ، وإنما هذا من باب التبرك بأسماء الله تعالى ، وآثار رسوله ، وأما وضع الإصبع بالأرض ، فلعله لخاصية في ذلك ، أو لحكمة إخفاء آثار القدرة بمباشرة الأسباب المعتادة ، وقال البيضاوي : إن الرقى لها آثار عجيبة تتقاعد العقول عن الوصول إلى كنهها ، وقال التوربشتي : كأن المراد بالتربة الإشارة إلى فطرة آدم ، والريقة الإشارة إلى النطفة ، كأنه تضرع بلسان الحال إنك اخترعت الأصل الأول من التراب ، ثم أبدعته منه من ماء

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (١٧١/٨٧) ، ومسلم (١٨٠/١٤ ـ ١٨١) من حديث عائشة وأبو داود (٣٨٩٠) . .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (١٧٢/٧) .

(٣) صحيح أخرجه مسلم (١٨٣/١٤) بلفظه ، والبخاري (١٧٢/٧) بمعناه .

مهين ، فهين عليك أن تشفى من كانت هذه نشأته ، وقال النووى : قيل المراد بأرضنا أرض المدينة خاصة لبركتها ، وبعضنا رسول الله ﷺ لشرف ريقه ، فيكون ذلك مخصوصاً ، وتعقبه الحافظ بقوله : فيه نظر [1]. وانتهى .

٣ ـ الرقية بأم الكتاب الفاتحة : يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : إذا ثبت أن لبعض الكلام خواص ، ومنافع ، فما الظن بكلام رب العالمين ؟!! ثم بالفاتحة التى لم ينزل فى القرآن ، ولا غيره من الكتب مثلها ، لتضمنها جميع معانى الكتاب ، فقد اشتملت على ذكر أصول أسماء الله ، ومجامعها ، وإثبات المعاد ، وذكر التوحيد ، والافتقار إلى الرب فى طلب الإعانة به ، والهداية منه ، وذكر أفضل الدعاء ، وهو طلب الهداية إلى الصراط المستقيم ، المتضمن كمال معرفته ، وتوحيده ، وعبادته بفعل ما أمر به ، واجتناب ما نهى ، والاستقامة عليه ، ولتضمنها ذكر أصناف الخلائق ، وقسمتهم إلى منعم عليه ، لمعرفته بالحق ، والعمل به ، ومغضوب عليه ، لعدوله عن الحق بعد معرفته ، وضال لعدم معرفته له مع ما تضمنته من إثبات القدر والشرع والأسماء والمعاد ، وتزكية النفس ، وإصلاح القلب ، والرد على جميع أهل البدع ، وحقيق بسورة هذا بعض شأنها ، أن يستشفى بها من كل داء ، والله أعلم .

٤ ـ الرقية بالمعوذتين : عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ : « كَانَ إذا اشتكى يقرأ علَى نفسه بالْمُعوِّذَات ، وينْفُثُ ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ ، كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْه ، وَأَمْسَحُ عنه بيده ، رجاء بَركتها »[2] .

قال الإمام النووى : وفى هذا الحديث استحباب الرقية بالقرآن ، وبالأذكار ، وإنما رقى بالمعوذات ، لأنهن جامعات للاستعاذة من كل المكروهات جملة ، وتفصيلاً ، ففيها الاستعاذة من شر ما خلق فيدخل فيه كل شئ ، ومن شر النفاثات فى العقد ، ومن السواحر ، ومن شر الحاسدين ، ومن شر الوسواس الخناس .

٥ ـ آية الكرسى : أختى المسلمة هذه الآية الكريمة لها شأن عظيم ، فبها تفوزين برضا الرحمن ، وبها تنجين من الشياطين والجان .

٦ ـ عن عثمان بن أبى العاص الثقفى ـ رضى الله عنه ـ أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده فى جسده ، منذ أسلم ، فقال له رسول الله ﷺ : « ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذى تَألَّمَ من جَسَدِكَ ، وَقُلْ بِسْمِ الله ثَلاثاً ، وَقُلْ سبعَ مرَّاتٍ ، أعُوذُ بالله وَقُدْرَته من شَرِّ ما أجِدُ ، وأُحَاذِرُ »[3] . قال : ففعلت ، فأذهب الله ما كان بى ، فلم أزل آمر به أهلى ، وغيرهم .

---

(١) فتح البارى (٢٠٨/١٠) .

(٢) صحيح . أخرجه البخارى (١٧٠/٧) بنحوه ، ومسلم (١٨٢/١٤) .

(٣) صحيح أخرجه مسلم (١٨٩/١٤) ، وأبو داود (٣٨٩١) ، والترمذى وقال : حسن صحيح .

أختي المسلمة : هذا دواء من أدوية النبي ﷺ ، ولأنه من الأدوية الإلهية ، والطب النبوي لما فيه من ذكر الله ، والتفويض إليه ، والاستعاذة بقدرته وعزته ، وتكراره يكون أنجح ، وأبلغ كتكرار الدواء الطبيعي ، لاستقصاء إخراج الدواء ، وفي السبع خاصية لا توجد في غيرها .

٧ ـ رقية إبراهيم ـ عليه السلام ـ لابنيه : عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ، ويقول : « إنَّ أبَاكُمَا كان يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيل ، وإسحَاق : أعوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّة ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ »[1] .

قوله : « إن أباكما » يريد إبراهيم ـ عليه السلام ـ وسماه أبا ، لكونه جداً أعلى قوله : « بكلمات الله » قيل : المراد بها كلامه على الإطلاق ، وقيل : أقضيته ، وقيل : ما وعد به كما قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[2] .

والمراد بها قوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ﴾[3] .

المراد بالتامة الكاملة ، وقيل : النافعة ، وقيل : الشافية ، وقيل : المباركة ، وقيل : القاضية التي تمضي ، وتستمر ، ولا يردها شيء ، ولا يدخلها نقص ، ولا عيب .

قال الإمام الخطابي رحمه الله : كان أحمد ـ يعني ابن حنبل ـ يستدل بهذا الحديث على أن كلام الله غير مخلوق ، ويحتج بأن النبي ﷺ لا يستعيذ بمخلوق .

قوله : « من كل شيطان » يدخل تحته شياطين الإنس ، والجن[4] ، قوله : « وهامة » قال الخطابي : إحدى الهوام ذوات السموم ، كالحية ، والعقرب ، ونحوهما ، وقوله : « ومن كل عين لامة » أي : ذات لَمَم ، وهو كل ما يلمّ بالإنسان من خبلٍ ، وجنون ، ونحوهما .

ويقال : الهوام : الحيات ، وكل ذي سم يقتل ، فأما مالا يقتل ، ويسم ، فهي السوام ، مثل العقرب ، والزنبور ، ومنها القَوَامّ مثل ، القنافذ ، والخنافس ، واليرابيع ، والفأر ، وقد تقع « الهامة » على ما يدب من الحيوان[5] . انتهى .

وهكذا أختي المسلمة عشنا مع وصية الرسول ﷺ التي تعلمنا منها ما نسأل ربنا أن ينفعنا به في الدنيا ، والآخرة ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) صحيح ، أخرجه البخاري (١٧٩/٤) .

(٢) سورة الأعراف : ١٣٧ .

(٣) سورة القصص : ٥ .

(٤) فتح الباري : (٤١٠/٦) .

(٥) نقلا عن شرح السنة للبغوي (٢٢٦/٥) .



الوصية بما يصلح شأن المرأة كله

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ لفاطمة ـ رضي الله عنها ـ : « ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أنْ تَقُولي إذَا أصبحت ، وإذَا أمسيت : يَاحَيُّ يَاقيومُ برحمتِك استغيثُ ، أصْلحْ لِي شَأنِي كله ، ولَا تكلني إلى نفسِي طرفة عينٍ »[1] .

أختي المسلمة : هذه هي وصية الرسول ﷺ لابنته الغالية ، الطاهرة فاطمة ـ رضي الله عنها ـ لقد أوصاها الرسول ﷺ بوصية من وصاياه الغالية ، ولكنه وجدها قد نسيت العمل بهذه الوصية ، أو وجدها لم تعمل بها في وجوده ، فتساءل ﷺ قائلاً : « ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به ؟! » ثم من حبه لها ، وعاطفته ، وشفقته عليها ، يذكرها مرة ثانية بهذه الوصية « أن تقولي إذا أصبحت ، وإذا أمسيت » . إذن فبهذه الوصية تقولها فاطمة ـ رضي الله عنها ـ بالليل والنهار ، وكذلك ينبغي لكل مسلمة أن تقولها . وهنا يدور في الأذهان ، يا ترى ماذا سيقول الرسول ﷺ ؟! ونأتي الإجابة الجامعة ، الشافية : « يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث » .

« يا حي » من أسمى صفات الذات الإلهية ، ورد في القرآن الكريم في صفة الله جل ثناؤه خمس مرات .

قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله : « الحي » في صفة الله سبحانه وتعالى ، هو الذى لم يزل موجوداً ، وبالحياة موصوفاً ، لم تحدث له الحياة بعد موت ، ولا يعترضه الموت بعد الحياة ، وسائر الأحياء يعتورهم الموت ، والعدم في أحد طرفي الحياة ، أو فيهما معاً .

وقال العلامة الحليمي رحمه الله : إنما يقال ذلك ـ يعني يا حي ـ لأن الفعل على سبيل الاختيار ، لا يوجد إلا من حي ، وأفعال الله جل ثناؤه كلها صادرة عنه باختياره ، فإذا أثبتناها له ، فقد أثبتنا أنه حياة[2] .

---

(1) إسناده حسن . أخرجه الحاكم (٥٤٥/١) ، في إسناده زيد بن الحباب ، قال الحافظ : هو صدوق يخطئ في حديث الثوري ، أخرج له مسلم والأربعة ، مات سنة ٢٠٣ هـ ، والتقريب (٢٧٣/١) ، وعزاه السيوطي (٧٣٥/١) في الجامع الكبير للنسائي ، ولم أجده في الصغرى ، فلعله في الكبرى ، أو عمل اليوم والليلة ، وابن السني ، والحاكم ، والبيهقي في الشعب ، والضياء في المختارة كلهم من حديث أنس رضي الله عنه .

(2) المنهاج (١٩١/١) .

« يا قيوم » من أسمى صفات الفعل ، ويختص بإدامة الخلق على الأوصاف ، ولقد ورد لفظ « القيوم » عز وجل ، في القرآن ثلاث مرات في صفة الله عز وجل .

وقال الإمام الحليمي : إنه القائم على كل شيء من خلقه ، يدبره بما يريد ، جل وعلا[1] .

وقال الإمام الخطابي : « القيوم » القائم الدائم بلا زوال ، ووزنه فيعول من القيام ، وهو نعت للمبالغة في القيام على كل شيء ، فكأن المرأة المسلمة عندما تقول « يا حي يا قيوم » استغاثت بما لديه الحياة لا بيد من سواه ، والقادر على القيام بشئون عباده ولا يقدر على ذلك سواه .

« برحمتك استغيث » رحمة الله وسعت كل شيء ، خلقها مائة جزء ، أنزل منها جزءا واحداً إلى دار الدنيا ، فيه يتراحم الخلائق ، والأنعام ، والدواب ، وأبقى الباقي إلى يوم القيامة ، ليرحم به عباده .

« أصلح لي شأني كله » أصلح لي كل أموري ، أصلح لي معاشي في دنياي ، أصلح لي معادي في آخرتي ، أصلح لي صحتي ، أصلح لي رزقي ، أصلح لي ذريتي ، أصلح لي أقاربي ، أصلح لي جيراني ، أصلح لي أصدقائي ، يالها من عبارة عظيمة ، تحوي معانٍ جليلة ، ولم لا ؟!! أليس قائلها هو من أوتي جوامع الكلم .

« ولا تكلني إلى نفسي طرفة » لا تدعني ، ولا تتركني ، لا تسلمني إلى نفسي إنها مليئة بالعيوب ، إنها صاحبة الذنوب ، إنها الأمارة بالسوء ، فكن لي يا إلهي مؤيداً ، ومن نفسي لي ناصراً .

وهكذا أختي إن وصلت إلى الفوز بهذا الدعاء ، واستجاب الله لك ، فقد انصلح شأنك كله ، وهل هناك من مطلب لك إلا صلاح الحال في الدنيا ، والآخرة ؟!!

إنها وصية يجدر بك أختي المسلمة أن تعي ما فيها ، وتعملي بها ، فما أيسرها في العمل ، وما أعظمها في الأجر والميزان .

فنسأل الله صلاح الحال في الدنيا والآخرة ، إنه على ما يشاء قدير .

* * *

---

(١) السابق (٢٠٠/١) .

٣٢ الوصية بحسن العلاقة بين الأختين

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال : « لاَ يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تَسْأَلُ طَلاَقَ أختِهَا ، لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا ، فَإِنَّمَا لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا »[١] . وفى رواية : « لا تَسْأَلِ الْمَرْأَةُ طَلاَقَ أختِهَا لِتَسْتَكْفِئَ بِهِ مَا فِي صَحْفَتِهَا »[٢] .

أختى المسلمة : هذه وصية من وصايا الرسول ﷺ لبنات حواء ، يُراد بها أن تقوى العلاقة بين المسلمة وأختها ، ويراد منها أن تخرج الشحناء ، والبغضاء من المسلمة على أختها ، حقاً إنها وصية تستحق التأمل فهلمى بنا نتأمل ما فيها .

قوله : « لا يحل » ظاهر فى تحريم ذلك ، وهو محمول على ما إذا لم يكن هناك سبب يجوز ذلك ، كريبة فى المرأة لا ينبغى معها أن تستمر فى عصمة الزوج ، ويكون ذلك على سبيل النصيحة المحضة ، أو لضرر يحصل لها من الزوج ، أو للزوج منها ، أو يكون سؤالها ذلك بعوض ، وللزوج رغبة فى ذلك ، فيكون كالخلع مع الأجنبى إلى غير ذلك من المقاصد المختلفة .

وقال ابن حبيب رحمه الله : حمل العلماء هذا النهى على الندب ، فلو فعل ذلك لم يفسخ النكاح . وتعقبه ابن بطال : بأن نفى الحل صريح فى التحريم ، ولكن لا يلزم منه فسخ العقد ، وإنما فيه التغليظ على المرأة أن لا تسأل طلاق الأخرى ، ولترضى بما قسم الله لها[٣] . انتهى . قوله : « أختها » معنى هذا الحديث نهى المرأة الأجنبية أن تسأل رجلاً طلاق زوجه ، وأن يتزوجها هى فيصير لها من نفقته ، ومعروفه ، ومعاشرته ، ما كان للمطلقة ، فعبر عن ذلك بقوله : « تكتفى ما فى صحفتها » المراد بأختها غيرها سواء كانت أختها من النسب ، أو الرضاع ، أو الدين ، ويلحق بذلك الكافرة فى الحكم ، وإن لم تكن أختاً فى الدين ، إما لأن المراد الغالب ، أو أنها أختها فى الجنس الآدمى . وحمل ابن عبد البر الأخت هنا على الضرة ، فقال : فيه من الفقه أنه لا ينبغى

---

(١) صحيح أخرجه البخارى (٢٦/١) ، ومسلم (١٩٨/٩) ، وأبو داود (٢١٧٦) ، وأحمد (٢٣٨/٢ ، ٣١١ ، ٤١٠ . ٤٨٩ ، ٥٠٨ ، ٥١٦) .

(٢) صحيح . أخرجه مسلم (١٩٩/٩) ، والنسائى (٢٥٩/٧) .

(٣) فتح البارى (٢٢٠/٩) .

أن تسأل المرأة زوجها أن يطلق ضرتها لتنفرد به ، وهذا يمكن فى الرواية التى وقعت بلفظ « لا تسأل المرأة طلاق أختها » .

وأما الرواية التى فيها لفظ الشرط فظاهرها أنها فى الأجنبية ، ويؤيده قوله « ولتنكح » أى ولتتزوج الزوج المذكور من غير أن تشترط أن يطلق التى قبلها ، وعلى هذا ، فالمراد بالأخت هنا ، الأخت فى الدين ، ويؤيده زيادة ابن حبان فى آخره من طريق أبى كثير عن أبى هريرة بلفظ : « لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها ، فإن المسلمة أخت المسلمة » .

ونقل الخلاف عن الأوزاعى ، وبعض الشافعية أنه مخصوص بالمسلمة ، قوله : « لتستفرغ صحفتها » يفسر المراد بقوله « تكتفئ » وهو بالهمز افتعال من كفأت الإناء إذا قلبته ، وأفرغت ما فيه ، وكذا يكفأ ، وهو بفتح أوله ، وسكون الكاف وبالهمز ، وجاء أكفأت الإناء إذا أملته ، وهو فى رواية ابن المسيب « لتكفئ » بضم أوله من أكفأت ، وهى بمعنى أملته ، ويقال : بمعنى أكببته أيضاً ، والمراد بالصحفة ما يحصل من الزوج كما تقدم من كلام النووى وقال صاحب النهاية : الصحفة إناء كالقصعة المبسوطة ، وقال : وهذا مثل ، يريد الاستئثار عليها بحظها ، فيكون كمن قلب إناء غيره فى إنائه ، وقال الطيبى : هذه استعارة مستملحة تمثيلية ، شبه النصيب ، والبخت بالصحفة وحظوظها ، وتمتعاتها بما يوضع فى الصحفة من الأطعمة اللذيذة ، وشبه الافتراق المسبب عن الطلاق باستفراغ الصحفة عن تلك الأطعمة ، ثم أدخل المشبه فى جنس المشبه به ، واستعمل فى المشبه ما كان مستعملاً فى المشبه به .

قوله : « فإنما لها ما قدر لها » إشارة إلى أنها وإن سألت ذلك ، وألحت فيه ، واشترطته فإنه لا يقع من ذلك إلا ما قدره الله ، فينبغى أن لا تتعرض هى لهذا المحذور الذى لا يقع منه شئ بمجرد إرادتها وهذا مما يؤيد أن الأخت من النسب ، أو الرضاع لا تدخل فى هذا[1] ، والله أعلم .

وهكذا أختى المسلمة تنتهى هذه الوصية التى أراد الرسول ﷺ أن يعلم إياها المسلمات ، حتى تكون العلاقة بين المسلمة وأختها فى أحسن حالٍ ، وعلى خير دائماً .

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) فتح البارى (٩ / ٢٢٠) .



٣٣ وصية الرسول ﷺ بمعرفة فضل عائشة

عن عـروة بن الزبير قال : كان الناس يتحرون بهـداياهم يوم عائشة . قالت عائشة : فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة ، فقلن : يا أم سلمة ، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، وإنا نريد الخير ، كما تريده عائشة فمري رسول الله ﷺ : أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث ما كان ، أو حيث ما دار .

قالت : فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ ، قالت : فأعرض عني ، فلما عاد إلي ذكرت له ذلك ، فأعرض عني ، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال : « يَا أُمَّ سَلَمَةَ لا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ ، فَإِنَّهُ وَاللهِ مَا نَزَلَ عَلَى الْوَحْيُ ، وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنكُنَّ غَيْرِهَا »(١) .

أختي المسلمة : عائشة ـ رضي الله عنها ـ هي الصديقة بنت الصديق ، وأمها أم رومان . وكان مولدها في الإسلام قبل الهجرة بثمان سنين أو نحوها .

ومات النبي ﷺ ولها نحو ثمانية عشر عاماً ، وقد حفظت عنه شيئاً كثيراً ، وعاشت بعده قريباً من خمسين سنة ، فأكثر الناس الأخذ عنها ، ونقلوا عنها من الأحكام ، والآداب شيئاً كثيراً ، حتى قيل : إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها ـ رضي الله عنها ـ وكان موتها في خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين ، وقيل : في التي بعدها . ولم تلد للنبي ﷺ شيئاً ، وسألته أن تكتني فقال: اكتني بابن أختك ، فاكتنت بأم عبد الله .

وفي هذه الوصية التي بين أيدينا يتجلى لنا بعض الفضائل ، والمناقب التي تختص بها ـ رضي الله عنها ـ وسوف نتأمل في هذه الوصية على أمل الفوز بالحشر معها ، فإن من عرف فضل قوم أحبهم ، ومن أحب قوماً ، فإنه يحشر معهم يوم القيامة .

قوله : « كان الناس يتحرون » من التحري ، وهو القصد ، والاجتهاد في الطلب والعزم ، على تخصيص الشيء بالفعل ، والقول .

قوله : « بهداياهم يوم عائشة » أي يوم نوبتها لرسول الله ﷺ ، يبتغون بذلك مرضاة رسول الله ﷺ ، لما يرون من حب النبي ﷺ إياها أكثر من حبه غيرها .

(١) صحيح . أخرجه البخاري (٣٧/٥) ، والترمذي (٣٩٦٦) ، والنسائي (٦٨/٧) .

قولها : « فاجمع صواحبي » أرادت بهن بقية أزواج النبي ﷺ اللاتي كن يرين هذا الأمر ، وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة ، فإذا كان عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخرها حتى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة ، فاجتمعت النسوة عند أم سلمة ، وقلن لها كلمي رسول الله ﷺ ، ومرادهن أن يأمر النبي ﷺ الناس أن يهدوا إليه حيث كان كما جاء في الرواية ، قال السيوطي رحمه الله : ولا يخفى أن هذا الكلام لا يليق بصاحب المروءة ذكره في المجلس ، فطلبهن من النبي ﷺ أن يذكر للناس مثل هذا الكلام إما : لعدم تفطنهن لما فيهن من شدة الغيرة ، أو هو كناية عن التسوية بينهن في المحبة بألطف وجه لأن منشأ تحرى الناس زيادة المحبة لعائشة فعند التسوية بينهن في المحبة ، يرتفع التحرى من الناس ، فكأنه إذا ساوى بينهن في المحبة ، فقد أمرهم بعدم التحرى ، والله تعالى أعلم[1] .

قوله : « يأمر الناس » يعني يهدون إليه أين ما كان ، أي من حجرات الأمهات ، ومرادهن أنه لا يقع التحرى في ذلك لا لهن ، ولا لغيرهن ، بل بحسب ما يتفق الأمر فيهن ، ليرتفع التمييز الباعث للغيرة عنهن . قولها : « فذكرت ذلك أم سلمة » أي لرسول الله ﷺ « فأعرض عنها » ثم أعادت الكرة مرة ثانية ، « فأعرض عنها » وفي الثالثة قال لها : « لا تؤذيني في عائشة » أي في حقها ، « فإنه والله » تأكيد وقسم . « ما نزل على الوحي ، وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها » وكفى بهذا شرفاً وفخراً .

أختي المسلمة : لقد ورد من حديث كعب بن مالك عند البخاري : « فأنزل الله توبتنا على نبينا ﷺ حين بقي الثلث الآخر من الليل ، ورسول الله ﷺ عند أم سلمة » ألا يتعارض هذا مع هذه الوصية ؟! ، الإجابة : لعل ما في حديث عائشة كان قبل القصة التي نزل الوحي فيها ، في فراش أم سلمة ، وعلى هذا فلا تعارض ، ولكن قال الإمام السيوطي ـ رحمه الله ـ في كتابه الإتقان ما ملخصه : ظفرت بما يؤخذ منه جواب أحسن من هذا فروى أبو يعلى في مسنده عن عائشة قالت : « أعطيت تسعاً » الحديث ، وفيه : « وإن كان الوحي لينزل عليه ، وهو في أهله فيتفرقون عنه ، وإن كان لينزل عليه ، وأنا معه في لحافه »[2] ، وعلى هذا فلا معارضة بين الحديثين . انتهى .

---

(١) حاشية السيوطي على النسائي (٧ / ٦٩) .

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٤١) وقال : رواه أبو يعلى ، وفي الصحيح وغيره بعضه ، وفي إسناد أبي يعلى من لم أعرفهم .

قال المهلب رحمه الله : وفى هذا الحديث منقبة ظاهرة لعائشة ، وأنه لا حرج على المرء فى إيثار بعض نسائه بالتحف ، وإنما اللازم العدل فى المبيت ، والنفقة ، ونحو ذلك من الأمور اللازمة ، وتعقبه ابن المنير بأن النبى ﷺ لم يفعل ذلك ، وإنما فعله الذين أهدوا له ، وهم باختيارهم فى ذلك ، وإنما لم يمنعهم النبى ﷺ لأنه ليس من كمال الأخلاق أن يتعرض الرجل إلى الناس بمثل ذلك ، لما فيه من التعرض لطلب الهدية ، وأيضاً فالذى يهدى لأجل عائشة ، كأنه ملك الهدية بشرط ، والتمليك يتبع فيه تحجير المالك ، مع أن الذى يظهر أنه ﷺ كان يشركهن فى ذلك ، وإنما وقعت المنافسة لكون العطية تصل إليهن من بيت عائشة ، وفيه قصد الناس بالهدايا أوقات المسرة ، ومواضعها ليزيد ذلك فى سرور المهدى إليه ، وفيه تنافس الضرائر ، وتغايرهن على الرجل ، وأن الرجل يسعه السكوت إذا تقاولن ، ولا يميل مع بعض على بعض ، وفيه جواز التشكى ، والتوسل فى ذلك ، وما كان عليه أزواج النبى ﷺ من مهابته ، والحياء منه .

أختى لم نزل مع فضل أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ وسوف نستمع إلى الرسول ﷺ ، وهو يتحدث عن فضل عائشة ، فى الصفحات التالية .

من فضائل أم المؤمنين عائشة

١ ـ كمال أخلاق عائشة ، وكثرة صفاتها الطيبة :

عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إلا : مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ »[1] .

الثريد : هو أن يثرد الخبز بمرق اللحم ، وقد يكون معه اللحم ، ومن أمثالهم الثريد أحد اللحمين ، وربما كان أنفع ، وأقوى من نفس اللحم النضيج إذا ثرد بمرقته .

قال التوربشتى : إنما مثل بالثريد لأنه أفضل طعام العرب ، ولا يرون فى الشبع أغنى غناء منه ، وقيل : إنهم كانوا يحمدون الثريد فيما طبخ بلحم ، فكأنها فضلت على النساء ، كفضل اللحم على سائر الأطعمة .

والسر فيه أن الثريد مع اللحم جامع بين الغذاء ، واللذة ، والقوة ، وسهولة التناول ، وقلة المؤونة فى المضغ ، وسرعة المرور فى المرئ ، فضرب به مثلاً ليؤذن بأنها أعطيت مع

---

(١) صحيح . أخرجه البخارى (٣٦/٥) ، ومسلم (٢١٠/١٥) مختصراً ، وأحمد (٣٩٤/٤ ، ٤٠٩)

حسن الخَلق والخُلق ، وحلاوة النطق ، وفصاحة اللهجة ، وجودة القريحة ، ورزانة الرأى ، ورصانة العقل ، والتحبب إلى البعل ، فهى تصلح للتبعل ، والتحدث ، والاستئناس بها ، والإصغاء إليها ، وحسبك أنها أعقلت عن النبى ﷺ ما لم تعقل غيرها من النساء ، وروت ما لم يرو مثلها من الرجال ، ومما يدل على أن الثريد أشهى الأطعمة عند العرب قول الشاعر :

إذا ما الخبز تأدمه بلحم ... فذاك أمانة الله الثريد

٢ - إلقاء جبريل السلام إليها :

قال أبو سلمة أن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ يوماً : « يَاعَائشَ هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ »(١) . فقلت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، ترى مَالا أرى ، تريد رسول الله ﷺ . قال الإمام النووى رحمه الله : فيه فضيلة ظاهرة لعائشة ـ رضى الله عنها ـ وفيه استحباب بعث السلام ، ويجب على الرسول تبليغه ، وتعقب بأنه بالوديعة أشبه ، والتحقيق كما قال الحافظ رحمه الله : أن الرسول إن التزمه أشبه الأمانة ، وإلا فوديعة ، والودائع إذا لم تقبل لم يلزمه شئ ، قال : وكذا لو بلغه سلام فى ورقة من غائب لزمه أن يرد السلام عليه باللفظ على الفور إذا قرأه ، وفيه : أنه يستحب فى الرد أن يقول ، وعليك ، أو وعليكم السلام بالواو ، فلو قال : عليكم السلام ، أو عليكم أجزاه على الصحيح ، وكان تاركاً للأفضل .

٣٤ فضل تربية البنات

عن عروة عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : دخلت امرأة مَعَهَا ابْنَتَان لَهَا تَسْأل ، فَلَمْ تجدْ عندى شَيْئاً غيرَ تمرةٍ ، فأعطيْتهَا إيَّاهَا ، فَقَسَمَتْهَا بين ابنتَيهَا ، وَلَمْ تأكُلْ مِنهَا ، ثُمَّ قَامَتْ فَخرجَتْ ، فَدَخلَ رسول الله ﷺ علَيْنَا ، فأخبرتُه فقال : « مَنِ ابْتلى مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيءٍ فأحسن إليهن كُنَّ لَهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ »(٢) .

---

(١) صحيح . أخرجه البخارى (٣٦/٥) ، ومسلم (٢١١/١٥) ، والترمذى (٣٩٦٨) ، (٣٩٦٩) .

(٢) صحيح . أخرجه أحمد (٣٣/٦ ، ٨٨ ، ١٦٦) ، والبخارى (١٣٦/٢) ، ومسلم (١٧١/١٦)، والترمذى (١٩٨٠) وقال : حسن صحيح ، وأبو داود الطيالسى (١٤٤٧) وعنده رواية أخرى بلفظ : « وما تعجبين من امرأة غفر الله لها برحمتها ولدها » ، والبيهقى (٤٨٧/٧) فى السنن الكبرى .

أختي المسلمة : جاء الإسلام بنوره ، وبدد الكفر بظلامه ، وأعاد للنساء حقوقهن التي حرمن منها دهوراً طويلة ، لقد كانت المرأة تدفن حية في التراب ، والبعض يغرقها وهي رضيعة ، والبعض يقوم بذبحها ، أو بيعها ، فجاء الإسلام بنوره ، وحرم هذه الأفعال ، وأوعد فاعليها بسوء المصير ، فقال عز وجل : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[1] . وقال جل شأنه : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾[2] .

وروى عبد الرزاق عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في الآية السابقة قال : جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله . إني وأدت بنات لي في الجاهلية ، قال : « اعتق عن كل واحدة منهن رقبة » . قال : يا رسول الله إني صاحب إبل ؟ قال : « فانحر عن كل واحدة منهن بدنة » . هكذا كانوا يفعلون ، فتأملي .

أختي المسلمة : هذا قليل من كثير جاء في فضل أم المؤمنين ، ولم لا ؟!! حقاً لقد كانت أفقه نساء الأمة الإسلامية على الإطلاق ، قال عروة بن الزبير : لقد صحبت عائشة ، فما رأيت أحداً قط كان أعلم بآية أنزلت ، ولا بفريضة ، ولا بسنة ، ولا بشعر ، ولا أروى له ، ولا بيوم من أيام العرب ، ولا بنسب ، ولا بكذا ، ولا بقضاء ، ولا طب ، منها ، فقلت لها : ياخالة ، الطب ، من أين علمته ؟ فقالت : كنت أمرض فينعت لي الشيء ، ويمرض المريض فينعت له ، وأسمع الناس ينعت بعضهم لبعض ، فأحفظه[3] ، وقال الزهري رحمه الله لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء ، لكان علم عائشة أفضل[4] ، ومما قاله حسان بن ثابت شعراً في عائشة رضي الله عنها :

رأيتكِ ـ وليغفر لك الله حرةً ... من المُحْصنَات غَيْرِ ذَاتِ غوائل

عقيلة حي من لؤي بن غالب ... كِرَام المَسَاعي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زائل

مهذبة قد طيّبَ الله خيمها[5] ... وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سوء وبَاطِلِ[6]

---

(١) سورة النحل : ٥٨ ـ ٥٩ 	(٢) سورة التكوير : ٨ ـ ٩

(٣) أخرجه أبو نعيم (٤٢/٢) في الحلية بنحوه والحاكم (١١/٤) مختصرا ، وأورده الذهبي (١٨٣/٢) في السير .

(٤) أخرجه الحاكم (١١/٤) . 	(٥) الخيم : الطبع .

(٦) سيرة ابن هشام (٣٠٤/٢ ـ ٣٠٦) .

عن أم ذرة ـ وكانت تغشى عائشة ، قالت : بعث إليها بمال ، أراه ثمانين ، أو مائة ألف ، فدعت بطبق ، وهي يومئذ صائمة ، فجلست تقسم بين الناس ، فأمست ، وما عندها من ذلك درهم ، فلما أمست قالت : ياجارية هلمي فطري ، فجاءتها بخبز وزيت ، فقالت لها أم ذرة : أما استطعت مما قسمت اليوم ، أن تشترى لنا لحماً بدرهم ؟! نفطر عليه . قالت : لا تعنفيني ، لو كنت ذكرتيني لفعلت[1] .

تأملي أختي المسلمة كيف أنها ، وهي الصائمة تنسى نفسها ، ولو بدرهم ، وما ذاك إلا لأجل تذكرها للفقراء والمساكين ، وإدخال السرور على قلوبهم ، هكذا كانت أم المؤمنين ، زاهدة ، عابدة ، عالمة ، تقية .

فهلمي أختي المسلمة إلى طاعة الله ، وذكره وتقواه ، فهل تذكرين هذا ؟ هل تأسين بأمك في علمها ؟ هل تأسين بأمك في زهدها وحبها للخير ؟

هذا ما نسأل المولى إياه ، ومن دعاه أجابه ، ومن سأله أعطاه ، والحمد لله رب العالمين .

أختي المسلمة : قال الرحمن : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوٓا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[2] . أي لخفة عقولهم ، وجهلهم بصفات ربهم سبحانه ، بل لقد كان الواحد منهم يفخر بفعله هذا ، ويقول لمن رزق بالبنت : « آمنكم الله عارها ، وكفاكم مؤنتها ، وصاهرتم القبر » ، ويقول شاعرهم :

لكل أب بنت يراعي شئونها ... ثلاثة أصهار إذا حُمِدَ الصِهْرُ
فبعل يراعيها ، وخدر يكنها ... وقبر يواريها ، وخيرهم القبر

ومن طرائف ما يُروى : أن أميراً من العرب يكنى بأبي حمزة ، تزوج امرأة ، وطمع أن تلد له غلاماً ، فولدت له بنتاً فهجر منزلها لشدة غيظه من ولادتها لأنثى ، وصار يأوي إلى بيت غير بيتها ، فمر بخبائها بعد عام ، وإذا هي تداعب ابنتها بأبيات من الشعر ، تقول فيها :

مـا لأبي حـمزة لا يأتينـا ... يظل بالبيت الذي يلينـا
غضبان ألا نلـد البنينـا ... ليس لنـا من أمرنا مـا شينـا

---

(١) حلية الأولياء (٢/٤٧) .

(٢) سورة الأنعام : ١٤٠

وإنمـــا نأخـــذ مـــا أعطينـــا ونحـــن كالأرض لزارعينـــا
نبـــت مـــا قـــد زرعـــوه فينـــا

وما سمع أبو حمزة هذا القول ، حتى غلبه حنان الأبوة ، فدخل البيت ، وقبل رأس امرأته وابنتها[1] .

هكذا كان المرغوب فيه الحمل عند العرب هو الولد الذكر ، لأنهم قوم عصبية ، وأصحاب حروب . فجاء الإسلام بنوره الوهاج ، وسطعت شمسه على البلاد والعباد ، فإذا به ينادي بفضل تربية البنات ، وما أعد من الثواب لمن يقوم بهذه الغاية النبيلة . هلمي أختي المسلمة نسير مع نور الإسلام ، وفضل تربية البنات .

اسمعي أختي المسلمة : يقول واثلة بن الأسقع : إن من يُمْن المرأة ـ يعني البركة والسعادة ـ تبكيرها بالأنثى قبل الذكر ، وذلك أن الله تعالى قال : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾[2] فبدأ بالإناث[3] .

أختي المؤمنة : إن جزاء إحسانك لبناتك عظيم عند الله ، إنه العتق من النار ، ودخول الجنة : اسمعي إلى رسول الله ﷺ وإلى أم المؤمنين عائشة وهي تقول جاءتني مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا ، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلاثَ تَمَرَاتٍ ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً ، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا ، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا ، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا ، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : « إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ »[4] . فتأملي هذا هو ثواب وجزاء إحسانك إلى أولادك البنات .

لقد وعى أصحاب الرسول ﷺ هذا الثواب ، فكانوا يحبون البنات حباً شديداً ، ويقومون على تربيتهن أحسن تربية .

انظري أختي المسلمة : دخل عبد الله بن الزبير على معاوية بن أبي سفيان ، وبنية له تمرغ على صدره . فقال ابن الزبير : أمطها عنك يا أمير المؤمنين . فقال معاوية : مهلاً يا ابن الزبير ، فما مَرَّضَ المرضى ، ولا ندب الموتى ، ولا بر الأحياء كَهُنَّ ، فقال ابن الزبير : قد تركتهنَّ آثر عندي من الأبناء ، ولقد كانوا ينتظرون مولد البنت ، ويهنئون بعضهم البعض .

---

(١) البيان والتبيين : (١/١٨٦)

(٢) سورة الشورى : ٤٩

(٣) تفسير القرطبي (١٦/٤٨) .

(٤) أخرجه مسلم : (١٦/١٨٠) .

قال ابن المقفع لرجل ولدت له جارية : بارك الله لك في الأبنة المستفادة ، وجعلها لكم زيناً ، وأجرى لكم عليها خيراً ، فلا تكرهنهنّ ، فإنهن الأمهات والأخوات ، والعَمات ، والخالات ، ومنهنّ الباقيات الصالحات ، وربّ غلام ساء أهله بعد مسرّتهم ، وربّ جارية فرّحت أهلها بعد مساءتهم ، وأنشد في ذلك :

سَخطْتَ بُنَيّةً عمّا قليلٍ ... تُسَرّ بِهَا عُيُونُ النّاظِرَاتِ

فَبَارَكَ لِي فُطَيْمَةَ رَبُّ مُوسَى ... وَأَبْنَتَهَا نَبَاتَ الصَّالِحَاتِ

وَزَادَكَ عَاجِلاً أُخْرَى سِوَاهَا ... لِسُخْطِكَ إِذْ سَخِطْتَ عَلى البَنَاتِ

تأملي أختي المسلمة رزقت امرأة ببنت ، فقيل لها إنها بنت ، فأنشدت تفخر ، فقالت :

وَمَا عَلَيَّ أَنْ تَكُونَ جَارِيَة ... تَحْفَظُ بَيْتِي وَتَرُدُّ العَارِيَه

تَمْشُطُ رَأْسِي وَتَكُونُ الغَالِيَهْ ... وَتَحْمِلُ الفَاضِلَ مِنْ خِمَارِيَه

حَتَّى إذا مَا بَلَغَتْ ثَمَانِيَهْ ... وَنُهِّدَتْ بِنُقْبَةٍ يَمَانِيَه

زَوَّجْتُهَا مَرْوَانَ أَوْ مُعَاوِيَهْ ... أَزْوَاجَ صِدْقٍ بِمُهُورٍ غَالِيَه

فلنتأمل سوياً أختي المسلمة وصية الرسول ﷺ التي بدأنا بها ، قوله ﷺ : « من ابتلي » يعني امتحن ، واختبر ، وسماه النبي ﷺ ابتلاء ، لأن الناس كانوا يكرهونه في العادة ، فأراد عليه الصلاة والسلام أن يزجرهم عن ذلك ، ويرغبهم في البنات ، بذكر الثواب الموعود به لمن أحسن إليهن . أما قوله : « من البنات » جرت الخطاب بحسب اعتقاد العرب ، فإنهم كانوا يكرهون سواهن ، وقوله : « بشيء » يصدق بالقليل ، والكثير فيتناول الواحدة ، فالإحسان إليها ستر من النار ، فإن زاد على ذلك حصل لك السبق مع رسول الله ﷺ إلى الجنة ، اسمعي ، وتأملي في قوله ﷺ : « مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ » وضمّ أصابعه [1] ، وبالتأكيد هذا الثواب للمبتلى بالبنات سواء كان رجلاً ، أو امرأة ، وسواء كانت بنت المربى لها ، أو كانت يتيمة . أما قوله : « فأحسن إليهن » المراد بالإحسان هو القيام بصيانتهن ، والعمل على ما يصلحهن من نفقة ، وكسوة ، وغيرهما ، والنظر في أصلح الأحوال لهن ، وتعليمهن ما يجب تعليمه ، وتأديبهن ، وزجرهن عما لا يليق بهن ، فعندما تقومين بكل ما سبق ، فإنك قد أحسنت إلى بناتك .

(١) أخرجه مسلم (١٨٠/٦) ، والترمذي (١٩٨١) .

أختى المسلمة : من تمام الإحسان إلى بناتك هو إخلاص النية فى عملك هذا ، فجردى قصدك ليكون العمل لله ، فالأعمال بالنيات ، ولك عند الله ما نويت . ومن تمام إحسانك إليهن أن لا تظهرى بهن ضجراً ، ولا قلقاً ، ولا كراهة ، ولا استثقالاً ، فإن كل ذلك يفسد ما تقومين به . ثم يحدد النبى ﷺ الجزاء الذى أعد الله لمن قام بهذا العمل الشريف ، فيقول : « كن له ستراً من النار » . يعنى أن إحسانك إلى البنات من أولادك خصوصاً ، وأولادك على العموم ، كان السبب فى مباعدتك عن النار ، ولا شك أن من بعد عن النار ، فإنه داخل الجنة ، فلا منزل سواهما .

أختى المسلمة : قد تساءلين ، وتقولين ولم خص البنات بهذا الثواب العظيم ؟! وللإجابة على سؤالك أقول : إنما خص النبى ﷺ البنات بذلك الثواب لضعف قوتهن ، وقلة حيلتهن وعدم استقلالهن فى الحياة ، فإنهن دائماً ملازمات للأزواج ، والآباء ، وخصهن النبى ﷺ لاحتياجهن إلى التحصين ، وزيادة كلفتهن ، وعادة من يقوم بهن أنه يستثقلهن ، فأراد التنبيه إلى فضلهن .

أختى المسلمة : إن الإسلام أراد أن يجعل البنات فى مرتبة عليا ، ومنزلة سامية ، وقد كان لهن هذا فى الإسلام ، وفى هذا يقول الصاحب بن عباد : أهلا وسهلا بعقيلة النساء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار ، والمبشرة بإخوة يتناسقون ، ونجباء يتلاحقون :

فلو كان النساء كمن ذكرنا	لفُضِّلَت النساءُ على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب	وما التذكير فخر للهلال

ثم يكمل الصاحب بن عباد كلامه عن البنت وفضلها : « الدنيا مؤنثة ، والرجال يخدمونها ، والذكور يعبدونها ، والأرض مؤنثة ، ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ، والسماء مؤنثة ، وقد زينت بالكواكب ، وحُلِّيَتْ بالنجم الثاقب ، والنفس مؤنثة ، وهى قوام الأبدان ، وملاك الحيوان ، والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تتصرف الأجسام ، ولا عرف الأنام ، والجنة مؤنثة ، وبها وعد المتقون ، وفيها ينعم المرسلون » .

هكذا أختى المؤمنة عشنا مع وصية النبى ﷺ ، ورأينا كيف أن فيها الخير والسعادة لمن عملت بها ، وقامت بما فيها ، والحمد لله رب العالمين .

٣٥ من آداب الإسلام الرفيعة

عن أبي المَلِيحِ الهُذَلِيِّ أنَّ نِسْوَةً من أهْلِ حِمْصَ اسْتَأذَنَّ على عائشة ، فقالت : لعلَّكُنَّ من اللواتي يدخلن الحمَّامات ؟!! سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أيما امرأةٍ وضعَتْ ثيابها في غيرِ بيتِ زوجِها ، فقد هتكَتْ سِتْرَ ما بينها وبين الله »(١) .

أختي المؤمنة : لقد كان الإسلام حريصاً كل الحرص على وضع الضوابط ، والحدود للمرأة ، ونزلت في هذه الضوابط آيات قرآنية ، وجاءت أحاديث نبوية ، قد تتساءلين ، أو تتساءل واحدة ، فتقول : لم هذا الحرص ، ولم كل هذه التفاصيل ، وتلك الحدود ؟!

أختي المسلمة : بادئ ذي بدء نقول إن الإسلام جعل المرأة شريكة الرجل في تحمل مسئولية الأهداف العليا التي خلقهما الله من أجلها ، وهي عبودية الله في أرضه ، والدعوة إلى دينه الحق . إذن فالمسلمة تعيش رسالة كبرى ، تعيش مسئولية عظمى ، لقد حملك ربك أمانة عرضها على السماوات ، والأرض ، والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وقمت أنت بحملها ، كل ذلك يعني أن الإسلام يرفض بإصرار ، أن تكون المرأة المسلمة مجرد أداة لإثارة شهوة الرجل ، ومجرد أداة تحيا لنفسها ، تحيا لأنوثتها ، تحيا للانشغال بتوافه الأمور ، إذن فالإسلام - أختي المسلمة - يرتفع بقدرك ، ويعلو بك على أن تكوني مجرد زينة في الشوارع والطرقات ، ينظر إليها الرجال ، وتسعى في نيل إعجابهم ، فعندما نعود إلى البداية التي بدأنا بها ، وهي حرص الإسلام لوضع الضوابط للمرأة ، نجد أن من أهم أهداف تلك الضوابط إنما هو الحيلولة بين إشاعة الفتنة بين أفراد المجتمع ، وإنما هو الحيلولة بين الغريزة وإفساد الأخلاق ، عندما تخرج المرأة بزينتها ، وتبرز مفاتنها ، تلتفت الأنظار إليها ، وتلفت هي الأنظار بمظهرها ، فعند ذلك أوقعت نفسها

---

(١) صحيح أخرجه أحمد (٤١/٦ ، ١٩٩) ، وابن ماجه (٣٧٥٠) ، وأبو نعيم (٣٢٥/٣) في حلية الأولياء ، والحاكم (٢٨٨/٤) وأقره الذهبي على شرط البخاري ومسلم ، وأخرجه أبو داود الطيالسي (١٥١٨) ، والبيهقي (٣٠٨/٧) في السنن الكبرى بلفظ : « ما من امرأة » والباقي سواه .

تحت غضب الله ، وأوقعت الرجال كذلك ، اسمعي أختي المؤمنة إلى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ قُل للمُؤمنينَ يَغُضُّوا مِنْ أبصَارِهِمْ وَيَحفَظُوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعونَ * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايُبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ﴾[1] .

إذن فالإسلام يضع الضوابط لمنع وقوع الفتنة ، ولإحلال الأخلاق الفاضلة بين العباد ، وهذا أمر لا ينبغى الجهل بعظمه ، وكبر شأنه ، عودى أختى المسلمة إلى التاريخ وقولى له ما الذى أدى إلى زوال الممالك السابقة الرومانية ، الإغريقية ، الفارسية ؟ لن تكون الأسباب إلا شيوع الرذيلة بين الرجال والنساء ، وانشغال أفراد المملكة حكامها ، ومحكوميها باللذات والشهوات ، ولقد كانت اللذات والشهوات هي الأسلحة التي حاول بها أعداء الله ، وأعداء الإسلام ، إفساد المسلمين ، بل ولقد نجحوا إلى حد كبير فى الوصول إلى أهدافهم .

استمعى إلى أعداء الإسلام وهم يقولون : « يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق فى كل مكان ، فتسهل سيطرتنا ، سنظل نعرض العلاقات الجنسية فى ضوء الشمس ، لكى لا يبقى فى نظر الشباب مقدس ، ويصبح همه الأكبر ، إرواء غرائزه الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه » . انظرى أختى المسلمة إلى الشوارع والطرقات ، بل انظرى إلى الشواطئ ، انظرى إلى أماكن اللهو وما يحدث فيها ، ستجدين أنهم أفلحوا فى الوصول إلى ما أرادوا ، ولقد حذرنا الله من سوء هذه النتيجة ، وبين لنا هذه الحقيقة فقال : ﴿ يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً * يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً ﴾[2] .

من أجل فوزك برضا ربك ، والوصول إلى حقائق دينك ، هلمى استمعى ، وتأملى وصية الرسول ﷺ : « أيما امرأة وضعت ثيابها » كناية عن تكشفها ، وعدم تسترها أمام الأجانب . « فى غير بيت زوجها » فالأصل أن المرأة تكشف عن ثيابها ، وترفع التستر عن نفسها فى بيت زوجها ، وليس أمام الأجانب . « فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله » أختى المسلمة أمر الله ـ عز وجل ـ بالثياب لكى نستر بها العورات ،

---

(١) سورة النور : ٣٠ ـ ٣١ (٢) سورة النساء : ٢٦ ـ ٢٨

ولنوارى بها السوءات ، وهذا هو ما أراده الله منا ، فإذا لم تتق المسلمة ربها ، وكشفت عن تلك العورات ، برفع تلك الثياب ، فقد هتكت الستر الذى بينها وبين خالقها . والجزاء من جنس العمل ، كما فعلت المرأة تجد الجزاء ، هتك الله ستره عليها ، وأوضعها بفعلها المشين فى الفضيحة ، ولم تجد لها ملجأ ، وعاصماً من الله .

أختى المسلمة : هلمى أحسنى إلى نفسك، بالقيام بتعاليم ربك ، ووصايا نبيك ، واذكرى أنك محاسبين وحدك أمام الله على أفعالك ، لا يغنى عنك والد ، ولا ولد ، واسمعى إلى أحد الصالحين ، وهو يقول : خرجت من بطن أمى وحدى ، وسأدخل قبرى وحدى ، وسألقى حسابى وحدى ، فمالى وللناس ؟

وكما قال ربنا تبارك وتعالى : ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾[1] .

فاعملى بالوصية النبوية ، لتسعدى فى دنياك وآخرتك .

٣٦ احذري ما يفسد صلاتك

عن أنس قال : كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها ، فقال النبى ﷺ : « أميطى عنا قرامك[2] هذا ، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لى فى صلاتى »[3] .

أختى المسلمة : وصف الله ـ تبارك وتعالى ـ أهل الإيمان بالخشوع له فى صلاتهم ، وهى من أشرف عباداتهم ، فقال عز وجل : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾[4] ، والخشوع هو روح الصلاة ، وأصلها العظيم ، وركنها القويم .

انظرى ، وتأملى فى قول الحق تبارك شأنه : ﴿ الذين هم فى صلاتهم خاشعون ﴾ إنهم خائفون ، ساكنون ، متواضعون .

فالخشوع هو لين القلب ، ورقته ، وخضوعه لله تعالى ، وهو خفض الصوت ،

---

(١) سورة مريم : ٩٥

(٢) القرام : ثوب من صوف ملون ، فيه ألوان من العهن ، وهو صفيق يتخذ ستراً وقيل : هو الستر الرقيق .

(٣) البخارى (١/١٠٥) ، وأحمد (٣/١٥١ ، ٢٨٣)

(٤) سورة المؤمنون : ١ ـ ٢

وسكونه ، وإذا خشع قلبك لله ، تبعته كل جوارحك ، فيخشع سمعك ، وبصرك ، وعقلك ، وسائر الأعضاء منك تخشع بخشوع القلب .

ولذا رأى بعض السلف رجلاً يعبث بيده في الصلاة ، أتدرين ماذا قال ؟! لقد قال : لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه .

اسمعي أختي المسلمة إلى هذه الحادثة الطيبة : مر عصام بن يوسف ـ رحمه الله تعالى ـ بحاتم الأصم ، وكان من العابدين ، فقال له : يا حاتم تحسن تصلي ؟ قال : نعم . قال : كيف ؟ قال حاتم : أقوم بالأمر ، وأمشي بالخشية ، وأدخل بالنية ، وأكبر بالعظمة ، وأقرأ بالترتيل والتفكر ، وأركع بالخشوع ، وأسجد بالتواضع ، وأجلس للتشهد بالتمام ، وأسلم بالنية ، وأختمها بالإخلاص لله عز وجل ، وأرجع على نفسي بالخوف ، أخاف أن لا يقبل مني .

فتأملي كيف يكون حاله في صلاته من خشوع ، وخضوع ، ومراقبة ، وذل لله ، وحضور قلب ، وفهم ، ثم بعد ذلك يقول : أخاف ألا يقبل مني وما ذاك إلا لعلمه أن الوصول إلى تمام الخشوع مرتبة عليا ومنزلة رفيعة .

لذا أختي المسلمة احرصي كل الحرص على الخشوع في الصلاة ، ومن ثم فابتعدي عن كل ما يذهب عنك الخشوع ، وفي الوصية النبوية التي بين أيدينا يشير لنا النبي ﷺ بأمر من تلك الأمور التي تبعد الخشوع عن قلوبنا ، لقد صلى النبي ـ ﷺ ـ إلى جانب من جوانب بيته ، بالتأكيد الذي فيه القبلة ، وكانت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ سترت هذا الجانب بقرام لها ، أي ثوب فيه تصاوير ، فإذ بتلك التصاوير تعرض على النبي ﷺ في صلاته ، فلما انتهى من الصلاة ، قال لها : « أميطي عنا » أي أزيلي عنا ، انزعي هذا الستر ، من أجل ما ذكر من رؤيته لتصاويره ، حال صلاته .

ومن هنا أختي المؤمنة فليكن الموضع الذي تصلين فيه خاليا من كل ما يبعد عنك الخشوع ، خالياً من كل ما قد يصرف عنك حضور القلب في الصلاة ، الذي هو ثمرة الصلاة المرجوة .

* * *

٣٧ اعرفي أحكام دينك

عن أم سلمة قالت : جاءَتْ أمُّ سُلَيم إلى رسول الله ﷺ فقالتْ : يارَسُولَ الله إنّ الله لا يَستَحيِي منَ الحَق ، فَهَلْ علَي المرْأة من غسل إذَا احتَلَمَتْ ؟! فقال النبي ﷺ : « إذَا رأت المَاءَ » . فَغطَتْ أم سلَمَةَ ـ تعني وجهها ـ وقالتْ : يا رسول الله ، أو تَحْتَلِم المرأة ؟! قال : « نعَمْ تَرِبَتْ يَمينُك ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا »[1] .

أختي المسلمة : من حسن إسلام المرأة معرفتها بدينها ، فلقد فرض الإسلام طلب العلم علي المرأة ، كما فرضه علي الرجل ، تأملي أختي المسلمة في قول الحق جل شأنه : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[2] ، بل تأملي كلام رب العزة وهو يخاطب أمهات المؤمنين ، ويحضهن علي تعلم ما يذكر في بيوتهن من القرآن الكريم ، والحديث النبوي : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾[3] ، ومن أجل هذا الحث الرباني ، شعرت النساء بفضيلة العلم ، فذهبن إلى النبي ﷺ وطلبن منه مجلساً خاصاً لهن ، كي يتعلمن فيه ، فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : قالت النساء للنبي ﷺ : غلبنا عليك الرجال ، فأجعل لنا يوماً من نفسك ، فوعدهن يوماً ، لقيهن فيه ، فوعظهن ، وأمرهن فكان فيما قال لهن : « ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار » ، فقالت امرأة : واثنتين ؟! فقال : « واثنتين »[4] .

هكذا أختي المسلمة يدعو الإسلام إلى تعليم النساء ، وتفقيههن بما يعود عليهن بالخير في الدنيا والآخرة ، ولم لا ؟! والشاعر حافظ إبراهيم ـ شاعر النيل ـ يقول :

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق

أختي المؤمنة : تأملي في الوصية النبوية التي بين أيدينا إن أم سلمة ـ رضي الله

---

(١) صحيح ، أخرجه أحمد (٣٠٦/٦) ، والبخاري (٤٤/١ ، ٧٩) ، (١٦٠/٤) ، (٢٩/٨ ، ٣٦) ، ومسلم (٢٢٣/٣) ، والترمذي (١٢٢) ، والنسائي (١١٤/١ ـ ١١٥) ، وابن ماجه (٦٠٠) ، والدارمي (١٩٥/١) ، والبيهقي (١٦٨/١ ـ ١٦٩) في السنن الكبرى .

(٢) سورة الزمر : ٩ (٣) سورة الأحزاب : ٣٤

(٤) البخاري (٣٦/١) ، ومسلم (١٨١/١٦) .

عنها ـ تأتى ، لتتعلم ما تجهل ، ولتعرف مالا تعرفه بكماله ، وهكذا المرأة المسلمة دائما تسأل عن أحكام دينها ، ولا تكن من الذين لا يعرفون عن دينهم إلا قليلاً .

فهلمى بنا نتأمل سوياً فى تلك الوصية النبوية .

تأملى إلى أدب أم سليم ، وعلمها ، تبدأ كلامها بقولها : « إن الله لا يستحى من الحق » أى لا يمتنع من بيان الحق ، وضرب المثل بالبعوضة وشبهها ، كما قال جل شأنه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[1] . فكذا أنا ـ أم سليم ـ لا أمتنع عن سؤالى لك ، عما أنا فى حاجة إلى معرفته ، وتعلمه ، وإن كان أمراً غريباً ، وصدقت أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ عندما قالت : « نعم النساء نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين »[2] .

أختى المسلمة ، عندما يغلبك الحياء ، وتتركين معرفة أحكام دينك، هذا من أكبر الأخطاء التى تقعين فيها ، بل بإصرار ، وعزيمة عودى نفسك أنه لا حياء فى تعلم أحكام الدين ، مهما كانت صغيرة ، أو كبيرة ، فإن المرأة إذا غلبها الحياء ، فلن تتعلم شيئاً

اسمعى إلى قول مجاهد رحمه الله : « لا يتعلم العلم مستحى ، ولا مستكبر »[3] ، وكأنه أراد تحريض الذين يطلبون العلم على ترك العجز ، والتكبر ، لما سوف يؤثر عليهم بالتأكيد فى سعيهم لطلب العلم .

يأتى سؤال أم سليم ، فتقول : هل على المرأة من غسل إن احتلمت ؟! أى إذا رأت فى منامها أنها تجامع ، فكان جواب النبى ﷺ : « إذا رأت الماء » ومعنى هذه الإجابة أن المرأة تحتلم حقيقة ، والذى يدل على تحقق وقوع ذلك ، هو رؤية هذا المنى على الثياب ، وهذا هو شرط الغسل ، أما إذا احتلمت ولم تر الماء فلا غسل عليها .

بعد هذه الإجابة النبوية الساطعة المحددة ، تقوم أم سلمة بتغطية وجهها ، وتقول : أو تحتلم المرأة ؟!

أختى المؤمنة : إن التعجب الذى حدث من أم سلمة ليس بغريب ، فلقد حدث من عائشة ـ رضى الله عنها ـ مع كمال علمها ، ففى إحدى الروايات أنها

---

(١) سورة البقرة : ٢٦ . (٢) البخارى (٤٤/١) . (٣) البخارى (٤٤/١) .

قالت : « أفٍ لك أترى المرأة ذلك »[1] تقول ذلك مستنكرة أن تكون المرأة تحتلم ، فإن الأمر في الحقيقة ليس كما تظنين أن كل النساء تحتلم ، فإن الاحتلام يكون في بعض النساء دون بعض ، وهذا هو سبب الاستنكار ، والاستغراب الذى حدث من أم سلمة وعائشة رضى الله عنهما .

فيعقب هذا التعجب إجابة النبى ﷺ بقوله : « نعم تربت يمينك » أى نعم تحتلم المرأة ، وقوله : « تربت يمينك » أى افتقرت ، وصارت على التراب ، وهى من الألفاظ التى تطلق عند الزجرة ، ولا يراد بها ظاهرها ، ثم فى نهاية حديثه ﷺ يأتى دليل من دلائل النبوة ، ألا وهو قوله : « فبم يشبهها ولدها » .

أختى المؤمنة : إن العلم الحديث أثبت أن الرجل والمرأة يشتركان معاً فى تكوين الجنين ، إذ أن الحيوان المنوى يأتى من الزوج إلى البويضة التى تكون فى المرأة ، فيختلط ماء كل منهما بالآخر ، ومعنى ذلك أن نصف الصفات الوراثية تقريباً يكون مصدرها الزوج ، ونصفها الآخر تقريباً يكون من الزوجة ، ثم قد يحدث التبادل والتوافيق ، فتغلب صفات هذا على تلك ، أو تلك على هذا ، ومن هنا يكون الشبه ، إذن كما ترين أختى المسلمة لا يمكن بحالٍ من الأحوال للحيوان المنوى ، يعنى الرجل وحده أن ينتج كائنا حياً دون مشاركة من البويضة ، يعنى الأنثى .

فتأملى أختى المسلمة الإعجاز النبوى ، لقد كان يعتقد قبل بعثه ﷺ منذ عهد أرسطو أن المرأة لا دخل لها فى عملية وجود الأبناء ، وأن ماء الرجل هو الأساسى ، فما أن يصل ماء الرجل إلى الرحم ينمو ليكون جنيناً يكبر رويداً رويداً ، حتى يكون وليداً ، بعد أجل مسمى فى الرحم ، فيأتى محمد بن عبد الله ﷺ يخبرنا بما سوف يكتشف العلم فى عصرنا هذا .

حقاً أختى المسلمة ﴿ إن هو إلا وحى يوحى ﴾ ، ما ينطق أبداً عن هوى ، إنما ينطق بما يتعلمه من الملأ الأعلى .

وهكذا أختى المسلمة تعلمنا من الوصية النبوية ، ما نسأل الله أن ينفعنا به .

---

(١) مسلم (٣/٢٢٤) .

٣٨ إياكِ والتشدد في الدين

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن الحولاءَ بنتَ تويتٍ مرّتْ بها ، وعندَها رسول الله ﷺ ، فقلت : هذه الحولاءُ بنت تويت ، وزعموا أنها لا تنام الليل ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تنامُ الليلَ !!!! خُذوا من العمَلِ ما تُطيقونَ ، فوالله لا يسأمُ الله حتى تسأموا »[١] .

أختي المسلمة : يسر الله تعالى لنا الدين ، وما جعل علينا فيه من حرج ، ومن علينا بنعمة التيسير ، فقال جل شأنه : ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[٢] .

ومن هنا فلا ينبغي لك أختي المؤمنة أن تشقي على نفسك في عبادة ربك ، فإن من شاقت على نفسها في العبادة ، قد خالفت روح الإسلام ، وسوف ينتهي بها الحال إن آجلاً أو عاجلاً إلى الملل والضجر ، أو العجز عن القيام بتلك العبادة .

تأملي في قوله ﷺ : « إنّ الدِّينَ يُسْرٌ ، ولَنْ يُشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلا غلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا ، وَقَارِبُوا ، وأبْشِروا ، واستَعِينُوا بالْغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ ، وشيءٍ منَ الدُّلْجَةِ »[٣] .

فالواجب عليك أختي المسلمة أن تعتدلي في عبادتك ، فلا تقصري فيها ، ولا تبالغي ، فلم يكلفك الله عز وجل أن تشددي على نفسك ، في أداء ما طلب منك ، أن تؤديه ، كأن تسرفي على نفسك في النوافل إسرافاً مرهقاً ، فإن ذلك سوف يصل بك إلى الملل ، أو الاعتدال ، أو العجز جملة عن أداء ما عليك من تكاليف دينية ، وأعمال ، وواجبات دنيوية .

أختي المؤمنة : طلب الإسلام أن نعمل للآخرة في الدنيا ، ولا نهمل العمل لأمور الدنيوية التي لامناص لنا منها ، اسمعي إلى قول الحق عز وجل : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾[٤] .

تأملي أختي المسلمة في هذه القصة التي جرت أحداثها على عهد رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح ، أخرجه أحمد (٢٤٧/٦) ، ومسلم (٧٣/٦) ، والطبراني (٥٦٤) في الكبير .
(٢) سورة البقرة : ١٨٥
(٣) البخاري (١٦/١) ، والنسائي (١٢٢/٨) ، وأحمد (٦٩/٥) .
(٤) سورة القصص : ٧٧

يقول أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم ، تقالوها[1] . فقالوا : وأين نحن من النبى ﷺ ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه ، وما تأخر !!

قال أحدهم : أما أنا فإنى أصلى الليل أبداً ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً .

فجاء رسول الله ﷺ ، فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله : إنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى »[2] .

هكذا أختى المسلمة هو منهاج الإسلام الوسط ، لا إفراط ، ولا تفريط ، ولكن تأملى فى هذه الوصية إن حولاء امرأة من الصالحات ، ظنت أنها عندما تجهد نفسها فى طاعة الله وعبادته ، قد فعلت أمراً عظيماً ، فكانت لا تنام الليل ، أى تنام قليلاً بالنهار ، ثم إذا جاء الليل قامت وصلت حتى يطلع الفجر ، ولم تتفطن إلى أن فى ذلك مخالفة لهدى الإسلام الذى يأمر بالتوسط ، وعدم مجاوزة الحد .

فجاء النبى ﷺ فقالت عائشة هذه الحولاء زعموا أنها لا تنام الليل !! فاستهجن النبى ﷺ هذا الفعل ،فقال فى دهشة : لا تنام الليل !!! ثم أرشدها إلى الخير والفلاح فى الاعتدال ، والاقتصاد فى الطاعة .



عن صفية بنت الحارث عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : « لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار »[3] .

أختى المسلمة : الإسلام الحنيف يفرض عليك أن ترتدى الحجاب ، وما ذلك إلا ليصونك عن الابتذال ، والتعرض للريبة والفحش .

فلا يجوز للمرأة المسلمة التى تؤمن بالله واليوم الآخر أن تخالف أمر ربها ، وترفع الحجاب أمام الرجال الأجانب ، أو غيرهم من دون المحارم .

---

(١) يعنى عدوها قليلة .

(٢) البخارى (٢/٧) ، ومسلم (١٧٥/٩ ـ ١٧٦) .

(٣) صحيح أخرجه أحمد (١٥٠/٦ ، ٢١٨ ، ٢٥٩) ، وأبو داود (٦٤١) ، والترمذى (٣٧٥) وقال ، حديث حسن ، وابن ماجه (٦٥٥) ، والحاكم (٢٥١/١) وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى ، والبيهقى (٢٣٣/٢) ، قوله : « الخمار » هو ما يغطى الرأس ، ثبت من هذا الحديث أنه لا يجوز شرعاً للمرأة البالغة أن تكشف رأسها فى الصلاة ، ولو كانت منفردة فى بيتها .

ومن الأحكام النبوية التي تختص بشأن الحجاب الوصية التي مرت بك الآن ، فإنها تحدد أن القبول للصلاة معلق على وجود الخمار ، وهو ما يدل على وجوبه ، إذ أنه لو لم يكن كذلك ، لما علق ذلك على الخمار .

وعندما نحلق في أجواء هذه الوصية النبوية يأتي إلى الأذهان تساؤل :

ما هو لباس المرأة المسلمة البالغة في الصلاة ؟!

للإجابة نقول : إن المسلمة إذا وصلت إلى مرحلة الحيض ، فقد صارت بالغة ، وعليها أن تعرف المتطلبات التي طلبت منها إذا قامت إلى الصلاة .

١ ـ غطاء الرأس : وهو الخمار ، فلا يجوز شرعاً للمرأة البالغة أن تكشف رأسها في الصلاة ، ولو كانت منفردة في بيتها .

٢ ـ غطاء الأذنين : يجب عليك أختي المؤمنة أن تغطي الأذنين ، لأنهما من الرأس، لقوله ﷺ : « الأذنان من الرأس »[١] .

وإذا علمت أن الأذنين من الرأس ، فلا بد لك من تغطيتهما مع الرأس أما غطاء الوجه والكفين ، فلا يجب عليك التغطية باتفاق علماء المسلمين ، بل أجاز العلماء بالإجماع كشف الوجه والكفين في الصلاة ، أما خارج الصلاة ، فقد اختلفوا ، وليس هذا موضع الحديث .

ومما يجدر أن تنتبهي إليه هو أنه لا يجوز أن يظهر منك في الصلاة العنق ، أو الصدر أو الساق ، لأن كل ذلك من العورة التي يجب على المرأة أن تغطيها ، سواء أكانت خارج الصلاة ، أو في الصلاة ، فلقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « لابد للمرأة من ثلاثة أثواب تصلي فيها : درع ، وجلباب ، وخمار »[٢] .

قولها : « درع » هو ثوب تجوب المرأة وسطه ، وتجعل له يدين .

وقال ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ إذ صلت المرأة فلتصل في ثيابها كلها : الدرع ، والخمار ، والملحفة[٣] .

وقوله : « الملحفة » هو اللباس الذي فوق سائر اللباس من دثار البرد ، ونحوه وكل شيء تغطيت به ، فقد التحفت به .

فيجدر بك أختي المسلمة أن تتذكري وصية الرسول ﷺ كلما قمت إلى صلاتك ، حتى يتقبل الله منك تلك الصلاة .

---

(١) صحيح ، أخرجه أبو داود (١٣٤) ، والترمذي (٣٧) ، وابن ماجه (٤٤٤) ، والدارقطني (١/ ٣٧ ـ ٣٨) ، من حديث أبي أمامة ، وابن ماجه (٤٤٥) ، والدارقطني (١/ ٣٨) من حديث أبي هريرة وابن ماجه (٤٤٣) من حديث عبد الله بن زيد والدارقطني (١/ ٣٦ ، ٣٧) من حديث ابن عمر ، وابن عباس .

(٢) أخرجه ابن سعد (٤٨٨) في طبقاته ، وإسناده صحيح على شرط مسلم .

(٣) المصنف (٢/ ٢٦/ ١) لابن أبي شيبة ، وسنده صحيح .

٤٠ الاختلاط ومفاسده

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا لا يَبِيتَنَّ رَجُلٌ عِنْدَ امرأةٍ ثَيِّبٍ إلا أنْ يَكُونَ نَاكِحاً أوْ ذَا مَحْرَمٍ »[1] .

أختي المسلمة : هذه الوصية النبوية جليلة القدر ، رفيعة الشأن ، فهي توضح في جلاء أنه لا يبيت في منزل المرأة إلا زوجها ، أو محرم لها .

وفيها تلميح إلى عنصر الاختلاط ، وبيان وتحذير منه ، ولقد حدد النبي ﷺ خطورة الاختلاط عندما قال : « إيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاء » ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ، أفرأيت الحَمْوَ ؟! قال : « الحَمْوُ المَوْتُ »[2] .

والمراد بقوله : « الحمو » هو أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه ، فأما الآباء والأبناء فمحارم للزوجة ، تجوز لهم الخلوة بها ، ولا يوصفون بالموت ، وإنما المراد الأخ ، وابن الأخ ، والعم ، وابنه ، ونحوهم مما لا يجوز له أصلا أن يخلو بالزوجة .

ومعنى قوله : « الموت » أي أن الخوف منه ، والفتنة المتوقعة أكثر ، وذلك لتمكنه من الوصول إلى المرأة ، والخلوة بها ، من غير إنكار عليه .

ومن الملامح البلاغية الطيبة في هذه الوصية قوله ﷺ : « عند امرأة ثيب » فالثيب هي المتزوجة من قبل ، ومن عادة الناس التساهل في الدخول عليها في العادة ، ولم يقل « بكر » لأنها دائماً تكون مصونة متصونة ، مجانبة للرجال أشد مجانبة ، فلم يحتج إلى ذكرها ، فإذا كانت الثيب قد نهيت عن هذا الفعل ، فمن باب أولى الفتاة البكر .

وفي هذه الوصية النبوية تحريم الخلوة بالأجنبية ، وتحذير بالبعد عن الاختلاط بالأجانب ، وإباحة الخلوة بمحارم المرأة سواء كانت بكراً أو ثيباً ، والمحرم هو كل من حرم عليه نكاح المرأة على التأبيد .

أختي المسلمة : المجتمع الإسلامي مجتمع له تميز في كل شيء ، عن المجتمعات

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (١٥٣/١٤) .
(٢) صحيح ، أخرجه البخاري (٤٨/٧) ، ومسلم (١٥٣/١٤) ، والترمذي (١١٨١) ، وأحمد (١٤٩/٤ ، ١٥٣) .

الأخرى ، فى عقائده ، ومبادئه ، فى سلوكيات أفراده ، فى نظمه ، ومناهجه ، فى رسالته على أرض الله .

فالمسلمة تتوجه إلى الله ـ عز وجل ـ بكل عمل لها ، طالبة رضاه ، داعية إلى كتابه ، بعكس الأخرى فإنها تسير فى دنياها حسب هواها ، ولذا فلنتكلم عن أمر من الأمور العظيمة التى ينبغى للمرأة أن تحذر منها ، ألا وهو الاختلاط .

أختى المسلمة : الاختلاط يعد من مساوئ الأخلاق ، وليس هو من أخلاق بنات الإسلام فى شئ ، ويحسب المرأة المسلمة العاقلة أن تعرف مبدأ الاختلاط ، وغايته ، وسوء عاقبته ، إن مبدأ الاختلاط بين البنين والبنات ، والشباب والشابات ، فى أصله أتى إلى ديار المسلمين من النصارى الأوربيين ، فلقد أعطوا للمرأة مطلق الحرية فى تصرفاتها فصارت فى الطرقات ليلاً ، ونهاراً ، وخالطت الرجال فى أعمالهم صغاراً ، وكباراً .

فلما كثرت وسائل الإعلام على نطاق واسع من إذاعة ، وتليفزيون ، وصحافة مصورة ، وشرائط كاسيت ، إلى الفيديو اليوم نقلت الصورة السابقة ، صورة الاختلاط بين الشبان والشابات على أنها عنوان المدنية والتحضر ، ففتح الآباء من بنى الإسلام ، بيوتهم كأندية عامة ، تختلط الأسر فيها اختلاطاً شديداً ، رجالاً وإناثاً ، مراهقين ، وغير مراهقين ، فكانت النظرات الشيطانية ، والمخالطة الجسدية ، حتى وقعت الفتنة .

انظرى أختى المسلمة بعض الأمثلة التى توضح قبح الاختلاط : فى جريدة الأخبار العدد الصادر فى ١٩٧٩/١٢/١٧ م :

* اتهم طالب بحقوق الزقازيق بمحاولة قتل زميلته ، لرفضها الاستجابة لحبه ، والابتعاد عنه ، طعنها عدة طعنات بسكين حادٍ فى داخل الكلية ، فأصابها إصابات خطيرة ، ونقلت على إثرها إلى المستشفى .

وقبلها بعام فى نفس الجريدة الصادر فى ١٩٧٨/٤/١٩ م :

* تقدم والد فتاة عمرها ١٨ سنة ببلاغ للنيابة العامة يتهم طبيباً بإجهاض ابنته ووفاتها ، بعد نقلها فى حالة خطيرة إلى القصر العينى .

* وأمام محكمة الجنايات ، شهدت شقيقة المجنى عليها ، وهى طالبة بالجامعة ، أن شقيقتها كانت تعمل عاملة سويتش بعيادة أحد الأطباء المشهورين ، ووطد علاقته معها ستة أشهر ، وحملت ، رغم أنها بكر ، وعندما أصبحت فى الشهر الرابع توسلت إلى

طبيب آخر لإجهاضها ، وليمنع عنها الفضيحة ، وأجريت لها العملية ، وبعد ١٥ يوماً فارقت الدنيا ، وحكمت المحكمة بحبس الطبيب سنة مع إيقاف التنفيذ ، لأن الطبيب حاول إجهاض الفتاة بدافع الإنسانية !!

وفي كل يوم تتكرر المأساة ، وتظهر الصورة المخزية لمبدأ الاختلاط .

أختي المسلمة : إن أعظم ما تخسرينه في هذا الاختلاط ، هو ذهاب الحياء ، عنوان العفة والطهارة استمعي إلى تلك الكاتبة الإنجليزية « اللادى كوك » وهي تقول : إن الاختلاط يألفه الرجال ، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها ، وعلى قدر كثرة الاختلاط ، تكون كثرة أولاد الزنا ، وههنا البلاء العظيم على المرأة .

أختي المسلمة : إن المجتمع الإسلامي لا يعرف ما عليه أهل الإسلام اليوم من اختلاط بغيض ، مجتمع كامل وسليم ، يختلف عن تلك المجتمعات الأوربية .

تأملي : في الستينيات زارت الكاتبة الأمريكية « هيلين ستانبرى » مدينة القاهرة ، وفي مؤتمر صحفي ـ هكذا ـ سألها أحد المحررين بصحيفة الجمهورية عن رأيها في المرأة المصرية ، والمرأة الأمريكية ! لقد أجابت ـ وهي كافرة ـ قائلة : « إن مجتمع المسلمة مجتمع كامل ، وسليم ، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك ـ بتقاليده التي تقيد الشاب والفتاة ، في حدود المعقول ، إن هذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوربي ، والأمريكي ، فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة ، وتحتم احترام الأب ، والأم ، بل وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية التي تهدد المجتمع ، والأسرة في أوربا ، وأمريكا ، وذلك فإن القيود التي يفرضها المجتمع الإسلامي على الفتاة الصغيرة ـ وأقصد ما تحت العشرين ـ هذ القيود صالحة ، ونافعة ، ولهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم ، وأخلاقكم ، وامنعوا الاختلاط ، وقيدوا حرية الفتاة ، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب ، فهذا خير لكم من الإباحية والانطلاق، ومجون أوربا وأمريكا ، امنعوا الاختلاط ، لقد عانينا منه في أمريكا كثيرا ، ولقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعاً معقداً ، مليئاً بكل صور الإباحية ، والخلاعة ، وإن ضحايا الاختلاط يملئون السجون ، والأرصفة ، والبارات ، والبيوت السرية » .

تقول الداعية للكفر « أنا ميليجان » : ليس هناك طريق لهدم الإسلام أقصر مسافة

من خروج المرأة المسلمة سافرة متبرجة .

أختي المسلمة : مما سبق يتضح لك خطورة الاختلاط بالأجانب سواء كان في طلب للعلم ، أو في عمل ، أو في البيوت ، حقا لقد دخلت المرأة المسلمة الكثير من مجالات الحياة ولكن كان في حشمة ، وحياء ، وبعيداً عن مخالطة الرجال ، ومزاحمتهم في الأعمال .

تأملي : امرأة في الثلاثين من عمرها ، أو الأربعين ، تلهث وراء الأتوبيس ، وتختلط بهذا ، وذاك حتى تصل إلى عملها .

فتاة في العشرين من عمرها تتدافع الأيدي في عربة المواصلات ، وهي تتحامل حتى تصل إلى كليتها أو معهدها ، أهكذا يكون العمل ؟! هل بهذه الطريقة يطلب العلم ، حتى لو كان علماً شرعياً ؟ !

نعم قد تكون تلك المرأة محتاجة إلى الأموال التي تأخذها من عملها ، ولكن هل يكون ذلك على حساب دينها .

نعم إن الإسلام حض على طلب العلم ، ولكن هل يبدأ في طلب العلم بمعصية الله !!

إن المسلمة تقف مع تلك الوصية النبوية ، وتراجع نفسها ، وتنظر في تصرفاتها ، وأفعالها ،وكوني على ثقة أن من قام بما يرضي الله ، يسر الله له ما يريد ، وأن من تمسك بالتقوى لان لها الحديد .

فاتقي الله في مجملك ، وفي قولك ، وتمسكي بطاعته ، لتفوزي برضا مولاك ، يوم لا ينفعك المال ، ولا يغني عنك الأولاد .

والحمد لله رب العالمين .

* * *

٤١ احذري الزواج بغير ولي

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة نُكحت بغير إذن وليها ، فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها ، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له »[1] .

أختي المسلمة : المراد من الزواج في الإسلام هو الاستقرار ، وحلول المحبة والوئام ، والسرور والمودة بين الرجل والمرأة ، وتعمير الأرض بالذرية الصالحة ، والأسرة هي الخلية الأولى في بناء المجتمع ، فإذا صلحت صلح سائر المجتمع ، وإذا فسدت فإنها قد تؤدي إلى فساد المجتمع كله ، وانطلاقاً من هذه الأهداف النبيلة ، وضع الإسلام من الضوابط ، والحدود ما يجعل الوصول إلى تلك الغايات من الأمور اليسيرة لا العسيرة .

أختي المسلمة : قبل الحديث عن ضابط من تلك الضوابط ألا وهو وجود الولي في عقد النكاح ، هلمي بنا لنعود قليلاً إلى الحياة قبل الإسلام ، لقد كان رب الأسرة في الجاهلية هو الولي ، وفي حال عدم وجوده يقوم مقامه الابن الأكبر ، أو العم ، وكان يمارس سلطته في تزويج أولاده الصغار والكبار ، وخاصة الأبكار من بناته ، فكان إذا تقدم في يوم من الأيام رجل يطلب الزواج من ابنته البكر ، وارتضاه الأب ، زوجه إياها ، وليس للبنت أن تمتنع ، بل ليس لها أن تبدي رأيها فيمن تقدم إليها .

أما الثيبات ممن تعاقب عليهن الرجال ، لطلاق ، أو وفاة ، فكان أمرهن بأيديهن فمن تقدم إلى خطبة الواحدة منهن ، نظرت إليه ، فإذا ارتضته لنفسها ، طلبت منه أن يخطبها من أبيها ، أو ممن يقوم مقامه .

ومن ذلك القبيل أن خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - وهي من سيدات

---

(١) صحيح ، أخرجه أحمد (٤٧/٦ ، ١٦٥) ، والطيالسي (١٤٦٣) ، وأبو داود (٢٠٨٣) ، والترمذي (١١٠٨) وقال : حديث حسن ، وابن ماجه (١٨٧٩) ، والدارمي (١٣٧/٢) ، وابن حبان (١٥١/٦) ، والدارقطني (٣٨١) ، والحاكم (١٦٨/٢) ، والبيهقي (١٠٥/٧ ، ١٠٧) في السنن الكبرى ، وأبو نعيم (٨٨/٦) في الحلية ، والبغوي (٣٩/٩) في شرح السنة ، وانظري كلام أهل العلم عليه في : تلخيص الحبير (١٥٦/٣ - ١٥٧) ، السنن الكبرى (١٠٥/٧ ، ١٠٧) ، إرواء الغليل (١٨٤٠) .

قريش ، أرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ، بأنها قد أحبت أن تتزوج محمداً ﷺ ، فخطبها عمه أبو طالب .

فلما جاء الإسلام أقر ولاية الولى ، ولكنه عدل بعض الأمور حتى تتفق تلك الولاية مع الأسس التى جاء بها ، فاشترط الإسلام فى الولى : الحرية ، والعقل ، والبلوغ ، والإسلام بالتأكيد .

أختى المسلمة : من المعروف والمعلوم أن المرأة كثيرة العاطفة ، وكثيراً ما تخضع لحكم عاطفتها ، فلا تحسن الاختيار ، فإذا اختارت ربما تسئ إلى نفسها من حيث لا تشعر ، ومن أجل تلك الحكمة العظيمة جعل الإسلام الولى قيماً على المرأة يرعى شئونها ، ويساعدها فى اختيارها ، فيتحرى لها صلاح الخاطب ، واستقامته ، ودينه فى المرتبة الأولى .

وليس للولى أن يفرض عليها زوجاً لا ترغب هى فيه ، فينبغى للولى أن يبدأ فيأخذ رأى ابنته ، ويعرف أراضية هى أم لا ؟ إذ كيف تدوم العشرة بين اثنين ليس بينهما رغبة إلى بعضهما البعض .

أختى المسلمة ، هكذا أراد الإسلام ، ولكن لما كان استبداد الآباء ، فى تزويج بناتهم فى العصور المتأخرة حدث الشقاق والنفور ، وكثر وقوع الطلاق ، وخراب البيوت .

تأملى أختى المؤمنة قول المولى جلت قدرته : ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾[1] .

وإلى قوله عز شأنه : ﴿ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ﴾[2] .

عندما تتأملين فى الآيتين الكريمتين سوف تجدين أن المخاطب هم الرجال ، سواء الآباء ، أو الذين يقومون مقامهم ، أو الذين يريدون الزواج ، فكأن الله تبارك وتعالى يقول لأولياء الأمور لا تنكحوا أيها الأولياء موليَّاتكم للمشركين .

أختى المسلمة : إن المرأة المسلمة لها حقها فى قبول أو رفض من جاء يطلب يدها ولاحق لوليها أن يجبرها على قبول من لا تريد ، ولا أن يمنعها أن تتزوج من رضيته ، من أهل الدين والخلق .

---

(١) سورة النور : ٣٢ (٢) سورة البقرة : ٢٢١

اسمعي إلى رسولك ﷺ وهو يقول : « لا تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتّى تُسْتَأْمَرَ ، وَلا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتّى تُسْتَأْذَنَ » ، قالوا : يا رسول الله وكيف إذنها ؟ قال : « أَنْ تَسْكُتَ »[1] .

بل تسأل أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ النبي ﷺ فتقول : يا رسول الله إن البكر تستحي ؟!! فيقول ﷺ : « رِضَاهَا صَمْتُهَا »[2] .

بل إن زوجها وليها وهي ليست كارهة ، فهي بالخيار ، ثيباً كانت ، أو بكراً ، إن شاءت أمضت ما فعل وليها ، وإن شاءت ردته .

اسمعي أختي المؤمنة لهذه القصة التي حدثت في عهد النبوة .

عن خنساء بنت خذام الأنصارية أن أباها زوجها ، وهي ثيب ، فكرهت ذلك ، فأتت رسول الله ﷺ ، فرد نكاحها[3] .

هكذا أختي المسلمة : يعلمنا الإسلام أن البنت البكر لا تزوج بغير إرادتها ، واكتفى بسكوتها في التعبير عن إرادتها ، لأن الحياء هو معلوم بالنسبة إلى البكر يمنعها أن تفصح عن رغبتها ، فيستدل على رضاها بسكوتها .

وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يرى أن تتولى الأم مشاورة ابنتها ، وتسمع رأيها ، فيقول : « آمروا النساء في بناتهن » . إذ من المشاهد والمعروف أن البنت أميل إلى الإفصاح لأمها ، وربما علمت الأم من حال ابنتها ما يخفى عن الأب .

أختي المؤمنة : هذا الحديث كان بالنسبة للبكر ، أما المرأة الثيب فلا تزوج إلا بإذنها الصريح ، ولا يمنعها عن التصريح ما يمنع البنت البكر ، ولا يحل بحال من الأحوال لوليها أن يعقد نكاحها إذا لم يستأذنها ، ولم يتحقق من إرادتها الصريحة ، والدليل على ذلك ما سبق ذكره من أحاديث نبوية صريحة في هذا الشأن ، اسمعي أختي المسلمة وتأملي قول ابن القيم رحمه الله ، وهو يقول : « إن البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها في أقل شيء من مالها إلا برضاها ، ولا يجبرها على إخراج اليسير منه بدون إذنها ، فكيف يجوز أن يخرج نفسها منها بدون رضاها ؟!! ومعلوم أن إخراج

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣/٧) ، ومسلم (٢٠٢/٩) ، وأبو داود (٢٠٩٢) .
(٢) البخاري (٢٣/٧) ، ومسلم (٢٠٤/٩) بنحوه ، وأبو داود (٢٠٩٤) .
(٣) البخاري (٢٣/٧) ، وأبو داود (٢١٠١) .

مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لا تختاره »[1] .

ولهذا فقد نهى الإسلام الآباء عن عضل النساء ، أى عن حبسهن عن الزواج مع وجود صاحب الخلق والدين ، فإن الولي إذا منع حرمته من التزويج فقد منعها الحق الذى أبيح لها من النكاح إذا دَعَتْ إلى كفء لها .

اسمعي أختي المسلمة : عن الحسن في قوله عز وجل : ﴿ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ ﴾[2] قال : حدثني معقل بن يسار أنها نزلت فيه ، فقال : زوجت أختا لي من رجل فطلقها ، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها ، فقلت له : زوجتك ، وفرشتك ، وأكرمتك ، فطلقتها ، ثم جئت تخطبها ، لا والله لا تعود إليك أبداً ، وكان رجلاً لا بأس به ، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ فلا تعضلوهن ﴾ . فقلت : الآن أفعل يا رسول الله . قال : « فزوجها إياه »[3] .

أختي المسلمة : من هذا الحديث علمنا أن الإسلام ينهى الآباء عن ظلم البنات ، وحبسهن عن الزواج مع وجود الكفء ، وتعلمنا كذا أن الولى في الزواج من الشروط الهامة ، فالحديث دليل على اعتبار الولى ، وإلا لما كان لعضله معنى ، إذ أنها لو كان لها أن تقوم بتزويج نفسها بنفسها لفعلت ، ولم تذهب إلى أخيها ، الذى ينوب عن والدها ، ويقوم بدوره .

أختي المسلمة : وقبل أن نودع تلك الوصية النبوية أريدك أن تسمعي هذه النصيحة .

احذرى الزواج السرى والعرفى

أختي المسلمة : يحدث الآن في دنيا الناس لبعدهم عن الشرع الحنيف ، ولأغراض في أنفسهم لا يعلمها إلا الله ، أنهم يقومون ببعض صور الزواج التى ينبغى لك أن تعلمى حكمها ، وتعلميها لمن لا تعلمها من المسلمات .

أولا : الزواج السرى : هو الذى يتولاه الزوج والزوجة دون أن يحضر فيه الشهود ، ودون أن يعلم أحد ، ولا يدون في وثيقة رسمية ، ويعيش الزوجان معاً في ظله مكتوماً أمرهما لا يعرفه أحد من الناس سواهما .

---

(١) زاد المعاد (٢/٤) بتصرف . (٢) سورة البقرة : ٢٣٢ (٣) البخارى : (٢١/٧) .

وقـد أجمـع الفقهاء على أن هذا الزواج باطل ، لفقده شرط الصحة ، وهو الشهادة ، فإذا حضره الشهود ، وأخبروا به كان صحيحاً ، وإن كتم الزوجان ، والشهود أمر الزواج ، ولم يشيعوه كان مكروهاً ، هذا بالنسبة للزواج السرى .

ثانياً : الزواج العرفى : أختى المسلمة : إن صورة الزواج العرفى هو الذى يشهده الشهود ، ولكنه لا يكتب فى الوثيقة الرسمية التى بيد المأذون ، وهو عقد استكمل الأركان والشروط التى اعتبرها الفقهاء فى صحة العقد ، وبهذا العقد تثبت جميع الحقوق للزوج وللزوجة شرعاً ، لكن ينقصه الاثبات الرسمى الذى تصح به المطالبة أمام المحاكم حفظاً للأسر ، وصيانة للمرأة لحقوقها ولما كان الزمان غير الزمان ، والناس غير الناس ، فقد فسدت الذمم وخربت الضمائر ، وغرر بكثير من النساء ، وضيع الأولاد نتيجة عدم توثيق عقد الزواج ، وإنكار من لاخلاق لهم هذا الزواج كان على المرأة أن تحرص على توثيق الزواج حفاظا لحقوقها وحقوق أولادها .

أختى المؤمنة : من الأحكام النبوية التى ختمت بها هذه الوصية المباركة قوله : « فإن دخل بها فلها المهر » أى أن المهر لا يعود إلى الرجل بعد الفرقة بينهما ، إنما هو للمرأة بما استحل من المعاملة معها ، أما قوله ، « فإن اشتجروا » أى الأولياء إن اختلفوا ، وتنازعوا اختلافاً للعضل كانوا كالمعدمين .

والمراد هو المنع من العقد دون المشاحة فى السبق إلى العقد ، فأما إذا تشاجروا فى العقد ، ومراتبهم فى الولاية سواء ، فالعقد لمن سبق إليه منهم ، إذا كان ذلك نظراً منه فى مصلحتها .

أما قوله ، « فالسلطان ولى من لا ولى له » فى حالة امتناع الولى من التزويج فكأنه لاولى لها ، فيكون السلطان وليها ، وإلا فلا ولاية للسلطان مع وجود الولى من أب ، أو أخ . . إلخ .

وهكذا أختى المسلمة : تنتهى الوصية النبوية ، ونصل إلى نهاية المطاف لنبدأ الطريق سوياً من جديد ، خلف النبى ﷺ .

فهلمى بنا نتعلم من وصية جديدة من وصايا المصطفى ﷺ

٤٢ إياك وقول الزور

عن أسماء بنت أبى بكر أن امرأة سألت النبى ﷺ ، فقالت يا رسول الله لى جارة - أى ضرة فكرهت أن تقول ضرة - فعلى جناح أن أتشبع من زوجى بما لا يعطينى ؟

فقال رسول الله ﷺ : « الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَىْ زُورٍ »[1] .

بين يدى الوصية

أختى المسلمة : لم يستحدث الإسلام تعدد الزوجات ، فلقد كان هذا المبدأ شائعاً عند العرب ، وغيرهم من البشر ، والهنود ، والنصرانية فى وقت ما ، ولقد علل علماء الاجتماع ظاهرة التعدد بعوامل اجتماعية واقتصادية عديدة منها :

١ - هناك ضرورة تفرضها طبيعة الحياة الدنيوية ، إذ تقرر فى علم إحصاء السكان أن الذكور الصغار أكثر تعرضاً للموت من الإناث ، وهذا يؤدى بدوره إلى كون الشباب أقل عدداً من الفتيات .

٢ - هناك ضرورة تحتمها النظم الاجتماعية للحياة ، فهناك الحروب التى تفنى الكثير من الرجال ، بينما النساء قابعات فى البيوت ، ولقد بلغ عدد الأيامى من النساء فى أوربا ما يزيد على ٢٥ مليون امرأة بعد الحرب العالمية الثانية .

٣ - وهناك ضرورة فردية منها : أن تكون المرأة عاقراً ، أو مشاركة الزوج فى أعماله من حراثة الأرض ، وجنى الغلال ، والقيام بأعباء المنزل .

فإذا وُجدت الأسباب السابقة ، ودعت الضرورة إلى تعدد الزوجات ، فلقد اشترط الإسلام العدل بين الزوجات فى الطعام ، والشراب ، والكساء ، بل والنوم .

وهكذا ترين أختى المسلمة أن تعدد الزوجات كما جعله الإسلام من أفضل الحلول لحياة الإنسان ، وأولى وأجدى من سعى الرجل وراء المشبقات .

---

(١) صحيح . أخرجه أحمد (٦/٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٣) ، والبخارى (٧/٤٥) ، ومسلم (١٤/١١٠) ، وأبو داود (٤٩٧٦) ، والترمذى (٢١٠٣) ، والحميدى (٣١٩) ، والطبرانى (٣٢٢) ، (٣٢٣) ، (٣٢٤) ، (٣٢٦) فى الكبير .

فكما رأينا قد تصاب المرأة بالعقم ، فإن منعنا التعدد ، فإما أن يصبر الزوج ويبقى على حياته الزوجية ، وبهذا قد فقد الزواج معناه والهدف منه ، وإما أن يلجأ إلى الطلاق ، وكذا الحال إذا أصيبت المرأة بداء يقعدها عن القيام بواجباتها المنزلية فلا شك أن صبر المرأة المسلمة على التعدد أفضل لها من الطلاق ، خصوصاً إذا كان لديها أولاد ، ولا شك كذلك أن يتزوج الرجل بأكثر من امرأة فى حالة فقدان الرجال فى الحروب خير للنساء من أن يجلسن فى البيوت بلا أزواج ، وقد يؤدى هذا ببعضهن إلى القيام بالفحشاء ، وهذا ما يحدث الآن فى الغرب .

ويبقى أن نقول : إن عدم التزام الرجال فى عصرنا ـ إلا من رحم الله ـ بالعدل حين تعدد زوجاته لا يعيب من تشريع الإسلام ، إنما العيب فى الرجال الذين يسيئون إلى دينهم .

وصدق الأمام الشافعى ـ رحمه الله ـ حين قال

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

أختى المسلمة :هكذا عرفت ما المراد بتعدد الزوجات ، ومتى يشرع ، وفوائده والآن هلمى بنا نتفكر فى الوصية النبوية التى بين أيدينا

أختى المسلمة : الحياة بين المسلمة وأختها المسلمة لابد أن يشع فيها السعادة والأخوة الصادقة والتعاون على إرضاء الله تبارك وتعالى

ولكن كما جرت عادة أغلب النسوة هو الدخول فى عراك ، وشجار ، ونسيان أن المؤمنات المسلمات أخوات ، إذا مرضت منهن واحدة سارعن جميعاً فى التخفيف عنها ، ورفع المصاب منها ، فأنت أختى المسلمة من الجدير بك أن تسعين إلى التعرف على أترابك من الأخوات المسلمات ، وإيجاد نوع من التعاون بينكن فى شتى نواحى الحياة الإسلامية ، وخلق مناخ إسلامى فيما بينكن تجدن فيه الأنس .

وفى هذه الوصية التى نتأمل فيها الآن : تأتى امرأة إلى الرسول ﷺ ، وامتلأ قلبها بالحسد والحنق على ضرتها ، التى يفترض أن يكونا على قلب واحد ، وبدن واحد ، وهدف واحد ، فتقول : يا رسول الله إن لى ضرة ، فهل على جناح إن قلت إن زوجى أعطانى ما لم يعطنى ؟! فيقول لها النبى ﷺ : « المتشبع بما لم يعط » يعنى الذى ، أو التى يتزين ، ويتكثر بما ليس عنده حباً فى الظهور ، والرياء ، كالمرأة التى تكون عند

الرجل ولها ضرة فتدعى أن زوجها قد أتى لها بكذا وكذا من الملبس ، أو أعطاها كذا وكذا من المال أكثر مما كان فى الحقيقة ، أو بما لم يكن له وجود فى الحقيقة تريد بهذا أن تغيظ ضرتها ، وترفع من نفسها ، فهى أشبه ما تكون « كلابس ثوبى زور » .

يعنى أنت بفعلك هذا أشبه بذلك الذى يلبس ثياب أهل الزهد ، والعبادة، والورع ، ومقصوده أن يظهر للعباد أنه قد اتصف بتلك الصفة ، أو تلك .

ويظهر من الخشوع ، والتقشف ، والزهد أكثر مما فى قلبه فهذه ثياب زور ورياء ، وهو كمن لبس ثوبين لغيره وادعى أنهما له .

وأنت أيتها المرأة بفعلك هذا تكونين قد أدعيت زوراً وبهتاناً عظيماً .

ويحكى أنه كان فى العرب أحد الرجال يلبس ثوبين من ثياب المعاريف ليظنه الناس أنه رجل معروف محترم ، لأن المعاريف لا يكذبون ، فإذا رآه الناس على هذه الهيئة يعتمدون على قوله ، وشهادته على الزور ، لأجل تشبيه نفسه بالصادقين ، وكان ثوباه سبب زوره ، فسميا ثوبى زور ، أو لأنهما لبسا لأجله ، وثنى باعتبار الرداء والإزار فشبه هذه المرأة بهذا الرجل .

ومن الملامح البلاغية فى قوله : « ثوبى زور » قيل : إنما شبه بالثوبين لأن المتحلى كذب كذبتين ، فوصف نفسه بصفة ليست فيه ، ووصف غيره بأنه خصه بصلة ، فجمع بهذا القول بين كذبتين .

أختى المسلمة : نتعلم كما رأيت أن نحيا دائما بصورتنا الحقيقية ، لا نمدح أنفسنا بما ليس فينا ، ولا نرفع أنفسنا بالزور فوق أقدارنا ، ونتعلم كذلك حسن العلاقة بين المسلمة وأختها المسلمة ، حتى لو كانت ضرتها .

ونتعلم أن الغيرة التى تشتد عادة بين الضرائر ينبغى أن تكبح ، وألا تؤدى إلى ما يجلب غضب الله ، فإن الزوجات إذا كثر منهن النزاع والشقاق ، ربما أدى ذلك إلى حسرة الزوج ، وندمه على جمعه بينهن .

استمعى إلى تلك القصة : قال الأصمعى : قيل لأعرابى : من لم يتزوج امرأتين لم يذق لذة العيش ، فتزوج امرأتين ، ثم ندم ، فقال :

تزوجتُ اثنتين لفرطِ جَهْلى بما يشقى به زوجُ اثنتين

فقلت أصيرَ بينهما خروفاً | أنعَمَ بين أكرم نعجتين
فصرتُ كنعجة تُمسي وتُضحي | تردّدُ بين أخبثِ ذئبتين
رضى هذى يهيج سخط هذى | فما أعرى من إحدى السخطتين
وألقَى فى المعيشة كلَّ بؤس | كذاك المرءُ بين الضرّتين
لهذِى ليلةٌ ولتلك أخرى | عتابٌ دائمٌ فى الليلتين[1]

أما عندما تلتزم النسوة المسلمات حدود الشرع الحنيف ، فإن البهجة والسرور ترف على البيت ، ويبدو بوضوح فضل الإسلام على بنى الإنسان .

والحمد لله رب العالمين ، هكذا تنتهى وصية الرسول ﷺ الأمين .

٤٣ خطأ شائع تقع فيه بعض الزوجات !!

عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال النبى ﷺ « لاَ تُبَاشِرُ المَرْأة المرأة فَتنعتَهَا لِزَوْجِهَا ، كأنَّهُ ينظُرُ إليْهَا »[2] .

أختى المسلمة : يعمل الإسلام على سد الذرائع التى تقف فى حياة الناس ، فبداية يحذرهم من السير فى هذا الطريق ، لأنه قد يكون سبباً لهلاكهم .

تأملى فى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ الزِّنَا ﴾[3] .

لم يقل ربنا لا تفعلوا ، بل لا تقربوا ، يعنى لا تفعلوا ما يقرب إليه ، ابتعدوا عن النظرات ، ابتعدوا عن الأسباب التى قد تؤدى إلى الزنا ، فقال عز شأنه : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾[4] .

وفى هذه الوصية النبوية ، يرشد الرسول ﷺ النساء إلى سد ذريعة ، قد تؤدى إلى زعزع أركان بيوتهن ، والوصول إلى تطليقهن .

---

(١) أمالى القالى (٣٥/٢ ـ ٣٦) ، وبهجة المجالس لابن عبد البر (٤٢/٣) .

(٢) أخرجه البخارى (٤٩/٧) ، وأبو داود (٢١٥٠) ، والترمذى (٢٩٤٤) ولفظه : (تصفها لزوجها) ، وأحمد (٣٨٠/١) ، وأبو داود الطيالسى (٣٥) ، وابن حبان (١٨٣/٦) ، (٤٤١/٧) ، والطبرانى (١٠٤١٩) فى الكبير ، والبيهقى (٢٣/٦) فى السنن الكبرى .

(٣) سورة الإسراء : ٣٢ (٤) سورة النور : ٣٠

أختي المؤمنة : كم من مرة تسمعين عن امرأة ، قد طلقها زوجها ، وتزوج بصديقة لها ، أو جارة في سكنها ، أو بقريبة لها ، لم يكن للزوج سابق معرفة بها إلا عن طريق زوجه ؟!!!

فالرسول ﷺ يوصي المرأة ، فيقول لها : إياك أن تجلسي مع زوجك ، فتصفين له أجزاء بدن فلانة ، أو أوصاف جسدها ، من حيث اللبونة ، أو الحسن ، حتى كأن زوجك ينظر إلى فلانة تلك ، وقد جسدت أمامه ، فقد يفضي هذا بدوره إلى إعجاب الزوج بها ، واستيلاء الشيطان على قلبه ، فيفتتن بها ، فتسول له نفسه أن يطلقك أو أن يفسد تلك الزوجة على زوجها ، ويتزوج تلك الموصوفة .

وهكذا يسمو الرسول ﷺ بمشاعر المرأة ، ويرفع من أخلاقها ، فجزاه الله كل الخير عما قدمه للإسلام والمسلمين ، وصلى الله عليه وسلم في الأولين والآخرين

٤٤ انظري إخوانك من الرضاعة

عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها رجل ، فكأنه تغير وجهه ، كأنه كره ذلك ، فقالت : إنه أخي . فقال : « انظرن من إخوانكن ، فإنما الرضاعة من المجاعة »(١) .

أختي المسلمة : نظم الإسلام العلاقة بين أفراد مجتمعه أحسن تنظيم ، وأعطى كل فرد حكمه الذي يسير من خلاله ، ويعمل عن طريقه .

فنظم العلاقة بين الأم ، وولدها الرضيع ، فقال جل شأنه :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلا وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٢) .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣/٣) ، (١٢/٧) ، ومسلم (٣٤/١٠) ، وأبو داود (٢٥٠٨) ، والنسائي (١٠٢/٦) ، والدارمي (١٥٨/٢) ، وأحمد (٩٤/٦ ، ١٣٨ ، ١٧٤ ، ٢١٤) والبيهقي (٤٥٦/٧) في السنن الكبرى .

(٢) سورة البقرة : ٢٣٣

أختي المسلمة : أحيانا يحدث أن تقوم إحدى المسلمات تطوعاً منها ، لعذر قد منع الأم من ارضاع طفلها ، فترضعه تلك الجارة ، وربما تنسى مع مرور الأيام ، أو بعد وفاتها بتقدم ذلك الرضيع ، الذى صار شاباً ، لكى يتزوج بإحدى بنات تلك السيدة التى هى أمه من الرضاعة ، وربمـا يحدث الزواج لنسيان الجميع هذه الرضاعة التى تمت ، ومن هنا يقع المسلم فى المحذور ، إذ أنه يتزوج أخته من الرضاعة .

ومن هنا أختى المسلمة ، كان لنا أن نتوقف مع أحكام هذا الباب ، تتعلم مما تركه لنا النبى ﷺ ، لقد دخل الرسول ﷺ على عائشة ـ رضى الله عنها ـ فتغير وجهه ، لمفاجأة المشهد الذى رآه ، وظهر الغضب على وجهه الشريف ، ثم قال : ياعائشة من هذا ؟! فتقول أم المؤمنين : إنه أخى من الرضاعة . فيرد عليها ﷺ : « انظرن من إخوانكن » يعنى تأملن من إخوانكن من ذلك الرضاع ، هل هو رضاع صحيح بشرطه : من وقوعه أثناء زمن الرضاعة ، وبمقدار يحكم له بالأخوة بعدها ، وذلك لأن الحكم الذى ينشأ من الرضاع له شروط ، وأحكام لم يتبعه بقوله ﷺ « إنما الرضاعة من المجاعة » يعنى إنما الرضاعة المحرمة للخلوة ونحوها من المجاعة أى الجوع .

أختى المؤمنة : هكذا رأينا أن الأمر جد خطير ، ومن هنا كان لنا أن نقف وقفة ، إذ أنك الآن تتساءلين : هل هناك من الأعداد ما يثبت به حكم الرضاعة ، ويسرى عليه حكم التحريم ؟

لقد اختلف العلماء فى هذا الأمر اختلافاً كثيراً ، لكن نستطيع أن نجمل هذا الاختلاف إلى أقوال ثلاثة .

القول الأول : هو أن قليل الرضاع ، وكثيره سواء في التحريم ، واستدلوا بأن الآية الكريمة : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ ﴾[1] . جاءت مطلقة ، فلم تحدد عدد الرضعات ، واستدلوا بأن عقبة بن الحارث قال : تزوجت فلانة بنت فلان ، فجاءتنا امرأة سوداء ، فقالت أرضعتكما فأتيت النبى ﷺ فقلت تزوجت فلانة بنت فلان فجاءتنا امرأة سوداء فقالت لى : إنى قد أرضعتكما ، وهى كاذبة ، فأعرض عنى ، فأتيته من قبل وجهه ، قلت إنها كاذبة ، قال : « كَيْفَ بِهَا ، وَقَدْ زَعَمَتْ أَنَّهَا قَدْ أَرْضَعَتْكُمَا ، دَعْهَا عَنْكَ »[2] . قالوا : لم يسأله النبى ﷺ عن عدد

---

(١) سورة النساء : ٢٣

(٢) البخارى (١٣/٧) ، والترمذى (١١٦١) ، والنسائى (١٠٨/٦) ، وأحمد (٨٠٧/٤ ، ٣٨٤) .

الرضعات ، وأمره بتركها ، ومن هنا عرف أنه لا اعتبار إلا بالإرضاع نفسه ، فحيث وجد اسمه وجد حكمه

وله أدلة أخرى ، ولقد ذهب إلى القول من العلماء : الإمام «علي» ، و «ابن عباس» ، و «سعيد بن المسيب» ، و «أبو حنيفة» ، و «مالك» ورواية عن «أحمد»

أما القول الثاني : بأن التحريم لا يثبت بأقل من خمس رضعات متفرقات .

واستدلوا بقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ «كان فيما نزل من القرآن «عشر رضعات معلومات يحرمن» ، ثم نسخن بخمس معلومات ، فتوفي رسول الله ﷺ ، وهي فيما يقرأ من القرآن»[1] .

وأعترض على هذا الدليل بأن القرآن لا يثبت إلا متواتراً ، وأنه لو كان كما قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ لما خفي على المخالفين ، ولا سيما الإمام علي وابن عباس رضي الله عنهما .

وعلى العموم ، فلقد ذهب إلى ذلك القول : «ابن مسعود» ، وإحدى الروايات عن «عائشة» و «الشافعي» ، و «أحمد» في ظاهر مذهبه ، وابن حزم ، وأكثر أهل الحديث .

القول الأخير : يذهب إلى أن التحريم يثبت بثلاث رضعات ، فأكثر ، واستدلوا بقوله ﷺ : «لا تُحَرِّمُ الْمَصَّةُ وَلا الْمَصَّتَانِ»[2] . قالوا : هذا نص صريح في نفي التحريم بمادون الثلاث ، فيكون التحريم منحصرا ، فيما زاد عليهما .

ولقد ذهب إلى هذا القول : «أبو عبيد» ، و «داود الظاهري» ، ورواية عن «أحمد» .

هكذا أختي المسلمة رأيت كيف أن هذا الأمر يجدر بك أن تتنبهي إليه ، وتعلميه لغيرك من أخواتك المسلمات .

فهلمي بنا لنقرأ وصية أخرى من وصايا الرسول ﷺ للنساء .

---

(١) مسلم (٢٩/١٠) ، وأبو داود (٢٠٦٢) ، والنسائي (١٠٠/٦) ، وابن ماجه (١٩٤٢) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٨/١٠) ، وأبو داود (٢٠٦٣) ، والترمذي (١١٦٠) ، وابن ماجه (١٩٤٠) ، (١٩٤١) وأحمد (٤/٤) ، (٣١/٦ ، ٩٦ ، ٢١٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٠) ، والنسائي (١٠١/٦) .

٤٥ بيعة النساء وأحكامها

عن أميمة بنت رقيقة ـ رضى الله عنها ـ قالت : أتيت النبى ﷺ فى نسوة أبايعه ، فاشترط علينا ما فى القرآن : « لا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه » ثم قال لنا : « فيمَا استَطَعْتُنَّ وأَطَقْتُنَّ » قلنا : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا قلنا : يا رسول الله ألا تصافحنا ؟ ! قال : « إنِّى لا أصَافِحُ النِّسَاءَ ، إنَّمَا قَوْلِى لِمَائَةِ امْرَأةٍ كَقَوْلِى لامْرَأةٍ وَاحِدَةٍ »[1] .

أختى المسلمة : لقد جاء الإسلام ليرفع من شأن المرأة ، بعد أن كانت مهدرة الكرامة ، فبعض الشعوب كانوا ينظرون إلى المرأة على أنها ليست بإنسان ، وهذه هى نظرة الأمم النصرانية حتى قال واحد منهم ، وهو الملقب بالقديس « ترتوليان » : إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ، ناقضة لنواميس الله ، مشوهة للرجل وبعض الشعوب كالفرس نظروا إليها نظرة استعباد ، فلا حق لها فى شئ ، ولا رأى ، بل يحق للرجل أن يحكم عليها بالموت ، أو ينعم عليها بالحياة .

وبعض الشعوب كاليهود كانوا ينظرون إليها على اعتبار أن البنت فى مرتبة الخادم ، بل ويحق لأبيها أن يبيعها قاصرة ، وعندما يصيب زوجة أحدهم الحيض لا يجالسها ، ولا يؤاكلها ، ولا تلمس هى وعاء حتى لا يتنجس .

أما عند العرب فلم تكن أحسن حالاً مما سبق ، فلما جاء نور الإسلام تغيرت الصورةتماماً ، فرفعت المرأة من ضعة ، وأمنت على حياتها من الخوف ، أو الموت ، بل وأعلن الإسلام للناس جميعاً أنهم من أصل واحد فى الخلقة ، فقال جل شأنه ﴿ يَا أيها النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[2] .

هيا أختى المسلمة نحيا مع المسلمات الأوائل ، مع المهاجرات وهن يبايعن نبى الهدى ﷺ .

---

(١) صحيح ، أخرجه مالك (٩٤٢) ، وأحمد (٣٥٧/٦) ، والترمذى (١٦٤٥) ، والنسائى (١٤٩/٧) ، وابن ماجه (٢٨٧٤) ، والحميدى (٣٤١) ، وابن حبان (٤١/٧) ، والطبرانى (٤٧٠) ، (٤٧١) (١٨٦/٢٤ ـ ١٨٧) فى الكبير .

(٢) سورة النساء : ١

لقد جاء إلى الرسول ﷺ مجموعة من النسوة ، وعلى رأسهن أميمة بنت رقيقة رضى الله عنها ، جئن لكى يبايعنهن على الإيمان والإسلام ، والقيام بأوامر الرحمن تبارك وتعالى .

ولقد جاءت تلك البيعة المباركة في القرآن الكريم ، فأنصتي إلى رب العالمين وهو يقول : ﴿ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴾[1] .

انظرى أختى المسلمة فى هذه الوصية الطيبة التى جاءت من ربنا عز وجل ، فإن المرأة المسلمة إذا نظرت فيها ، وتأملت فى مضامينها ، فازت برضا ربها .

هلمى أختى المسلمة تفكرى فى تلك البيعة ، لأنك فى حاجة إلى بيعة أنت الأخرى ، إلى بيعة مع الله ، تعاهدين فيها ربك على الثبات على طريق الإيمان ، والالتزام بتعاليم الإسلام ، ولكن قبل أن نترك تلك الوصية ، فلنتوقف سوياً مع قوله ﷺ : « إنى لا أصافح النساء » .

أختى المسلمة : لقد كانت السنة النبوية أن تكون بيعة الرجال بالمصافحة ، وتكون باليد اليمنى ، فلقد جاء عمرو بن العاص إلى الرسول ﷺ وقال له : أبسط يمينك لأبايعك ، فبسط يمينه ، وهكذا كانت تتم البيعة بالنسبة للرجال بالمصافحة .

فلما جاءت النساء لتبايع ظنن أن نفس الشئ سيكون من النبى ﷺ فى حقهن ، فقلن : يا رسول الله ألا تصافحنا ؟! فقال لهن : « إنى لا أصافح النساء ، إنما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة » فعلمنا من قوله هذا أنه عليه الصلاة والسلام لم تمس يده قط يد امرأة غير زوجاته ، لا فى مبايعة ، ولا فى غيرها ، وإذا لم يفعل هو ذلك مع عصمته ، وانتفاء الريبة فى حقه ، فغيره أولى بذلك .

اسمعى أختى المسلمة إلى أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ وهى تقول : « والله مامست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط »[2] .

ألا فاعلمى أختى المؤمنة أنه لا يجوز لرجل أجنبى أن يلمس بشرتك ، من غير ضرورة ، فإن من مس امرأة لا تحل له ، فقد وقع فى وعيد شديد .

---

(١) سورة الممتحنة : ١٢

(٢) أخرجه البخارى (٦٤/٧) ، ومسلم (١٠/١٣) .

تأملي . . قال معقل بن يسار قال رسول الله ﷺ : « لأن يُطعَنَ في رأسِ رَجُلٍ بِمَخيَطٍ مِنْ حديدٍ خيرٌ من أنْ يَمسَّ امْرَأة لا تحل له »[1] . ففي هذا الحديث وعيد شديد لمن مسَّ امرأة لا تحل له . .

نعم أختي المسلمة هناك حالات يجوز فيها أن يمس الرجال المرأة ، ولو كانت أجنبية ، وهي : التطبيب ، ونحوه مما لا يوجد امرأة تفعله ، جاز للرجل الأجنبي فعله للضرورة .

أختي المؤمنة : إن المصافحة ربما تكون ذريعة ، وبداية للفتنة ، وما من عاقلة إلا وتعرف الأخطار التي تنجم عن المصافحة ، والآثار التي تترتب على لمس الرجل الأجنبي للمرأة الأجنبية ، ولهذا فلقد حرص الإسلام على أن يسد هذا الطريق المؤدي إلى الوقوع فيما هو أشد ، وأكبر ، وبالتأكيد أختي المسلمة هذا الحكم هو بالنسبة للأجانب فقط ، أما المحارم من أب ، وأخ . . . فيجوز للواحد منهما أن يجلس مع ابنته ، أو أخته في خلوة ، وأن يصافحها ، بل ولقد كان النبي ﷺ من شدة حبه لفاطمة ـ رضي الله عنها ـ كان يعانقها ، ويقبل رأسها عندما يقدم من سفره ، وورد نفس الشيء عن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ نحو عائشة رضي الله عنها .

أختي المسلمة : أخيرا ربما تجدين من المسلمات من تهون هذا الفعل ، وتصغر من شأنه ، ألا فذكريها بقول النبي ﷺ لعائشة : « يا عائشةُ إياكِ ومحقرات الأعمال ـ وفي لفظ الذنوبِ ـ فإن لها من الله طالباً »[2] . وذكريها بقول التابعي الجليل بلال بن سعد : لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيت ، والحمد لله أولاً وآخراً .

٤٦ زوجك: جنتك ونارك

عن الحصين بن محصن أن عمة له أتت النبي ﷺ في حاجة ، ففرغت من حاجتها ، فقال لها النبي ﷺ : « أذات زوج أنت ؟ » قالت : نعم ، قال :

(١) رواه الطبراني والبيهقي ، ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح ، قاله المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٦٦) .

(٢) سبق تخريجه وشرحه .

« كَيْفَ أنتِ منهُ » قالت : ما آلوه إلا ما عجزت عنه . قال : « فانظُرى أينَ أنتِ منهُ ، فإنّما هُوَ جنّتك ونارك »[1] .

أختى المسلمة : الزواج فى حقيقته عبارة عن شركة بين رجل وامرأة من أجل بناء الجيل الصالح ، الذى يعبد ربه ، ويبنى ويعمر الحياة ، ، فأصل الزواج فى الإسلام هو حلول المودة ، والألفة ، والإيثار بين اثنين ، اسمعى قول الحق : ﴿ ومِنْ آياته أنْ خلَقَ لكُمْ مِنْ أنفُسكُمْ أزْوَاجاً لتَسكُنوا إليْهَا وَجَعَلَ بيْنكُمْ مَوَدّةً وَرَحْمَةً إنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لقَوْمٍ يتفكّرُونَ ﴾[2] .

ومن أجل دوام العشرة بين الزوجين ، جعل ربنا تبارك وتعالى ـ لكل من الرجل والمرأة حقوقاً لدى الآخر ، قال جل شأنه : ﴿ وَلَهُنَّ مثْلُ الذى عليْهِنَّ بالْمَعْرُوف وَللرجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[3] ، فمن حق المرأة على زوجها أن يقوم بتعليمها ، وتعريفها ما تحتاجه فى دينها ، تأملى قول الله تعالى : ﴿ يَا أيها الذينَ آمَنوا قُوا أنفُسكُمْ وأهْليكُمْ ناراً وَقُودُهَا النّاسُ وَالحجارة عليها ملائكة غلاظٌ شدادٌ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾[4] .

قال الإمام على ـ رضى الله عنه ـ أى أدبوهم ، وعلموهم ، ومن حق المرأة على زوجها أن يصونها ويغار عليها ، ومن حق المرأة عليه المعاشرة بالمعروف ، والتحبب إليها ، ومن حق المرأة على زوجها أن لا يتخونها ، ولا يتلمس عثراتها .

أختى المؤمنة لقد انطلقنا فى حقوق المرأة ، ولم نتكلم عن حقوق الرجل ، إن الرسول ﷺ يقول للمرأة « انظرى أين أنت منه ، فإنما هو جنتك ونارك » هو السبب الذى قد يؤدى إلى دخولك الجنة عندما تقومين بأداء حقوقه عليك ، فإن أهملتها ، ولم تعرفى له حقه ، فإنما هو نارك .

أختى المسلمة . . من واجبك أن تسعى جاهدة فى محاولة إرضاء زوجك ، وإدخال السرور على قلبه ، فلا يسمع منك إلا أطيب الحديث ، ولا يشم منك إلا أطيب الريح ، حتى يظل بيتكما فى تماسك ، واستقرار .

---

(١) أخرجه أحمد (٦/٤١٩) ، (٤/٣٤١) ، والحاكم (٢/١٨٩) وصححه ، وأقره الذهبى ، وأورده الهيثمى (٤/٣٠٦) فى مجمع الزوائد ، وقال : رواه الطبرانى فى الكبير ، والأوسط ، ورجاله رجال الصحيح ، خلا حصين ، وهو ثقة .

(٢) سورة الروم : ٢١ (٣) سورة البقرة : ٢٢٨ (٤) سورة التحريم : ٦

أختي المؤمنة إن حقوق الرجل عليك هي مقياس نجاحك في حياتك الزوجية ، فبمقدار شعور الزوج أنك تؤدين له حقوقه ، فبمقدار ما يعلو قدرك ، وحبك عنده . فمن حقه عليك : أن تحفظيه في دينه ، وعرضه ، وحواسه ، وشعوره ، ومن حقه عليك : ألا تخرجي من بيته بغير إذنه ، ومن حقه : ألا تأذني لأحد في بيته إلا بأذنه ، ومن حقه : أن تحفظي ماله ، ولا تتصرفي فيه بهواك ، ومن حقه : تدبير منزله ، والقيام بمعيشته ، ومن حقه : أن تبرى أهله ، وأخواته .

أختي المؤمنة : لا أجد ما أختم به تلك الوصية النبوية إلا وصية امرأة لابنتها في ليلة زفافها ، فهلمي بنا نسمع لها .

روى أن أسماء بنت خارجة الفزاري قالت لابنتها عند التزوج : « إنك خرجت من العش الذي فيه درجت ، فصرت إلى فراش لا تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكوني له أرضاً ، يكن لك سماءً ، وكوني له مهاداً ، يكن لك عماداً ، وكوني له أمة ، يكن لك عبداً ، لا تلحفي به فيقلاك[1] ، ولا تباعدي عنه فينساك ، إن دنا منك فاقربي منه ، وإن نأى عنك فأبعدي ، واحفظي أنفه ، وسمعه ، وعينه ، فلا يشمن منك إلا طيباً ، ولا يسمع منك إلا حسناً ، ولا ينظر إلا جميلاً » .

أختي المسلمة : من أجمل الوصايا التي حفظها لنا التاريخ ، وصية أم إياس التي تقول فيها لابنتها حين زفتها إلى زوجها : « أي بنية : إن الوصية لو كانت تترك لفضل أدب ، أو لتقدم حسب ، لزويت ذلك عنك ، ولأبعدته منك ، ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل » .

أي بنية : لو أن امرأة استغنت عن زوج لغنى أبويها ، وشدة حاجتهما إليها ، كنت أغنى الناس عن ذلك ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال .

أي بنيـة : إنك قد فارقت الحمى الذي منه خرجت ، وخلفت العش الذي فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك مليكاً ، فكوني له أمة يكن لك عبدا وشيكاً ، واحفظي له خصالاً عشراً ، تكن لك ذخراً .

أما الأولى والثانية : فالصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، فإن القناعة راحة القلب ، وفي حسن المعاشرة مرضاة الرب .

---

(١) أي ، لا تلحي عليه في طلباتك فيكرهك .

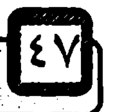
وأما الثالثة والرابعة : فالمعاهدة لموضع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عيناه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة : فالتعاهد لوقت طعامه ، والتفقد لحين منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله ، والإرعاء على حشمه وعياله ، وملاك الأمر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تفشين له سراً ، ولا تعصين له أمراً ، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره ، وإن عصيت أمره أوغرت صدره ، واتقي مع ذلك كله الفرح إذا كان ترحاً ، والاكتئاب إذا كان فرحاً ، فإن الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وأشد ما تكونين له إعظاماً أشد ما يكون لك إكراماً ، وأشد ما تكونين له موافقة أطول ما يكون لك مرافقة ، واعلمي يا بنية أنك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثري رضاه على رضاك ، وتقدمي هواه على هواك ، فيما أحببت أو كرهت ، والله يضع لك الخير ، وأستودعك الله .

وأنا لأختي المسلمة استودعك الله على رجاء من الله لن تكوني قد تعلمت من وصية الرسول ﷺ ما ينفعك الله به في الدنيا والآخرة .



٤٧ هلمي بادري إلى التوبة

قال الرسول ﷺ لعائشة ـ رضي الله عنها ـ : « إِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ، ثُمَّ تَابَ إِلَى اللهِ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ »(١) .

أختي المسلمة : التوبة إلى الله عز وجل هي طريق المؤمنة السالكة إلى ربها ، وزاد المسلمة في آخرتها ، فما أفلحت من أفلحت في يوم القيامة إلا بالتوبة النصوح ، التي فيها العزم على الإخلاص لله وحده ، والابتعاد عما يغضبه .

---

(١) هذا الجزء من حديث الإفك ، أخرجه البخاري (٦/١٣٠) ، ومسلم (١٧/١١١) ، وأحمد (٦/١٩٦) .

أختي المؤمنة هلمي تأملي في آيات الله الكريمة التي تدعوك للتوبة .

قال عز وجل : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[1] .

اسمعي أختي المسلمة إلى ربك ، وهو يفتح لك باب القبول بقوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾[2] .

أختي المسلمة التوبة من الذنوب والأخطاء من الأمور الواجبة على الفور والدوام ، من كل ذنب صغيراً كان أم كبيراً ، ولقد جاء الوحي المبين بالحث على هذا الأمر العظيم ، فقال تبارك وتعالى في محكم التنزيل : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3] .

وقال جل شأنه : ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴾[4] .

أختي المؤمنة هلمي تتعرف ببعض الأحاديث النبوية التي يشع منها نور الدعوة إلى التوبة ، والعودة إلى الله .

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « والله إني لأستغفر الله ، وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »[5] .

وعن الأغر بن يسار ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروا ، فإني أتوب في اليوم مائة مرة »[6] .

انظري أختي المسلمة هذا هو الرسول ﷺ المعصوم ، الذي قد غفر له ما تقدم من ذنبه ، وما تأخر ، يستغفر ربه ، ويتوب إليه في اليوم مائة مرة ، كل ذلك ليشعرنا بأهمية التوبة في حياتنا .

أختي المسلمة حقوق الله أعظم من أن تقومي بها ، فكيف تصلين إلى رضا الرحمن ؟

اسمعي قول ذلك التابعي الجليل طارق بن حبيب ، يقول : « إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد ، ولكن أصبحوا تائبين ، وأمسوا تائبين » .

---

(١) سورة الزمر : ٥٣ — (٢) سورة الشورى : ٢٥

(٣) سورة النور : ٣١ — (٤) سورة المائدة : ٣٩

(٥) البخاري (٨٣/٨) ، والترمذي (٣٣١٢) ، وابن ماجه (٣٨١٦) ، وأحمد (٢٨٢/٢) .

(٦) مسلم (٢٣/١٧) ، وأبو داود (١٥١٥) ، والترمذي (٣٣١٢) ، وابن ماجه (٣٨١٥) ، وأحمد (٤٥/٢) ، (٢٦٠/٤) .

أختى المسلمة : تخيلى أنك ملكت كل ما تريدين من آمال ، وأحلام ، ووصلت إلى كل ما تريدين ، ثم فجأة على بغتة ضاع منك كل شئ بغير فائدة ، حتماً ستبكين ، وتتوجعين ، وتتحسرين على ما ضاع منك ، وقد تعضين على أصابعك ندامة وحسرة على ما ضاع ، فما بالك بعمرك ، وهو جوهرة نفيسة لا تقدر بأى شئ مادى ، وهذا العمر فى حقيقته عبارة عن أنفاس ، نفس يخرج ، ولا يعود إليك أبداً ، وهذه الأنفاس هى رأس مالك فى الدنيا تشترين بها ما تشائين من نعيم الجنة ، فكيف تضيعين ذلك العمر بلا توبة نصوح .

إن ملك الموت إذا ظهر للعبد يبدو على وجه العبد الأسف ، والحسرة ، يود لو كانت له الدنيا بحذافيرها ليفتدى نفسه بها ، وما هو بمستطيع .

وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(١) .

أسفاً لك إذا جاءك الموت وما أنبت ، واحسرة لك إذا دعيت إلى التوبة فما أجبت .

كيف تصنعين أختى المسلمة إذا نودى بالرحيل ، وما تأهبت

اسمعى إلى الشاعر الحكيم وهو يقول :

قد مضى فى اللهو عمرى	وتناهى فيه أمرى
بان ريح الناس دونى	وحين بان خسرى
ليتنى أقبل وعظى	ليتنى أسمع زجرى
كل يوم أنا رهن	بين آثامى ووزرى
ليت شعرى هل أرى لى	همة فى فك أسرى
أو أرى فى ثوب صدق	قبل أن أنزل قبرى
ويح قلبى من تناسيه	مقامى يوم حشرى
واشتغالى عن خطايا	أثقلت والله ظهرى

هلمى أختى المؤمنة لنعيش مع وصية الرسول ﷺ ، ولنتفكر فيما فيها نأخذ العظة والعبرة .

---

(١) سورة المنافقون : ١٠ ـ ١١

عائشة ـ رضي الله عنها ـ الصديقة بنت الصديق ، قيل في حقها مقالة سوء ، قالها أصحاب السوء ، فجاء إليها ﷺ وقال لها تلك الوصية ، ولم يكن الوحي قد نزل ببرائة عائشة مما قيل في حقها .

يقول لها : « إن كنت ألممت بذنب » يعني إن كنت فعلت ذنباً ، وليس ذلك بعادة ، وهذا أصل كلمة اللمم .

« فاستغفري الله » وسبق أن عشنا مع الاستغفار ، وفوائده للمؤمنة .

« وتوبي إليه » « التوبة » كلمة فيها معنى الرجوع ، والعودة ، فإذا تابت المسلمة يعني رجعت إلى طاعة ربها .

أختي المؤمنة : ليست التوبة كلمة تقال ، أو عبارة تتردد على اللسان فقط ، ولكنها تتحقق بعدة أمور :

منها : أن تشعري بالندم على ارتكاب الخطأ ، أو الذنب الذي حدث منك ، اسمعي إلى رسول الله ﷺ ، وهو يقول : « النَّدَمُ تَوْبَةٌ »[1] .

ومنها : أن تتركي تلك المعصية التي ندمت عليها ، وتبتعدي عن طريقها ، يعني الإقلاع عن المعصية .

ومنها : العزم الصادق على عدم الرجوع إلى تلك المعصية .

ومنها : أن تؤدي الأعمال الصالحة ، التي تكون سبباً في محو الأعمال السيئة .

ومنها : الخروج من عهدة حق الآدمي ، فإن قلت في حق أختك المسلمة غيبة ، أو نميمة ، أو أخذت منها مالا ينبغي لك ، تردي ما أستطعت لم تقومي باستحلال صاحبة الحق فيما لم يكن لديك القدرة على إعادته .

أختي المؤمنة : اعلمي أنك عندما تعودين إلى الله بتوبة نصوح ، فإن الله يقبلها ، ويمحو عنك ما كان من آثام ، فتأملي تلك النماذج البشرية التي تابت إلى الله ـ عز وجل ـ توبة نصوحاً ، ففازت بالدنيا والآخرة .

١ ـ قاتل المائة نفس

عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال : « كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ : إِنَّهُ

---

(١) صحيح ، أخرجه أحمد (١/٣٧٦ ، ٤٢٣ ، ٤٣٣) ، وابن ماجه (٤٢٥٢) ، والحاكم (٤/٢٤٣) من حديث ابن مسعود ، وأنس .

قتلَ تسعةً وتسعين نفساً ، فهلْ لهُ منْ توبَةٍ ؟ فقال : لا ، فقتلَهُ فكمّلَ به مائةً ، ثمّ سألَ عنْ أعلَم أهلِ الأرضِ ، فدُلّ علَى رجلٍ عالمٍ ، فقال : إنّهُ قتلَ مائةَ نفسٍ فهلْ لَهُ من توبةٍ ؟ فقال : نعم ، ومَن يحول بينه وبين التوبة ، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإنَ بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك ، فإنّها أرضُ سوءٍ ، فانطلق حتّى إذا نصف الطريق أتاهُ الموت ، فاختصمت فيه ملائكةُ الرّحمةِ ، وملائكةُ العذاب ، فقالتْ ملائكةُ الرحْمَة : جاءَ تائباً مُقبلاً بقلبه إلى الله ، وقالتْ ملائكةُ العذاب : إنّهُ لمْ يعملْ خيراً قطّ ، فأتاهُمْ ملَكٌ في صورة آدمي ، فجعلوهُ بينهُمْ ، فقال : قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيّتهما كانَ أدنى فهو لهُ ، فقاسوهُ ، فوجدوهُ أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضتهُ ملائكةُ الرّحْمَة »[1] .

وفي رواية أخرى : « فأوحي الله إلى هذه أنْ تباعدي ، وإلى هذه أنْ تقرّبي ، فكان إلى القرْيَة الصّالحَة أقرب منها بشبر ، فجُعل منْ أهلهَا »[2] .

تأملي أختي المؤمنة مع عظم ذنبه ، وقبح جرمه ، لما اشتد ندمه ، وصدق في توبته ، رحمه أرحم الراحمين ، وجعله من السعداء

ما عليك إلا أن تصدق الله في توبتك ، فيرحمك عز وجل .

٢ - توبة المرأة الزانية

عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ أتته امرأة من جهينة ، وهي حبلى من الزنا ، فقالت : يا رسول الله أصبت حداً فأقمه علي ، فدعا نبي الله ﷺ وليها ، فقال له : « أحسنْ إليها ، فإذا وضعَتْ فأتني » ففعل ، فأمر بها نبي الله ﷺ فشدت عليها ثيابها ، ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها ، فقال له عمر : تصلي عليها يا نبي الله ، وقد زنت ؟!!!!!

فقال : « لقدْ تابتْ توبةً لوْ قُسمتْ بيْن سبْعين من أهْل المَدينة لوسعَتْهُمْ ، وهلْ وجدْت توبة أفضل منْ أنْ جادتْ بنفْسهَا لله تعالَى »[3] .

تأملي أختي المسلمة جزاء التوبة النصوح ، إنها تجعل المرء على استعداد كبير ، لكي يتطهر من المعاصي والآثام ، فالتوبة أختي المسلمة من أحب العبوديات إلى الله ، ولها منزلة ليست لغيرها ، فيها : الذل ، والانكسار ، والخضوع لله .

---

(١) البخاري (٢١١/٤) ، ومسلم (٨٢/١٧ - ٨٣) .

(٢) مسلم (٨٤/١٧) .

(٣) مسلم (٢٠٥/١١) ، والترمذي (١٤٦٢) ، وأحمد (٤٣٠/٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠) .

بل من أعظم الفوائد تعود على المسلمة من وراء التوبة النصوح هو تبديل السيئات التى قامت بها إلى الحسنات .

تأملى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾[1] .

فهذه الآية الكريمة من أعظم البشارات للتائبات ، فلقد قال التابعى الجليل ، سعيد ابن المسيب : هو تبديل الله سيئاتهم التى عملوها بحسنات يوم القيامة ، فيعطيهم مكان كل سيئة حسنة

أختى المسلمة : الكثيرات من المسلمات لا تعدن إلى الله بتوبة نصوح إلا بعد مرور عمر طويل ، فعندما تأتين للمسلمة لا تصلى ، أو لا تؤدى طاعات الله من صيام ، أو ترك للتبرج والسفور ، فإنها تتعلل بأنها لا زالت صغيرة ، ولا زال العمر أمامها ، ولم تتفطن إلى أنها ربما لا تصل إلى ما أملته فالتوبة مبسوطة ما لم تغرغر ، ولكن انظرى أختى إلى هذا المثال .

التوبة فى الصحة ، ورجاء الحياة تشبه الصدقة بالمال فى الصحة ورجاء البقاء .

والتوبة عند حضور الموت تشبه الصدقة بالمال عند الموت ، فكأن من لا تتوب إلا فى مرضها قد استفرغت صحتها ، وقوتها فى شهوات نفسها ، ولذة دنياها ، فلما أيست من الدنيا والحياة فيها تابت حينئذ ، وتركت ما كانت عليه ، فأين توبة هذه من توبة من تاب إلى الله ، فى عز شبابها ، وقدرتها على المعاصى ، ولكن خوفها من الله ، ورجاء ثوابه منعها من هذا .

اسمعى أختى المسلمة إلى التفجع ، والتحسر الذى كان عليه بعض المحتضرين وهم يفارقون الدنيا .

* أحدهم يلطم وجهه ، ويقول : « يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله » .
* الآخر يبكى ، ويقول : « سخرت بى الدنيا حتى ذهبت أيامى » .
* وثالث يقول ، والأنفاس تتقطع لخروج الروح من البدن : « ويحكم يا إخوانى لا تغتروا بشبابكم ، ولا تغرنكم الدنيا كما غرتنى » .

وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن

---

(١) الفرقان : ٧٠

يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون * أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين * أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين ﴾[1] .

أختى المسلمة قد تتساءلين ، وتقولين : هل يجوز أن تتوب المسلمة توبة عامة للذنوب كلها ؟!

نعم أختى المؤمنة هذا هو المطلوب منك ، إذ يتحتم على المسلمة أن تتوب توبة عامة ، مما تعلمه من الذنوب ، ومما لا تعلمه ، فإن المرأة تنسى الكثير من الخطايا التى تقع فيها بمرور الأيام عليها ، إذن فالتوبة العامةواجبة .

قد تقول لك إحدى المسلمات عند دعوتها للتوبة: إنما يمنعنى من التوبة أنى أعلم من نفسى أنى أعود إلى الذنب ، ولا أثبت على التوبة ؟!!

أختى المؤمنة : إن هذا الكلام من المسلمة ، إنما هو من غرور الشيطان ، لأن المسلمة لا تدرى متى يفجؤها الموت ، فلعلها تموت تائبة قبل أن تعود إلى الذنب وأما الرجعة إلى الذنب فعلى المسلمة العزم والصدق ، وإتمام الإقامة على التوبة ، فإن ثبتت على التوبة ، وسلمت من الرجعة إلى الذنب ، فذلك بتوفيق الله تعالى وفضله عليك .

فإن رجعت إلى الذنب فقد تبت إلى الله من ذنوبك السابقة ، وتخلصت منها ، وتطهرت من أقذارها ، وليس عليك إلا الذنب الذى أحدثتيه ، وهذا ربح وفوز عظيم ، فلا ينبغى للمسلمة أن يمنعها من التوبة خوف العودة إلى الذنب ، فإن التائبة لا تخلو أبداً من فائدة من الفوائد .

فعليك أختى المسلمة أن تجتهدى ، وتستيقظى من رقدة الغفلة ، عسى أن تنتهى من الإصرار ، وتتخلصى من الأوزار .

أختى المؤمنة ، لقد دعاك إلى التوبة مولاك ، وفتح باب الإجابة ثم وضح لك الطريق فهداك ، فهلا أقبلت إلى مغفرة من ربك ورضوان ، وجنات ذات أنهار ، وعيش مع الأبرار السعداء .

أختى المسلمة لقد هممت كثيراً للتوبة ، ولكن حال بينك وبينها ما لا تعلمين ، ولقد جمعت لك بعض الأمور التى تعينك على التوبة .

---

(١) سورة الزمر : ٥٤ ـ ٥٨

أمور تعين على التوبة

أختي المسلمة : إن من أعظم الأسباب والأمور التى تيسر لك التوبة ، والعودة إلى الله أن تعرفي قدر عظمة الله تبارك وتعالى ، تعرفين قدرته ، وجبروته ، وأنه قادر ـ تبارك وتعالى على أن ينزل بك ـ إن شاء عقاباً أليماً .

اسمعي إلى ربك وهو يقول : ﴿ مَّالَكُمْ لا تَرْجُونَ للهِ وَقَاراً * وَقَدْ خلقكم أطْواراً ﴾[1] . يعنى مالكم لا تقدرون عظمة الله ، وتعرفون قدره .

وقال أحد سلفنا الصالح : لا تنظر إلى صغر المعصية ، ولكن انظر إلى من عصيت !!

فعندما تتذكرين عظمة الله وقدرته عليك ، سوف تقومين على الفور بالتوبة والعودة إلى الله ، ما هو مشاهد بالتجربة[2] .

أختي المؤمنة : ألا تتذكرين الموت ؟!!!! هل نسيت القبر ؟!!!!

إن المسلمة عندما تتذكر الموت ، وما فيه من ألم وشدة ، والقبر وما فيه من وحشة وظلمة ، وغربة وفرقة ، حتما سيحدث لها تغير لم يكن من قبل ، اسمعي إلى قول الحق : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[3] .

عندما تتذكرين الموت ، وسرعة الانتقال من الحياة الدنيا إلى الحياة البرزخية ، ستجدين أن أوائل الأمور التى تفكرين فيها ، هى التوبة إلى الله .

أختي المؤمنة : بالله عليك عندما تعلمين أن ابن آدم أول ما يوضع فى قبره يناديه القبر ، ويقول له : يا ابن آدم ويحك ما غرك بى ، ألم تعلم أنى بيت الدود ، ألم تعلم أنى بيت الفرقة ، ألم تعلم أنى بيت الظلمة ، هذا ما أعددت لك ، فماذا أعددت لى ؟!

هل بعد هذا القول تجدين أمامك إلا التوبة إلى الله عز وجل .

أختي المسلمة : ومن الأمور التى تعينك على التوبة معرفتك أن الفلاح فى الدنيا والآخرة مرتهن بالعمل للآخرة ، لأن الدنيا فانية ، وزائلة ، وما هي إلا ساعة وتعودين إلي ربك ، كما قال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ ﴾[4].

---

(١) سورة نوح : ١٣ ـ ١٤

(٢) صدر لمكتبة القرآن كتاب «العظمة» لأبى الشيخ وهو من أقوى الكتب التى تجعلك تشعرين بعظمة الله وقدرته .

(٣) سورة آل عمران : ١٨٥

(٤) سورة الانشقاق : ٦

وقال جل ثناؤه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ ﴾[1] .

واسمعي إلى الرسول ﷺ ، وهو يوضح هذا الأمر ، فيقول : « ما الدُّنيا في الآخرةِ إلا مِثلُ ما يَجعَلُ أحدُكُم في اليم[2] ، فلْينظُرْ بِمَا يَرجِعُ »[3] .

وتأملي في قول الصحابي الجليل ابن عباس - رضى الله عنه - وهو يقول : يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء ، أنيابها بادية ، مشوه خلقها ، فتشرف على الخلق . فيقال : هل تعرفون هذه ؟ فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هذه ، فيقال : هذه الدنيا التي تشاجرتم عليها ، وبها تقاطعتم الأرحام ، وبها تحاسدتم ، وتباغضتم ، واغتررتم ، ثم تقذف في جهنم ، فتقول : يارب أين أتباعي وأشياعي ؟ فيقال : ألحقوا بها أتباعها ، وأشياعها .

أختي المسلمة : من الأمور التي تيسر لك المواظبة على التوبة أن تعلمي أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع ، وأن كل ما أصابك من مصائب فهو من قبل ذنوبك ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[4] .

اسمعي أختي المسلمة إلى التابعي محمد بن سيرين رحمه الله وهو يقول : عيرت رجلاً بالإفلاس منذ عشرين سنة ، فقلت له : يا مفلس ، ولقد ابتلاني الله الآن بالإفلاس .

فتأملي أختي المؤمنة كيف أن العقوبة ، قد ادخرت له بعد عشرين سنة.

أختي المسلمة : لا أجد ما أختم به هذه الوصية الطيبة إلا قول النبي ﷺ لعائشة رضى الله عنها : « إن العبد إذا اعترف بذنبه ، ثم تاب إلى الله ، تاب الله عليه » .

فهلمي أختي المؤمنة إلى الله فتوبي ، وإلى الصلاح عودي ، فإن الرب غفور رحيم ، وسعت رحمته كل شيء .

فنسأل الله العظيم أن يجعلنا من التائبين ، ويغفر لنا ذنوبنا ، ويستر علينا عيوبنا ، وهو على ذلك قدير .

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة فاطر : ٥

(٢) يعني البحر

(٣) مسلم (١٩٢/١٧)

(٤) سورة النحل : ٣٣

٤٨ من أحكام الطهارة

عن لبابة بنت الحارث ـ قالت ـ كان الحسين بن علي في حجر رسـول الله ﷺ ، فبـال عليه ، فقلت : البس ثوباً ، وأعطني إزارك حتى أغسـله ، قال : « إنَّما يُغسَلُ مِنْ بَوْلِ الأنثى ، وينضحُ مِنْ بَوْلِ الذَّكرِ »[1] .

أختي المسلمة : الإسلام دين الحياة لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وقد تكلم عن شأنها ، وأوضح لنا سبلها ، وفي هذه الوصية النبوية يعلمنا النبي ﷺ بعض قواعد النظافة التي ينبغي لك أن تعرفيها ، وتعملي بما فيها .

أختي المؤمنة : ربنا تبارك وتعالى أحب أقواما ، ومدحهم ، وذكر لنا بعضهم فقال عز وجل : ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[2] .

والمرأة المتطهرة هي التي اتصفت بالنظافة الكاملة : نظافة الظاهر بغسله بالماء لإزالة النجاسة والأقذار ، ونظافة الباطن بتطهيره من الرذائل ، وسائر الصفات المذمومة من غل وحسد ، وحقد وأنانية .

فهلمي أختي المسلمة انظري إلى باطنك وطيبيه ، كما تنظرين إلى ظاهرك فتجمليه .

• النبي ﷺ يرشدك في تلك الوصية إلى أحكام دينية يجدر بك أن تكوني على علم بها ، وهي أنه عندما يرزقك الله بأولاد ، ويحدث منهم ما يحدث من كل رضيع ، أو صبي فعليك الانتباه إلى عدة أمور ، هي ما يلي :

الأمر الأول : إذا كان المولود ذكراً ، ولا زال في مرحلة الرضاعة ، ولم يأكل بعد ، فعليك أن تكتفي فيه بالرش على ثوبك ، وهو أن ينضح عليه الماء بحيث يصل إلى

---

(١) صحيح ، أخرجه أبو داود (٣٧٥) ، وابن ماجه (٥٢٢) ، وأحمد (٣٣٩/٦) من طريق سماك عن قابوس عن لبابة ، وإسناده حسن ، وصححه الحاكم (١٦٦/١) ووافقه الذهبي ، وأخرجه أحمد (٣٣٩/٦) من طريق يزيد بن أبي زياد ـ وهو من الضعفاء ـ عن عبد الله بن الحارث عن لبابة به ، وهو في المتابعات ، وأخرجه أحمد (٣٣٩/٦) عن حماد بن سلمة عن عطاء الخراساني عن لبابة به (٣٤٠/٦) من طريق صالح أبي الخليل عن ابن الحارث عن لبابة ، وللحديث شواهد صحيحة ستأتي في الشرح .

(٢) البقرة : ٢٢٢

جميعه ، فيطهر من غير دلك ، اسمعي إلى أم قيس بنت محصن وهي تقول : أتيت بابن لي صغير ، لم يأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ في حجره ، فبال على ثوبه ، فدعا بماء فأتبعه إياه ولم يغسله[1] .

الأمر الثاني : إذا كان المولود أنثى ، سواء كانت في مرحلة الرضاعة ، أو بعدها فعليك أن تقومي بغسل هذا الموضع ، ولا يجوز أن تكتفي بالرش ، كما في الوصية النبوية التي بأيدينا ، لم إنه ﷺ قال : « يغسل من بول الجارية ، ويرش من بول الغلام »[2] .

الأمر الثالث : أن المولود الذكر عندما يصل إلى مرحلة الأكل فينبغي أن يغسل بوله كالجارية تماما .

قال قتادة ـ رحمه الله ـ عقب الحديث السابق : هذا ما لم يطعما ، فإذا طعما غسلا جميعاً .

وقالت أم سلمة زوجة النبي ﷺ : بول الغلام يصب عليه الماء صباً ما لم يطعم ، وبول الجارية يغسل طعمت أو لم تطعم .

هكذا أختي المسلمة عشنا مع رسول الإنسانية ﷺ وهو يعلمنا بعض القواعد الإسلامية في باب الطهارة ، التي لو تفكرت في مغزاها لعلمت أن ديننا عظيم ، يرشد الناس بتشريعاته إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة ، والحمد لله أولاً وآخراً .

٤٩ الإسلام يدعو إلي تعليم النساء

عن أبي بكر بن سليمان القرشي قال : إن رجلاً من الأنصار خرجت به نملة[3] ، فدل أن الشفاء بنت عبد الله ترقى من النملة ، فجاءها فسألها أن ترقيه ، فقالت : والله ما رقيت منذ أسلمت ، فذهب الأنصاري إلى رسول الله

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢) ، ومسلم (٢٨٧) ، ومالك (٨٤/١) في الموطأ .

(٢) صحيح ، أخرجه أبو داود (٣٧٦) ، والنسائي (١٥٨/١) ، وابن ماجه (٥٢٦) ، والحاكم (١٦٦/١) وصححه وأقره الذهبي ، وذلك من حديث أبي السمح ، وأخرجه أبو داود (٣٧٧) وأخرجه الترمذي (٦١٠) وأحمد (٥٦٣) ، وابن ماجه (٥٢٥) ، والحاكم (١٦٥/١ ـ ١٦٦) من حديث علي .

(٣) هي قروح تخرج في الجنب .

ﷺ فأخبره بالذى قالت الشفاء فدعا رسول الله ﷺ الشفاء، فقال: «اعرضى على» فعرضتها فقال: «ارقيه، وعلميها حفصة كما علمتيها الكتاب»[1]، وفى رواية «الكتابة».

أختى المسلمة: هذه الوصية النبوية تتضمن شقين، الأول: الكلام عن التداوى بالرقية، وسبق أن تناولنا هذا الأمر فى وصية من وصايا الرسول ﷺ.

أما الشق الثانى: فهو تعليم النساء الطب والكتابة.

أختى المؤمنة: الإسلام دين المساواة، ساوى بين الرجل والمرأة فى الثواب والعقاب، وحث كلا منهما على التفكر فى صنع الله، والعمل على الوصول إلى إرضاء الله.

وانطلاقا مما سبق بيانه يوصى النبى ﷺ الشفاء ـ رضى الله عنها ـ بتعليم أم المؤمنين حفصة ـ رضى الله عنها ـ الرقية بعد أن قامت بتعليمها الكتابة.

إذن فللمرأة أن تتعلم، وتحضر مجالس العلم، وتسأل أهل العلم عما تريد أن تعرف من أمور دينها إن عجز عن ذلك زوجها، ولكن أختى المسلمة ليس العلم هو علم الشهادات طلباً للوظيفة، إنما العلم قبل ذلك ما فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

أختى المسلمة: كيف ترضين لنفسك أن تكونى عالمة بأمرالدنيا، جاهلة بأمر الآخرة؟ أم كيف تسعين لطلب العلم الدنيوى بما يغضب الله تعالى من تبرج وسفور وكشف للعورات، وسعيا وراء إثارة الشهوات؟!! نعم ليس للآباء أن يحرموا بناتهم من العلم، ولكن كيف يترك الأب ابنته تخرج لطلب العلم، وهى لا تصلى، ولا تعرف القراءة فى القرآن، بل لا تدرى ما هى الأحكام التى ينبغى للمرأة أن تتعلمها مما يخص النساء من أمور الدين.

أختى المسلمة: إن ديننا يعلمنا أن تعلم العلم لله خشية، وأن طلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس فى الوحدة، والصاحب فى الخلوة، والدليل على الدين، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم، أدلة فى الخير، وبه يعبد الله ويطاع، وبه يوحد ويمجد، وبه يتورع، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام.

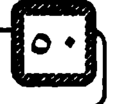
---

(١) صحيح، أخرجه الحاكم (٤/٥٦ ـ ٥٧) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبى، وأخرجه بنحوه من طريق آخر أبو داود (٣٨٨٧)، وأحمد (٦/٣٧٢).

هكذا يرفع ديننا من العلم وأهله ، ويحض عليه الرجال والنساء على السواء ، ولكن كيف تسعين لطلب علم ما تنجين به في الدنيا ، وهو علم الهندسة ، والطب ، والعلوم .. إلخ وتغفلين عما يدخلك إلى الجنة ، ويبعدك عن النار ؟!!

أختي المسلمة : عليك بوقفة مع النفس تسألين نفسك عما تعرفين من أحكام وعلوم دينك ، فإن وجدت خيراً فاحمدى الله ، فهذا من فضله وتوفيقه لك ، وإن كانت الأخرى ، فاستغفرى ربك ، وعودى إليه ، وازدادى من علوم دينك ، فإن الخير كل الخير في القرب من دينك ، والتعاسة والشقاء لمن اغترت بظاهر وقشور من علم الدنيا ، وانشغلت به عن علم الآخرة ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى** ﴾(1) .

وهكذا أختي المسلمة كانت وصية الرسول ﷺ مرشدة للنساء إلى السعى في طلب العلم ، والوصول إليه ، وهكذا دائماً نجد كل الخير في وصايا الرسول ﷺ للنساء .



٥٠ مسك الختام

عن يُسَيْرَةَ ـ رضي الله عنها ـ وكانت من المهاجرات قالت قال لنا رسول الله ﷺ : « **عَلَيْكُنَّ بِالتَّسْبِيحِ ، وَالتَّهْلِيلِ ، وَالتَّقْدِيسِ ، وَاعْقِدْنَ بِالأَنَامِلِ فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ ، وَلا تَغْفُلْنَ فَتَنْسَيْنَ الرَّحْمَةَ** »(2) .

أختي المسلمة : هذه وصية الرسول ﷺ التي نختم بها تلك الباقة العطرة النبوية ، فهلمى نحيا فيها ، ونتذوق عطرها الطيب .

تقول المؤمنة المهاجرة يُسيرة ـ رضى الله عنها ـ قال لنا رسول الله ﷺ أى لنا معشر النساء : عليكن : اسم فعل بمعنى إلزمن ، وامسكن « بالتسبيح » أى بقول سبحان الله ، و « التهليل » بمعنى قول لا إله إلا الله ، و « التقديس » أى قول سبحان الملك

---

(1) سورة طه : ١٢٤ ـ ١٢٦

(2) إسناده حسن ، أخرجه أبو داود (١٥٠١) ، والترمذى (٣٦٥٣) ، وأحمد (٣٧١/٦) ، وابن حبان (١٠٣/٢) ، والحاكم (٥٤٧/١) .

القدوس ، أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، أما قوله « واعقدن بالأنامل » أى اعددن عدد مرات التسبيح بها ، وهذا ظاهر فى عقد كل أصبع على حدة ، لا ما يعتاده كثير من الناس ، من العد بعقد الأصابع ، يقال : عقد الشئ بالأنامل عده ، والأنامل جمع أنملة وهو الجزء الذى فيه الظفر ، والظاهر أن يراد بها الأصابع من باب إطلاق البعض وإرادة الكل ، عكس ما ورد فى قوله عز وجل ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ ﴾[1] للمبالغة ، « فإنهن » : أى الأنامل كسائر الأعضاء : «مسئولات » أى يسألن يوم القيامة عما اكتسبن ، وبأى شئ استعملن .

أما قوله « مستنطقات » أى متكلمات بخلق النطق فيها فيشهدن لصاحبهن أو عليه بما اكتسبه ، فأما المؤمن فتنطق عليه بخيره ، وأما الكافر فتنطق عليه بكفره .

وفى هذه حث على استعمال الأعضاء فيما يرضى الله تبارك وتعالى .

ثم يواصل الرسول ﷺ وصيته للنساء فيقول : « ولا تغفلن » يعنى عن الذكر فلا تتركن الذكر فتكون النتيجة « فتنسين الرحمة » أى فتتركن الرحمة ، فالمراد بنسيان الرحمة نسيان أسبابها أى لا تتركن الذكر فإنكن لو تركتن الذكر لحرمتن ثوابه ، فكأنكن تركتن الرحمة .

أختى المسلمة : الذكر حياة القلوب ، ونور الأبصار ، وبه تذهب عنك الغموم ، والهموم فأكثرى من التسبيح والتكبير فى كل أعمالك ، فى السر والعلانية ، فى الليل والنهار ، فى كل مكان وزمان ، عساك أن تفوزى برضا الرحمن .

وهكذا انتهت الوصية النبوية .

والحمد لله رب العالمين .

(١) سورة البقرة : ١٩

خـــاتـمـــة

أختى المسلمة لا أجد ما أختم به هذا الكتاب إلا أن أذيله ببعض النصائح الغالية ، فاعملى بها ، فإنك تعيشين ـ إن شاء الله ـ سعيدة ، وتموتين ـ إن شاء الله حميدة ، وإليك إياها :

١ ـ اخلصى لله تعالى فى السر والعلانية ، واحذرى الرياء فى أقوالك وأفعالك .

٢ ـ احذرى من الشرك فى العقيدة ، والعبادة ، فإنه محبط لكل أعمالك .

٣ ـ عليك بالاستسلام لأحكام دينك ، وإياك أن تنظرى إلى الأمور بعقلك .

٤ ـ كونى مطيعة لزوجك إن كان لك زوج ، فلا تردى له أى طلب ما لم يكن معصية ، واحفظى غيبته فى نفسك ، وماله .

٥ ـ كونى بارة لوالديك بالإحسان إليهما ، وكف الأذى عنهما ، والعمل على إدخال السرور إلى قلبيهما .

٦ ـ كونى سباقة فى عمل الخير ، مسارعة فى البعد عن الشر ، مكثرة من الذكر والصدقة .

٧ ـ عليك بالإحسان إلى جاراتك بالقول والفعل ، فلا تريهن منك إلا المعروف .

٨ ـ كونى محافظة للصلاة على وقتها ، محافظة على صلاة السنن ما استطعت .

٩ ـ كونى كريمة ، واحذرى الشح ، فإن ربك يحب الكرماء ، ويبغض البخلاء .

١٠ ـ تعهدى القرآن الكريم بالتلاوة ، فاجعلى لنفسك ورداً تلتزمين به .

١١ ـ حافظى على قلبك من الشهوات ، والشبهات .

١٢ ـ عليك بالعناية بأولادك بتعويدهم على الصدق ، وسلامة القول ، والعمل ، على تعليمهم الأدب ، ومحاسن الأخلاق .

١٣ ـ إياك والغيبة والنميمة ، والخوض فى أعراض المسلمات .

١٤ ـ لا تحتقرى غيرك ، وظنى أن غيرك من المسلمات أفضل منك عند الله ، فهذا شعار الصالحات .

١٥ ـ كونى زاهدة فى الدنيا ، راغبة فى الآخرة .

١٦ ـ احذرى الجزع والتسخط عند البلاء ، وكونى صابرة محتسبة للأجر والثواب .

١٧ ـ كونى أمينة ، فلا دين لمن لا أمانة لها .

١٨ ـ لا تنظرى إلى من هى فوقك فى الدنيا ، وانظرى إلى من هو دونك ، حتى لا تصغرى نعم الله عليك .

١٩ ـ استعدى للموت قبل مجيئه ، وارجى عفو ربك ورحمته .

٢٠ ـ أحبى للمسلمات ما تحبين لنفسك وأهل بيتك ، واكرهى لهن ما تكرهى لنفسك وأهلك تصلين إلى كمال الإيمان ومحبة الرحمن .

أختى المسلمة :

هذا هو آخر ما انتهينا إليه من وصايا الرسول ﷺ للنساء ، ولكن على أمل بلقاء آخر ، أسأل الله العظيم ، رب العرش العظيم ، بجعل عملى خالصاً لوجهه ، وابتغاء ثوابه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مجدي فتحي السيد إبراهيم

الفهرس

الموضـــوع | الصفحة

